محرري التجويد والمواقف • وما الذي رسم في المصاحف

من كل مقطوع وموصول بها • وتاء انثى لم تكن تكتبها

باب في بيان مخارج الحروف

مخارج الحروف سبعة عشر • على الذي يختاره من اختبر

فالف الجوف واختاها وهي • حروف مد للهواء تنتهي

ثم لاقصى الحلق هز هاء • ثم لوسطه فعين جاء

ادناه غين خاؤها والقاف • اقصى اللسان فوق ثم الكاف

أسفل والوسط فخيم الثنتين با • والضاد من حافته إذ ولیا

لأضراس من أيسر وعينها ها • واللام أدناها لمنتهاها

والنون من طرفه تحت اجعلوا • والراء بدانيه لظهر أدخلوا

والطاء والدال وتا منه ومن • عليا الثنايا والصغير مستكن

منه ومن فوق الثنايا السفلى • والطاء والذال وتا للعليا

من طرفهما ومن بطن الشفه • والفا مع أطراف الثنايا المشرفه

للشفتين الواو با ميم • وغنة مخرجها الخيشوم

باب صفات الحروف

صفاتها جهر ورخو مستفل • منفتح مصمتة والضد قل

مهموسها حثه شخص سكت • شديدها لفظ أجد قط بكت

وبين رخو والشديد لن عمر • وسبع علو خص ضغط قظ حصر

وصاد ضاد طاء ظاء مطبقه • وفر من لب الحروف والمذلقه

صفيرها صاد وزاي وسين • قلقلة قطب جد والذين

واو وياء سكنا وانفتحا • قبلهما والانحراف صحا

فِي لُزُومِ وَالرَّاوِ وَبِكَرِّينِ جُمَلٍ وَلِلتَّغَشِّي ضَادًا لِلْبَطَلِ

بَابُ مَعْرِفَةِ التَّجْوِيدِ

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمٌ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ

لِأَنَّهُ بِهِ الْإِلَهُ أَنْزَلَا وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

وَهُوَ أَيْضًا حِلْيَةُ التِّلَاوَةِ وَزِينَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ

وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا

وَرَدُّ كُلِّ وَاحِدٍ لِأَصْلِهِ وَاللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

ايا طالب القرآن جلة مواقفا اذا كنت ماست العلوم بريدة
تجد اقفا تره على كل الاقفاسة نافطا

للحمد معنيان مشهوران احدهما للعموم والآخر مختص وكل واحد منهما محتمل ههنا اذ تقدير امّا ان يراد الذي للفاعل
او الذي للمفعول او الحاصل بالمصدر ويجوز ان يراد ما يطابق عليه لفظ الحمد لله الكل واللام التعريفية يحتمل ان يكون
للاستغراق وان يكون للجنس وان يكون للعهد الخارجي اذ اشارة الى الفرد الكامل ولام الملك ايضا يحتمل
ان يكون للاختصاص الصفة بالموصوف وان يكون لاختصاص المتعلق بالمتعلق فهناك اثنان واربعون احتمالا
حاصلا من ضرب الثلثة في اثنين اولا وضرب الثلثة في سبعة ثانيا وضرب الاثنين في احدى وعشرين ثالثا فلنا مل
الفاظ الاحتمالات الاربعة وستون حاصلة من ضرب الاربعة في الاثنين اولا ثم ضرب الثمانية فصار اثنين وثلثين
ثم ضرب الاثنين وثلثين في اثنين نا مل
فصارت اربعة وستين احتمالا قيل مجموع الاحتمالات اثنان وثلثون الوفا وسبعمائة واربعون احتمالا

لام التعريف في الحمد لله قيل انها للاستغراق الجنس وقيل لتعريف الماهية وقيل للعهد فالاول بناء على قاعدة السنة في ان
الله تعالى خالق افعال العباد وهي المستحق للحامد والثاني بناء على اعتقاد المعتزلة في ايجاد العباد لافعالهم فيستحق
كل شيء من الحامدية والثالث قيل اذا اشارة الى الحمد الازلي وهو ان الله تعالى علم عجز خلقه عن القيام بحق حمده
فلم يأذن لاحد ان يليق بجلاله وصفات كماله فينبغي لمن يقول الحمد لله ان يقصد به ذلك الحمد المعهود وهو الذي رواه ثم
لاحمد غيره من الكتاب المع بحسن التصرف في شرح التوفق من علم التصوف ثم

الالف واللام [illegible] الحمد اولا [illegible]
على طريق الكناية عن [illegible]
وعلى آله اهل بيته اهل خصه [illegible] الاشراق اه بالسنة للاستغراق وبهذا الاختلاف ينتفي
الا [illegible] فيكون [illegible] تحقا للحمد وعند نا لا يكون خالقا فيكون خالق
الاعيان والافعال [illegible] حسب فيكون [illegible] يكون خالق كل شيء وعند المعتزلة الله خالق
[illegible] علم الحمد شرح فرايض بديع الدين

وصرف التوفيق في الحمد للمعنى عندنا وعند المعتزلة للعهد واصل الخلاف ان الافعال التي تقدر بها العباد خلقها يضاف
الله تعالى ولا صنع لهم فيها سوى الكسب عندنا فيكون المستحق للحمد هو الله تعالى دون العباد فمعنى قولنا الحمد لله اي جميع المحامد
التي يتعلق بالاعيان والاعراض لله تعالى وعندهم كان مضافا اليهم فيكونوا هم المستحقين للحمد فصرف قولنا الحمد لله
الى الحامد التي تتعلق بالقطط بالاعيان دون الاعراض وهو موجود ذاهب كقولنا زيد وعمرو قائم على غلبة
اجي دخول موسى مدينة مصر الان لم تبق في اللفظ بل هي مقررة في الذهن ولا يصح ان يكون للجنس لان مرجع
لم يدخل في جميع [illegible] اين الانبياء مفتاح شرح فرائض

فنقول الآن في الحمد للاستغراق عندنا وللعهد الذهني عند المعتزلة ومرجع الخلاف الى افعال العباد اضافي جميعها الى
الله تعالى وفاعلي لا صنع للعبد سوى الكسب لا كما ظن انه تحقق الحمد عنده هو الله تعالى فيكون للاستغراق ومن
اضاف الافعال الى الغير فكان يستحق العبد بصيغة الحمد فيكون للعهد الذهني خلق الاسرار

الله اسم للذات الواجب الوجود المراد بالاسم ههنا ما يقابل الصفة او اللقب او الكنية فان قلت وضع العلم بازائه
فرع تصوره وحين لم يعلم حقيقته فكيف يتصور وضعه قلت لا نزاع في وقوع تصور بعض حقيقته والاضافية
والسلبية والفعلية على قدر ما ظهر منها بالوحي والالهام وانما المتنع تصوره بكنه حقيقته وذا غير لازم في وضع العلم
كما في الوضع العام للمعنى الحاصل عند اذا تأمل يعلم ان كان الواضع مطلقا او واضع هذا الاسم بعد الخلق و
علما اما اذا كان وشعه فعل غيره بالالهام او الوحي فلا وذات الشيء قد يقال على حقيقته وقد يقال على هويته
الخارجية وقد يقال على ما يقابل الوصف والمراد ههنا هو الثاني وهو يستعمل استعمال النفس والشخص تارة
تذكيره ونانيثه وحقق بالذكر في تعيين الذات من صفاته الفعل الموجب الذاتي التذكير بفرق اليه مطلق الوجوب
لاختصاصه به والاظهر انه على سائر صفاته لانه معدن للكمال وبعد عن ظلمة النقصان من جليل

ثم انه قد شرح بعض النحاة على ما يحتاج اليه البيان وعلم الشرائع و
والشارع والمجزات فاشار الى الاول بقوله وعلم البيان والثاني بقوله وافضل من اوتي الحكمة والثالث بقوله
والصلوة الخ والرابع بقوله وفضل آل الخطاب بشر المدعو للشكر لان المدعو يحب الفضائل والفواضل
والشكر يحقق بالاضير والاداء موجب للعمل بالحديث وانه ورد بلفظ الاداء لما فهمه كتابه بكتاب المجيد وانه ورد
بلفظ التحميد وعلى المدح لانه يقع على ما
يكون قبل الاحسان وبعده والحمد
وجه التسجيع اسم الله فانه لجميع صفات
بهاء الله تعالى اشتهر بهذه الصفات
الاسم فيفهم هذه الصفات في ضمن اطلاق
بالوجود في ضمن اطلاق هذا الاسم فيفهم هذه الصفة
ليس معنى الاستجاع الاستدعاء اياك نستعين خط
ان المتبع اشتهر في ضمن ذكر الاسم سائر الاعلام بل المراد
بالشهرة فالمراد هو الاستجماع في الدلالة او يراد بالتجمع
علته لها بخلاف سائر المشتقات فان صفاتها لذاتها معللة
بغير وهو بواسطة ذاتها صلح الدين

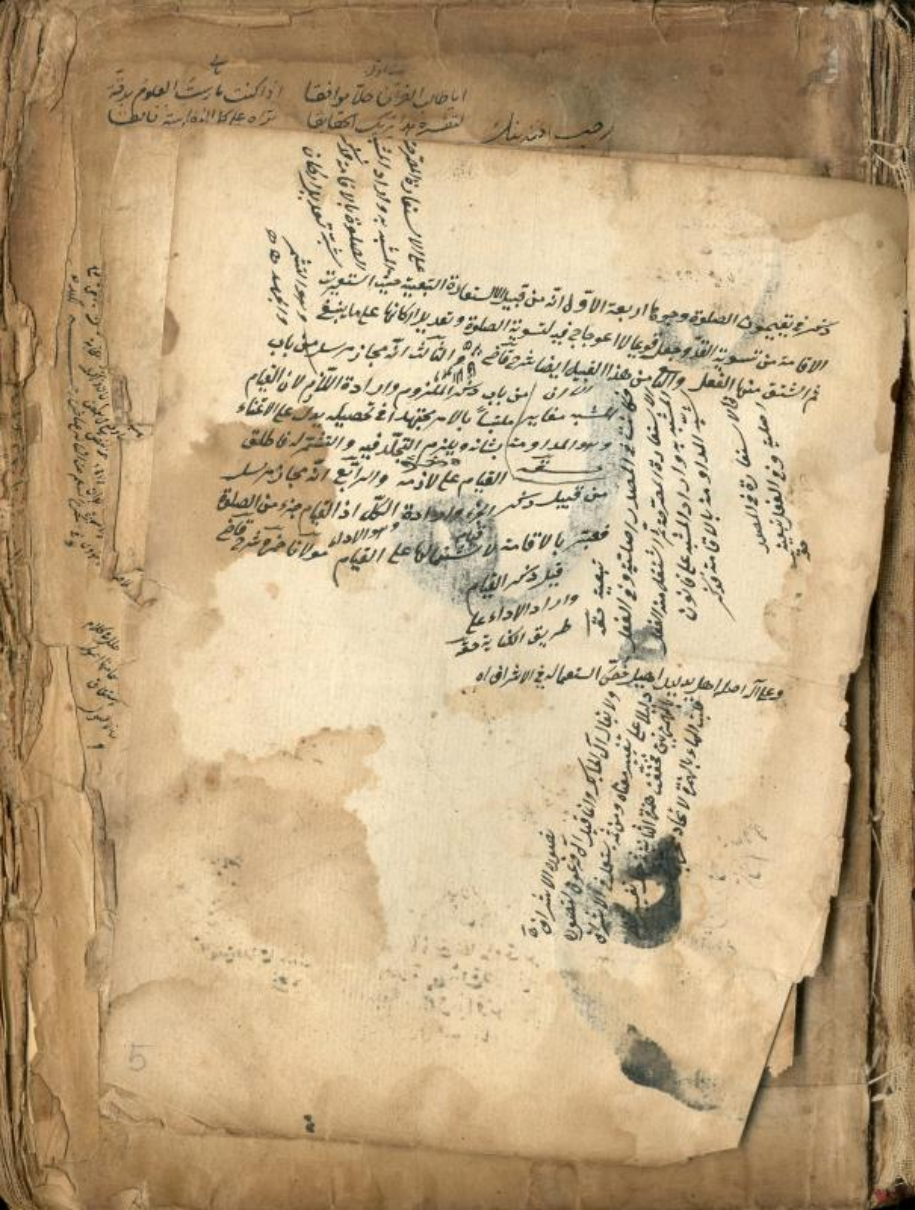

قال النبي صلعم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق فجار مسلم وله حق الاسلام وحق الجوار وحق القرابة والجار الذي له حقان جار ذو رحم وله حق
الاسلام وحق الجوار والجار الذي له حق واحد جار مشرك له حق الجوار وقال النبي صلعم ما زال جبرئيل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وقال النبي صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره احياء العلوم

حقوق الاقارب والرحم قال النبي صلعم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال الله عز وجل لموسى عليه السلام يا موسى من بر والديه وعفى كتبته بارا ومن
عق والديه وجر في كتبته عاقا احياء العلوم حقوق المملوك وقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلعم
قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا
يطيقون فما اجتبتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله تعالى ملككم اياهم
ولو شاء ملكهم اياكم احياء العلوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
باب الجنة فيقال هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه
ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه
اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال
هلم فما يأتيه احياء العلوم قال النبي صلى الله عليه وسلم

وقال علي رضي الله عنه اخاء الستر وهو منزه عن الفواحش الا فيه من
الابتداء والنهاء وكل حق الا صيد الا
قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد ينبت
اماتة احياء العلوم قال النبي صلى
الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان
الغيبة ادم من الزنا وان الرجل يزني ويتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال ابن
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي على قوم
يخمشون وجوههم باظافيرهم
فقلت يا جبرئيل من هؤلاء فقال
هؤلاء الذين يغتابون الناس احياء العلوم
ويقعون في اعراضهم احياء العلوم

الحمد يأكل الميت كما يأكل النار الحطب وحسبك
ان يكون نقمة الله على اخيك فيجب زوالها عنه فان كافأه
بكون دينه اخيه ولا يريد زواله ولكن يريد ان ينقمه الله
دينه فيتسع هذا غبطة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحسد
المؤمن يغبط والمنافق يحسد احياء العلوم
قال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه
وانفق الفضل من ماله قال النبي عليه السلام من صحت نجاحه في رجوعه
يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتي فان الذي تخطب غدارة
قربت الرؤس من الخوف فاذا امن الدنيا كيف تكسف
اني القرون التي كانت منقتة كر الليالي اقبالا و ادبارا

له عن عدو في ثياب صديق وقال يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
احياء العلوم

كتاب تفسير القاضي البيضاوي
رحمه الله رحمة واسعة

ذكر صاحب الكتاب تاج القراء ابو القاسم المكرمي ذوّج الله روحه في تفسيره في بيان قوله تعالى ان البقرة تشابه علينا وجهًا غريبًا وحاصله ان الفعل ذكر دالًا على الجنس وذكر في الشواذ تشابهت بالتشديد وتاء التانيث واجمعوا على خطائه وقال ابن مهران في الشواذ ان العرب قد تزيد على تفعل وتفاعل في الماضي تاء فتقول تفعّل وتفاعل وانشد

تقطعت بي دونك الاسباب — قال صاحب اللباب وهذا القول منه ليس مرضيًا ولا البيت مقبولًا وله عندي وجه غريب وهو ان يجعل التاء من البقرة والفعل تابهت وكتب في المصحف بلا الف كقراءة الكسائي الا يتهجدوا والقياس الا يا تهجدوا وكقوله لنا عبيد ولا تحنين ما نأبى [الاصل] انتهى كلامه قلت قد ذكر المؤلف المفسر العلامة القاضي ناصر الدين عبد الله البيضاوي تغمده الله برحمته في آية اخرى من البقرة وهي تشابهت قلوبهم انهم قرؤها بتشديد الشين وقد به فلا مخلص ولا محيص في توجيه محتمها الا ان ذهب اليه ابن مهران رحمه الله كما نقلنا اذ ذاك الاحتمال يمتنع هنا ولعل هذه القراءة الثابتة عند القاضي لم تثبت عند صاحب اللباب والا لكان ذاهبًا الى توجيه الآية الاولى بحيث يتم الثانية او صار ذاهلا عنها الذي توجيه الاولى والجملة الرجوع الى المحل اولى

فالحمد لله وحده — والله تعالى اعلم بالصواب

بقيه

الاعراف ١٠١	نساء ١٣٥	مائدہ ١٧٠	انعام ١٩٣	اعراف ٢١٨	انفال ٢٤٤
یونس ٢٧٧	هود ٢٩٠	یوسف ٣٠٦	رعد ٣٢٢	ابراهیم ٣٢٩	محمد ٣٣٧
نحل ٣٤٣	بنی اسرائیل ٣٥٩	کهف ٣٧٣			

اوراق کری

YUMB. GMB.IOTEKA
K.M. Ep. 13662

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فجدد بفاتحة سورة
من سورة مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وانجم من صدى المعارضة
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسوا انهم بحر وانجرا ثم بين للناس ما نزل اليهم
حسما عن هم بين مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب مذكرا فكشف
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب
تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق و لطايف الدقايق لمحلى هممها بالملك والملكت
وحيا ما قد سر الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا وعهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها
من صوص الايات وللماعها المذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد هوى الدارين حميدا وسعد ومن لم يرفع اليه راسه واطفى
نوره بعض دهماء وسعى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فرد الجود ويا غاية كل مقصود
صل عليه صلوة تواري غناءه وعلى من غاله وتبيد بقاءه تقهرا وافض علينا من بركاته
واسألك يا مالك كرامتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم
مقدارا واوفرها ثمرا ومنارا عالم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورايتها واسها
قواعد الشرع واساسها الايليق تعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية
كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطائفها
نفسي بالي اصنف هذا الفن كما يحتوي على صفوف ما ملغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطها انا
ومن قبلي من فاضل المتاخرين وما نقل المحققين وينهب عن القرات المغربة الى الائمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن
قدام وفتني عن الاقتحام بهذا المقام حتى رسخ في بعد الاستخارة ما عزم به عزمت على الشروع

فيما اردته والاتيان بما قصدته تاويلا وتتمة بعد ان اتممته بانوار التنزيل واسرار
التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق للخير ومعطي
كل سؤل سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القرآن لانها مشتملة ومبناه فكانها اصله
ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره
ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية
التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسميت
الكنز والوافية والكافية لذلك وسميت الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة
لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها واستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله
عليه السلام هي شفاء من كل داء والشنع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا انهم
من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او لانها نزلت مرتين
انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تع
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهو مكي بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم
قراء البصرة والمدينة والشام وفقهاؤهما ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة
فيه بشيء فظنوا انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين
كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة
الكتاب سبع آيات واليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اتم سلمة قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله والحمد لله رب العالمين آية ومن اجل هذا اختلف
في انها آية بل انها وما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والتعوذ
محذوف تقديره بسم الله اقراءة الآية الذي يتلوه مقروة وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل

التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابتدأ لعدم ما يطابقه ولعدم ما يدل عليه وابتدائي
لزيادة اضمار فيه وتقديم المفعول هنا اوقع كما في قوله تعالى ايك نعبد لانه اهتم واوفى على الاختصاص وادخل في التعظيم واوقع للجود فان اسمه تعالى مقدم
على القراءة كيف وقد جعل آلة لها مرجع ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يسم ربا سمه
لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للصحبة
والمعنى متبركا باسم الله قراءة وهذا وما بعده مقولا على السنة العباد ليعلموا كيف يتبركون
باسمه ويحمدونه وتالين من فصله وما كسرت ومن حروف المفردة ان يفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولا الاضافة داخلة على الملفظ للفصل
بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون واوخلوها مبتدأ بها همزة الوصل لانه من
الساكن ساكن مبتدأ والمحرك ويقفون على السكون وتحذفه تصريفه على اسماء واسامي وسمي وبحث
وجمعي سمي هدى لخفته قال واللهم اسماك سمي مباركا آخرك الله به اثارك والله يعلم
تطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم
حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل لقلة الاعلال ورد بان تصريفه داخلها عما حذف
صريح في كلامهم ومن لغاتهم وسم قال بسم الذي في كل سمة اسمه والاسم ان اريد به اللفظ
فغير مسمى لانه تالف من اصوات مقطعة غير قارة وتختلف باختلاف الامم والاعصار وتعدم
بانه وتحدث اخرى والمسمى يكون كذلك فان اريد به ذات فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يحب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب
تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مجاز كما في قول
الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة عدوه الى ما هو من صفات المسمى
وهو الباري سبحانه وتعالى وانما قال بسم الله ولم يقل الله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه

اولى للفرق بين اليمين والتبرك ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال فحولت
الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل
يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والالهة الاصل يقع على كل معبود بحق او باطل على
المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهته بمعنى عبد ومنه تالهه
واستاله وقيل من اله الخبر اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اذا
سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل به
من امر نزل عليه والهة غير مجراة اذ العابد يفزع اليه او هو تحير حقيقة او بزعمه
او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من
ولاه اذا احتجب لانه محتجب بالانوار وقيل اصله لاه بغير همز كفعل من لوى اذا احتجب
وقيل اصله لاه كفعل من لها اذا تحير سمي به لان العقول تتحير في ذاته وصفاته
او لاه اذا ارتفع لارتفاعه عن ادراك الابصار وارتفع على كل شيء وعتا لانه يلوه اليه
من حوائج لا يقدر عليها غيره قال الشاعر كلفته
يوصف به ولا يوصف الا هو الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه توصف ولا
لو كان وصفا لكان قولنا لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة
والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه نحت لا يستعمل في غيره فصار كالعلم مثل
الثريا والصعق اجري مجرى الوصف به واستناع الوصف به وعدم نظر في
احتمال الشركة اليه لا تدل انه من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غير معقول للبشر
فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولا تدل كل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهرها قوله تع وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاستقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر
في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها الشيء

فتحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتخفيف الاسم اذا انفتح ما قبله او انضم نحو
وقل مطلقا وحذف الالف لحن يفسد به القلوب ولا يتعقد به صريح اليمين وقبحاء الضرورة
الشعر الا بارك الله في سهيل اذا الله بارك في الرجال الرحمن اسم جاء بنيا للمبالغة
من رحم كالغضبان من غضب والعلم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب والعطف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما توخذ للغايات
الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن كما مر من الرحم لا من الرحمة
الياء للمبالغة كما في غضبان وندمان وقطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما توخذ باعتبار
الكثرة واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول يا رحمن الدنيا لانه يعم المومن والكافر
ورحيم الاخرة لانه يختص المومن وعلى الثاني يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلها وحقيرها وانما قدم الرحمن على الرحيم مع
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم نعم الدنيا ولانها كالعلم من حيث انه لا يوصف به
غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه
فربما يتعمد لطفه وانعامه بمن يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او تقرب لرقة الجنسية
او حب المال على القلب ثم انه كما لوا سطة في ذلك لان ذات النعم ووجوهها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يتحصل
الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره ولان الرحمن للدلالة على جلايل النعم
واصولها وذكر الرحيم لينتاولها خرج منها فيكون كالتتمة والردف له او للمحافظة على
رؤوس الآي والاظهر انه تصرف وان خص بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او
فعلانة لغلبة الفاعل عليه هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليتعلم العارف المستحق
لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها وآجلها عاجلها
وحقرها فيتوجه بقلبه الى جنابه القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشتغل بشكره وذكره ولا

يستمد اليه عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها والمدح
هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه
بل مدحته وقيل هما مترادفان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال
اياديكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المخبا فهو عن عرفانها من وجوه واخص من آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة واد اعلى كانها الخفاء الاعتقاد ومافي
اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والغرة فيه فقال عليه السلام الحمد
راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر
ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال
مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل العقلاء
ان الحمد ما هو والمراد الاستغراق اذ الحمد الحقيقي كله له اذ ما من خير الا وهو مولاه
بوسط او غيره وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اخبار بانه تعالى قادر على
عالم بالحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب
العالمين الرب في الاصل مصدر التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نعم فعل ثم قصر
ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع
الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه
فانه من الجواهر والاعراض لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم بجمعه بالياء والنون كما
اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتاوله الغير عم على سبيل الاستتباع

والضرورية مالا تتأتى الفعل دونه كالقدرة الفاعل وتصوره وحصوله آلة وماذة يفعل
بها فيها وعندنا جماعها توصف الرجل لاستطاعة وصح ان يكلف بالفعل وعلى الضرورة
تحصل ما يتيسر به الفعل وتسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي وتقريب الفاعل الى الفعل
ويحتمله عليه وهذا التسهيل يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات
كلها اذ في اداء العبادات والصوم المستكين للفعالين للقارئ ومن معه من الحفظة
وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين اذ ربح عبادته في تضاعف عباداتهم
وخاطر حاجتهم لعلها تقبل بركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم
المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه واياك نعبد
غير ك ونقديمه ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها منسوبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عن عبادته حتى به لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احواله الا من حيث
انها ملاحظة له ومنسوبة اليه ولذلك فضل ما حكي الله عن حبيبه حين قال الخضر
ان الله معنا على ملكاه عوكلهما قال الا ترى معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه
المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الاي ويعلم منه ان
تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقرب الى النجاح العبادة التي
اوهم ذلك تحققا واعتدادا بما منه لما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا ينبغي له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو
للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون
حروف المضارعة سوى الياء اذا لم يتبعها مما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة
المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افرد لما هو المقصود الاعظم ولهذا

دلالة لطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله نع فاهدهم الى صراط الجحيم على التهكم
ومنه الهدية وهو ادى الوحش لعدم تأتيها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام
او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى نوع
واحد وان تعالت انواعا لا تحصيها عدد لكنها تحصر في اجناس مترتبة الاولى افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال
الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء
كما هي الوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما ينجي من الهدى والثبات عليه فاذا قال له
العارف لواصل عنى به انهد طريق السير فيلذ لتجرعنا ظلمات احوالنا وتمط عوالشي
ابدا بنا المستغني بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى
وتبقا وان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه
فكانه يسرع السالبة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء في الاطباق وقد سمع الصاد صوت الزاي ليكون ابعث للمستدل عليه وقرا ابن كثير وروش
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالادغام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام
وجمعه سرط كالكتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد
به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بالتوفيق للثبات على ما
هو عليه من الايمان والاستقامة على الطريق المستوي وهو في حكم تكرير العامل من حيث ان المقصود بالنسبة وفائدة التاكيد والتنصيص على ان

طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكثر وجوه وابلغه لان صراط الغير واليان
له فكانه من البين لاخفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق الموصوفين وهم الذين
وقيل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
انعمت عليهم بالايمان وفي اصحاب موسى وعيسى قبلهم السلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي الاصل لحالة التي يستلذها
الانسان فاطلقت للمستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول اما معنوي
وكسبي والموصي قسمان روحاني كالخير المرجح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسماني كالخلق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة
له من صحته وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق
والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والملكي المكتسبة وحصول الجاه
والمال والثاني ان يتفضل منه ومرضي عنه وبتوفيقه لما علل بين مع الملائكة المقربين
ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى ذلك من القسم الآخر فان ما عدا ذلك
مشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مفتدة على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك لانه ما من احد الا وله نايل او ليس باهل الموصوف بالجزي
النكرة اذا قصد بها معهود كما تعرف في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني اكرم على
الرجل مثلك فكرر مثلك وجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم
عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل
النعمت او باضمار اعني والاستثناء عن قسم النعم بما يتم القبيلين والغضب ثوران النفس
لارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل على خلاف الاصل ولا حجة في للكيه على ما غير من معنى النفي فكانه قال

لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا اضارب وان امتنع
انا زيدا مثل ضاربه وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا وخطأ
وله عرض من رياض والتفاوت بما بين اداناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى
منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وقد روي مرفوعا وبحقه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان
الجهل عليه من موقوف الجهل بمعرفة الحق لذاته والحق للعمل به وكان المقابل لما من احدا حدي
فوتيه العاقلة والعاملة والمحل العمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
عليه والمحل الجاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضاين بالادغام
على لغة من جذمة الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وجاء مده الفه وقصرها قال
ويرحم الله عبدا قال آمينا
وقال
آمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام لعلي حين سمع جبريل آمين عند فراغه من
قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم
رب العالمين يختم به دعاء عبده بقوله الامام ويحثهم به في الجهر به لما روي عن وايل بن حجر انه عليه
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور
عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والما موم يؤمن معه لقوله عليه السلام
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين واذا قال الامام تقول آمين فمن
وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم آية لو قرئت لاستنارت التوراة والانجيل والقرآن
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب فما السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين

سورة البقرة مدنية وآياتها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي تجيء

بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم المحولها في حد الاسم واعتبار ما يخص به

من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى

ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر

امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح

عليه فاما تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها

حروفا وخداما وهي بركبة صنعة بها ليكون نادبها بالمسمى قريبا فيقرع السمع واستعيرت

الثمرة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي بالنظر الى انفسها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفظة

توجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص

وق نحو غافر فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وكيف مع ان سبيلها لما كانت

عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها فتحيز بطائفة منها يقال لمن يحذق الفن

وفيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما يتلفظون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا

عن آخرهم مع تظاهرهم وفرط فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اوليا بوقوع مستقلا

بنوع من الاعجاز فان النطق بسائر الحروف محض من حظ ودرس فاما من الاتي الذي لم يخالط

الكتاب فمستبعد مستغرب مجاوز للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد رأى في ذلك العجز عينا

الادب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي

حروف المعجم ان لم نعد الالف فيها حروفا بل اسما في تسع وعشرين سورة بعدد حروفها اذا عد فيها

الالف مشتملة على اصناف وانواعها فذكر من الهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه

ويجمعها ستخثك خصفة بضغها الخاء والهاء والصاد والتين والكاف ومن

البوائق المجهورة نصفها لجمعه لن يقطع امر وسن الشديدة الثانية المجموعة في اجدت طلبك

اربعة يجمعها اقطك ومن البوائق الرخوة عشر يجمعها حيث يظن صفر ومن المطبقة

التي هي الصاد والطاء والظاء نصفها ومن البوائق المنخفتة نصفها ومن القلقلة

وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبخ نصفها الاقل لقلتها ومن الليئة

الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة

القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاكثر ومن البوائق

المخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني

ويجمعها اصطوت منها الستة الثابتة المشهورة التي يجمعها اهطلين وقد زاد بعضهم

سبعة اخرى وهي اللام في اصلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في جدف

والعين في اعن والقاف في نزوع الملو والباء في بالسوء حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر

منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين وتمانيهم في مثله ولا يدغم في المقارب

وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والحاء والطاء واللام والياء والخاء والغين والضاد

والظاء والسين والزاء والواو والفاء نصفها الاقل ومتاليهم فيها وهي الثلثة عشر الباقية

نصفها الاكثر الباء والفاء والكاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام

من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيها قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي اللام والراء

والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف اذ لفيئة التي تعتمد عليها ذلق اللسان وهي ستة

جمعها رت منفل والحلقية التي مخارجها الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثير الوقوع

في الكلام ذكر تلثيها ولما كانت اثنية المزيد لا بجا وزعن الثمانية ذكر من الزوائد العشرة

التي جمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها نبهتك على ذلك ولو استقريت الكلم لرأيتها

وجد ان الحروف المذكورة من كل جنس مكتوبة بالمذكورة عرفا انه ذكرها مفردة وثانيه وثلاثيه
ورباعيه وخماسيه ابتداء بالتي يحتذى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة
من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة
الاسم والفعل والحرف واربع ثنايا لانها تكون في الحرف بالاحذف كبل وفي الفعل بحذف
كقل وفي الاسم بتجريد لين وبه كلم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة
على ثلثة اوجه ففي الاسماء من وادوذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن
وبنى على لغة من جرى بها وثلث ثلاثيات لمجيئها الاقسام الثلثة على ثلث عشرة سورة
تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال وربا
عينان وخماسيتين تنبيها على ان لكلامنها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحمش ولما
فرغت على السور ولم تعد اجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة الجملي
وتكريره التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا الذي يحتذى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمد
منها كذا وكذا على اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها
كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم يتساقط مقلدهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القرآن باشرف بيانا وهدى وليلا تمكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مسمياتها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان
يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن
نزل لافهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لانه يقال لهم بجواز
ان تكون موزنة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اسماء
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انا الله اعلم والميم ملكه وعنه

ان الروح وعن مجاهد الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحوذ لك في سائر الفواتح
وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله
بلسان جبريل على محمد عليهما السلام والمدة اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
منتقدا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوها وقالوا كيف
ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فقلبتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
فهل غير فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا نرى بايتها ناخذ فانزل تلا وتم
اياما يهدد الترتيب عليهم وتقريرهم على استبعادهم دليلا على ذلك وهذه الاقوال وان لم تكن
عربية كلها لاشتمارها فيما بين اساطين العربية لخفاء المغزيات كلها كاه والتحيل والقطا
والدال على الحروف والمبسوطة مفهما بها اشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة
خطابه هذا وان اقتصر بها اسماء السور تخريجها الى البس في لغة العرب لان النسبة بدلالة
اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل
من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لا بالنقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف بل تهجا وعرفها من حيث انها قوالب السور والا نقض
ذلك لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات مبينة في لفهم
اما الشعر فشاذ واما قول عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومادتها
الخطاب تمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفهم
بهذه المعاني دون غيرها الا بمخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فيحتاج الى المغيبات والحدث
لا دليل فيه لجواز انه ستر بعضا من جهلهم وجعلها مفسدة لها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى
اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء اغا يتجه اذا ركبت وجعلت شيئا واحدا على طريقة
بعلبك فاما اذا ذكرت بتراسماء العدد فلا وانا هيك لموية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السور والاسم جزؤها

فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته وموخر اعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول قريب

الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم الثقل ووقوع الاشتراك في الاعلام

من واضع واحد فانه يعود الى النقض على ما هو مقصود العلة وقيل انها اسماء القرآن ولذلك

اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كان يقول يا

كهيعص يا حمسق ولعله اراد الاشارة اليها وقيل الالف من فعل الخالق وهو مبدأ المخارج واللام

من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها فجمع بينها اشارة الى ان العبد ينبغي ان

يكون اوله كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثر الله تعالى بعلمه وقد روى

عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم اردوا انها اسرار بين الله تعالى

ورسوله وكرموا لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلها اسماء

او القرآن او السورة كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم

على طريقة اتلا تفعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حروف القسم وبنائي الاعراب لفظا

والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد مما لا نظير له كما قيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسوغ

الابتداء ذكر مفصلا ان شاء الله تعالى والكلام عليها على معانيها فان قدرت بالموالف من هذه الحروف

كان في حيز الرفع بالابتداء او الظرف عاملا ما تراه وان جعلتها مفردا بها يكون كل منها

مسمى او مجرورا على القسم تالله لا تفعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له او جعلها

لبعض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التهجي لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل

المبنية والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها

وليس شئ منها آية عند غير الكوفيين وما عندهم فالسر مواقعها والقصص وكهيعص وطه وطسم

وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهنا توقف لا يحتاج الى الفارق فسد ذلك

الكتاب ذلك اشارة الى الحروف التي الم المؤلف عن هذه الحروف او فيها السورة او القرآن فانه

لما نزل به وتلقى او وصل من الرسل الى المرسل اليهم صار متعارفا وتذكيره متى ريد به اسم السورة

لذكر

لذكرها الكتاب فانه خبر عوضه الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد

به الكتاب الموعود انزاله نحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وعلى الاول

المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بمعنى المفعول كالباس بمعنى

عبر المنظوم عبارة قيل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة

لا ريب فيه معناه انه لو صوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب لعاقل بعد النظر الصحيح

في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لان اصل الارتياب فيه الا يرى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب

مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا

في معارضة عجم من تحويه وبيذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوهم ان ليس فيها

مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير

المجرور والعامل فيه الظرف او الواقع صفة للنفي والخبر الاصل نفيها حتى النكرة اذا احتمل

فيك الريبة وسمي ما يقلق النفس واضطراب اليها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة

وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه

الزمام ليوانيه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهداية الاصل صيد كالحزى والتقى

ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى

هدى او ضلال مبين ولانه لا يقال هديت الا لمن اهتدى ولاختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون

به والمتقون بضبه وان كانت دلالته عامة لكنها لما ظهر من لج او كابر فزويها الاعتبار فالقي

هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الكلام والاباة

والظرف المجازات وتعرف النقات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانما يحلك نفعا

ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من مجمل ومتشابه في كونه هدى للمتقين

عن بيان تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من فعلهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة

وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وذلك بترك الأولى فوق عن
العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية الخشية على كل
ما تأثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف اسم التقوى في الشرع والمعنى بقوله
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بكليته
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسروا قوله هدى للمتقين
على الاوجه الثلثة والآية تحتمل وجهًا من الاعراب أن يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن
او السورة ومقدرة بالمؤلف منها وذلك خبره وإن كان أخص من المؤلف مطلقًا والاصل
ان الاخص لا يحمل على الاعم لكن المراد به المؤلف لكامل في تأليفه اما لبلوغه درجات
الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفته وذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك
خبرًا ثانيًا ولا يخلو الكتاب صفته وترب في المبهوت مبني لتضمنه معنى من مصوب المحل لا الذا
للجنس المعاملة عمل ان لانها نقيضتها ولا رتبة للاسماء المزيلة وفي قراءة ابي السمناء مرفوع
بلا التي بمعنى ليس وفيه خبر ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص
نفي الترب به من بين سائر الكتب كما قصد ابطال صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال
او الخبر محذوف كما في لحمه وذلك وفي على لان فيه خبر هدى قدم عليه
لتنكيره والتقدير فيه لا ترب فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى
انه الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتابًا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر
الم ولا وجه ان يقال انها اربع جمل متسقة فيقدر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالمراد جملة دلت على ان المحذوف به هو المؤلف من جنس ما يتكون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجملة المحذوف بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال تجعل على
كماله في نفي الريب فيه لانه كمالا على مثله الحي واليقين ثم الدال كونه حقًا لا يحتمل ان يكون الشك
بانه هدى للمتقين او بتتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول بيانه انه لما نبه

ولا ريب جملة ثالثة
تشهد على كماله

اولا على اعجاز المحتدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته اشتبح منه
ان انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يحتسب الريب باطرابه اذ لا
انقص مما يجيء به الشك والتهمة وما كان كذلك كيف لا يحق الهدى للمتقين وفي كلا جانبي
منها كلمة ذات حظ له في الاولى الحذف والترقي الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة
التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرًا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرًا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية
وتسمية المتارك للتقوى متقيًا للتجارة وتخصيصها لانه الذين يؤمنون بالغيب اما
موصولة بالمتقين على انه صفة مجرورة محلًا له ان فسر التقوى بترك ما ينبغي تركه عليه
ترتب التخلية على التحلية والتصوير على التصفيل او منصوبة ان فسر التقوى بما يتم فعل
الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلوة والصدقة فانها اتهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبًا الا ترى الى قوله الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة واياتاء الزكوة بالذكر
اظهار الفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما مفصولة عنه برفوع الابتداء وخبر اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تامًا والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ما خوذ من الامن كان المصدق
امن المصدق من التكذيب في المخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق
بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن وامنه ما امنت ان احد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام
كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقادي الحق والاقرار به والعمل

بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه للتصديق وحده انه
وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال اكتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان
ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وفرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة
التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو سبعون الارادة فالايتار اللغوي الباء هو التصديق
وفاقا ثم اختلف في ان محل التصديق بالقلب هل هو وحده او لا بد المقصود ام لا بد
من اقتران الاقرار به للتمكن منه وجعل الخوارج هو الثاني لانه مع عدم العذر من ترك
الجاهل المقصر وقلنا بان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والغرب شيء
المطمئن من الارض والخصية التي للكلية غيبا وفعل خفف كفخذ والمراد به الخفي
الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني
بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هنا اذ الجملة صلة للايمان وآثر فعلة موقع
المفعول به وان جعلته حالا اعط تقدير الملتبسين بالغيب كان بمحل الغيبة والخفاء
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود
قال والذي لا اله غيره ما آمن احد ايمانا افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقد
المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لكن يقولون بافواههم

ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها
من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة قال ما اقامت عزى سوقي الضراب لاهل العراقين حولا
قيل فانهم اذا حوفظ عليها كانت كالناهي الذي يرعب فيه واذا ضيعت كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يتمترون لاوانها من غير فتور ولا توان من قولهم قام
بالامر واقامه اذا جد فيه وجد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يودونها عن
الاداء بالاقامة لانتظامها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والتخوف والتنقص
والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الخشوع
من رائع حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع
والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر
في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم قول للمصلين والصلوة فعلة
من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلا لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهر زهدا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله
عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون والرزق في اللغة الحظ قال تعالى ويجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه بعض الشيء للحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما اتفقوا
من الله ان كل من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس
برزق الا ترى انه يشتد الزرق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال
الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله

بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الواو واصحابنا
جعلوا الاستدلال للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم تحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقنا
هم الحلال للقربته وبتكوين الفعول الرزق له بقوله عليه السلام فجدب عمرو بن قرة
لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من
حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المعتدى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والفوق الشيء واتقاه اخوان ولو استقر
الالفاظ وجدت كل ما فاء ونون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر
من انفاقها رزقهم الله صرف المال في سبل الخير من الفرض والنفل ومن فسرها بالزكوة
ذكر افضل انواعه والاصل فيه اوخصصه بها لانها تمام هو شقيقة باوتقدم
المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن
الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي اتاهم الله
من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان عما لا يقربه يكبره
يتفوق منه واليه ذهب من قال ومتاخصصهم به من انوار المعرفة يفيضون

والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مومنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يومنون بالغيب داخلون معهم في جملة
المتقين وخصوا بحث اعم اذ المراد بالذين آمنوا عن نفاق واكفار وبقولوا
مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس وعلى المتقين فكانه قال
هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم
ووسط العاطف كما توسطه في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصباح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين كيت
بما يدركه العقل جملة والايتان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين

الحاصل ان المعطوف اما ان يكون مغايرا للمعطوف عليه بالذات
او وصفا والاول اما ان يكون المعطوف عليه الذين يومنون بالغيب
او المتقين والثاني اما ان يكون المعطوف نفس المعطوف عليه
بالذات او الفاقة منهم فيكون اربعة اوجه فيكمل ثمانية

الايمان بما لا طريق له غير السمع وذكر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وطائفة منهم ومن
يومنون اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم
وترغيبا لامثالهم والآخرة نقيض الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يكون بتوسط
الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل ان يتلقفها الملك من الله
تع تلقفا روحانيا ويحفظه من اللوح المحفوظ ويتراسه فيلقيه على الرسول والمراد بما
انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله
تع انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكل
كله منزلا حينئذ وعما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين
وبالاولى دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية
لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يتيقنون
اتيقانا زائدا على اتيقان من آمن من اهل الجنة كالمؤمنين من اليهود والنصارى وان
النار لم تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره
وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وتنكير الضمير ما يعرض عن عبدة الاصنام
من اهل الكتاب وبناء الاعتقاد في امر الآخرة على مطابق ولا صادر عن ايقان
والايقان اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف
علم الباري تع ولا العلوم القرآنية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو وهمزة نعم ما قبلها اجراها مجرى المضمومة في وجوب
وقلبت
ونظيره لحنا المؤمنان اني مؤسي وجعدة اذا اضاءها الوقود اولئك على هدى من ربهم
الجملة في محل الرفع ان جعل اخبارا للموصولين مفصولا عن المتقين خبرا له وكانه لما قيل

هدى للمتقين قيل لما ألم حضوا بذلك فأجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخرها

ات والآفات شيئا فلا محالها وكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة وحوت آمال

قال المرصوص بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظم حسن بن زيد صدقك

القديم حقيق الاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة

وهو ابلغ من بيان بتسعة اعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتخصيصه

فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء على هدى تمثيل علمهم

من هدى واستقرارهم عليه بحال من ركب الشئ وركبه وقد مر جوابه في قوله تعالى

الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر ودامة النظر

فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل وكم هدى للمتعظ كلامه ايديه

ضرب لا يتاح لكنه ولا يقادر قدره ونظير قولك للهدى فلان وابى الطير المرقشة بالحمى على مثال

لقد وقعت على علم والدال تعظيمه بان الله ما تحته والموقع له وقد اغرت اللون في الراء

نعته وبين غيبة واولئك اشعر بعلو منزلتهم وكمال فضلهم لما فيه من معنى البعد

ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحد من الامرين وان كلا منهما كاف

في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله

اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه

بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل

الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند اليه بالمسند اوله ومبتدأ والمفلحون

خبره والجملة خبر اولئك والفلاح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه

الظفر وهذا التركيب وما يتاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق

المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغت انهم المفلحون في الآخرة او

الاثنان اليما تعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف

نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بمثل الايتين احديهما من وجوه شتى بتأليف الكلام

على سمط الاشارة للتحليل مع الايجاز فكرين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرتهم

والترغيب في فعلهم وقد نبت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في النار

ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم

لا عدم الفلاح له رأسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه

بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم المعدة المرتهنة من الكفار الذين

لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم تعطف قصتهم على قصة المؤمنين

كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى

سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح غرورهم وتباينهم في الضلالة

وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الابتداء

واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الرفع

وموضع الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل وعمله فيه وقال الكوفيون

الجزء الثاني كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية

الاستصحاب فلا يرفعه للرفع وأجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتعلقه

عنها في خبر كان وقد زالت بدخولها فبقي ما عدا الكون وفاقدتها تأكيد النسبة وتحقيقها

ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك

عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناه في الارض وقال موسى يا فرعون

اني رسول من رب العالمين قال البزدوي قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد

الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عند الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول

اما للعهد والمراد به ناس معينون كانوا في علم الله تعالى او للجنس فيدخل هؤلاء دخولا اوليا

او للجنس مطلقا ولا يمنع حكم على الكفر وغيرهم خصوص عنهم غير المصرين بما اشير اليه والكفر

لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وسواد الزرع من قبل الزراع والليل
كافروه كام النعمة كافورو في الشرع انكار ما علم مجيء الرسول به وانما عد لبس
الغيار ومنه الزنار ومحوهما كفرا لانها يدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام
لا يجترأ عليها ظاهرا لانها كفر في نفسها واستحقت الحقارة بما جاءت في القرآن بلفظ الماضي
على حدوثه لانه سيدعلى سابقة محدثه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثها يستلزم
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم خبران وسواء اسم بمعنى
الاستواء نعت به كانت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع سواء
بانه خبران وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه وانما خبرا بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا على الانساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقولك
واذا هم لهم آمنون يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة
وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانها خرجت عن معنى الاستفهام لتجرد الاستواء
كما خرجت حروف النداء عن الطلب لتجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة
لانه اوقع في القلب واخذ تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهتم من جلب النفع
فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وفي قرئ انذرتهم بتحقيق الهمزتين
وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وتوسيطها والثانية بين بين
وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة

لاحد ما قبلها فما فيه الاستواء فلا محل لها وما لا يصلح لذلك فمحل لها اما الرفع
قبلها اعتراض بما هو على الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون والخبر عنهم لا يكون الا كذبا وتحمل بانهم لا يؤمنون فيما
علم الله منهم لا يؤمنون فيما يظهر لك والحق ان التكليف لا يمتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعي غير ما يصلح للامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او عدمه لا ينافي القدرة عليه كاخبار تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا يجدي التزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم
ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول المختوم على اعيانهم فمن الحجرات
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بمنع الخاتم عليه لانه كتم له
والتلويح آخرا نظرا الى آخر فعل يفعل في احراز والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد
بهما ان تحدث في نفوسهم هيئة تمنعهم عن اكتساب الكفر والمعاصي واستفتاح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح
فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعافها استماعه فتصير كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين
المستبصرين وتصيرها كانها غطي عليها وجعل بينها وبين الابصار وتسامها على الاستعارة حقا
وتخييلا او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بشيء ضرب حجاب بينها وبين ما
ستنفاع بها حتما وتعطيله وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى وانك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم والاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه

عن ذكرنا والاشياء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهو موجب ان المكتاب باسرها
مستندة الى الله تعالى وانما بقدرته استندت اليه وليست انها مسببة منها
اقتضى بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا وطبع على
قلوبهم وردت الاية باعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرب المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تشبيه قلوبهم
بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او وقد يختم الله عليها وتقيم سائله الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل
الشيطان والكافر لكن لما كان صدوره عنه باقدار تعالى اياه اسنده اليه
اسناد الفعل الى السبب الرابع انا عرفنا بهم لما ختم في الكفر واستحكمت حيث
لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر لم يقسرهم بقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سدّ لايمانهم وفيه اشعار على تراخي امرهم في الغي وتباعد انهما
كهتم الضلال والتي الخامس ان يكون جملة لما كانت الكفرة يقولون مثل قولنا
في الكنة متاندعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه وتنبيهه له قوله وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون
عنهم وعلى المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى
سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه والوقاية على الوقف عليه ولانهما
لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاصة فعلهما الختم الذي يمنع من
جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة

المخصصة تلك الجهة وكرر الجار ليكون على شكل الختم في الموضعين واستقلال كل
منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس وعنبا الاصل فانه مصدر في اصله والصاوز
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية
العضوان لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به
العقل والمعرفة كما في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جازانما مع التضاد
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
والجار والمجرور عند الاخفش وتوحيد العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة وعلى هذين الجار وابيا للختم بنفسها اليه والمعنى وختم
على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب ومما فتان فيها وغشوة
بالكسر وتوعه والفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال اسم وضع للتنكيل عبّر عن الشيء ونكاعنه
اذا امسك لانه يتمنع المعطش ويزدعه ولذلك شيء نكاحا ونكرا ثم اتسع فاطلق على كل الم
قادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يزدع الجاني عن المعاودة فيقوى عنهما وقيل شاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير وفي التوصيف به اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر لاضافته اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة
ليس مما يعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم
كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى
بشرح حال الكتاب وسابق بيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين تحضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفوا الفئة

واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو اللفظ بما يفيد وبقال بمعنى المقول والمخبر
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ والرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت
الحشر الى ما لا نهاية له والى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات
المحدودة ومآهم بمؤمنين اكاريا ادعوه ونفوا ما انطوت اثباته وكان اصله وما آمنوا
لتطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في مضي الزمان ولذلك
اكد النفي بالباء واطلق الايمان ليشمل ايمانهم بالله واليوم الاخر وبما قبله لشائه بالايمان
بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان مرادهم نفي الايمان وخالف قبله لشائه بالايمان
عتقاد لم يكن مؤسسا الا ان من تقوه بالشهادتين فارغ القلب عنها نوافقه او نافه لم
يكن مؤسسا والحلان مع الكراهية في الثاني فلا تتمشى حجة عليهم يخادعون الله والذين
آمنوا الخدع ان تورم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتشرك عنا هو يصده ومن قولهم
اخدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وضبع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج
من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للغرفة والاخدعان عرقين خفيين في العنق والمخادعة
تكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصد
خديعته بل المراد انما مخادعة رسوله على جهة دفع المضار وعلى ان معاملة الرسول
معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله وانما اتصور صنعهم مع الله من اظهار الايمان و
استبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثالا لرسوله والمؤمنين امر الله في
اخفاء حالهم واجراء احكام الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين
ويحتمل ان يراد يخادعون يخدعون لانه بيان ليقول واستيناف يذكر ما هو الغرض منه

انما قيل بالقسم الثالث المذبذب بين قسمين وهم الذين آمنوا فواههم
جواب سؤال
ولم تؤمن قلوبهم تحيلا للتقسيم وهم احبتا الكفرة وابعضهم الى انفكاكهم موقوف الكفر
وخلطوا به جبانا واستهزاء طوفا في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكمهم بافعالهم وتحامل
على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وترقيهم من المنافقين في الدرك الاسفل من
النار وقصتهم على آخرها معطوفة على قصة المحرمين والناس اصله اناس كقولهم انسان
وانس وانما حذفت الهمزة حذفها في لوقته وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع
بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس اسناد وهو اسناد مجازي لخالد اذ لم يثبت
فعالى في بنية الجمع ما خود من يأس لانهم يستأنسون باشالهم او انس لانهم ظاهرون
مبصرون ولذلك سموا بصرا كما سمي الجن جنا لاجتنابهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
او لعهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة مرادها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث هم معدودون في عداد المنافقين
الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر بايذاء خواصهم تحت
هذا الجنس فان الاجناس تشوع بزيادات تختلف فيها بانواعها فعلى هذا نكون الآية
تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الاعظم من الايمان واتى بالباء تنبيها على ان الايمان من جانبه واحاطوا بقطريه
واذا خلوا منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان
القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر اي انا لا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
ويزعمون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وانهم اطهم في كفرهم
الآن مما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا
كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء اذعاء الايمان كل
واحد

انها خرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل منع غلب
فاعله فيه كان المنع منه اذا جاء لا مقابلة معارض ومنازع يحبب ذلك وبعضهم قراءة
من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدعوا انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة
بالله وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فتطلعوا على
اسرارهم ويذيعوها الى مبادئهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخدعون الا
انفسهم وما يخادعون قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم
وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما عرضوها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم الاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية وقراءة الباقون وما
يخدعون لان المخادعة لا يتصور الا بين اثنين وقرئ وما تخدعون بمعنى يخدعون
ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول في نصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح ومتعلقه وللدم
لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللبارئ في قولهم فلان يوازي نفسه لانه يشبهه عنهم
او يشبه ذاتا بامر ويشير اليه والمراد الا نفس ههنا ذواتهم ويحتمل جليا على ارواحهم
وآرائهم وما يشعرون لا يحسون ذلك لغادي غفلتهم جعل الحوق والخداع ورجوع ضرر
ذلك اليهم في الظهور كالمحسوس الذي يحس بالمشموم والمسموع بالحاسيس وشعارها
بشار حواسه واصله الشعور ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض
حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز
في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها آفة عن نيل الفضائل الموصلة الى رضوان الله الحقيقة الابدية
والآية محتملها فان قلوبهم كانت مثالة تحرقا على ما فاتهم من الرياسة وحسدا على
المؤمنين من ثبات امر الرسول فاستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء

امره وازاده ذكر وقوع ما توعدهم به الله وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام
وغيرها فزادهم الله ذلك ايمانا وارداد التكاليف وتكرير الوحي وتناقص النصر وكان
اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى الشيطان في قوله
فزادتهم رجسا الى كونها كسبا وقيل ان يزاد بما يخل قلوبهم من الجبن والحزن حين شاهد
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما
زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم حزن بما كانوا يكذبون
قراه عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء له وهو فواتهم آمنا وقراء الباقون
يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول يقولهم واذا خلوا الى شياطينهم ومن
كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الثنى وموتت اليها ثم ومن كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ووقف لينظرها وراءه فان المنافق مخبر مردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف
ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي
ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شبه
الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او
يقولون وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ينوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس
الذين كانوا فقط بل يكون من بعدهم حالهم حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي
فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعتوران كل ما فيه
وضار وكان من فسادهم في الارض هتك الحروب والفتن بمعاداة المسلمين وموالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من
الناس والدواب والحرث ومنعها ظاهر المعاصي والامانة بالذين فان الاخلال بالتدابير
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والفساد هو الكفر والمعاصي
الرسول لما بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جوابا لما ورد للناصح على سبيل المبالغة

وعدم المبالاة بمن منهم ان فشا الناس بعبد الله بن سلام واشياعه واتسقه
خفة وسخافة رأى يقضي بهما نقصان العقل والحلم يقابله
الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون زيدت مبالغة في جهلهم فان الجاهل بحقائق الحوادث اعظم ضلالة واشد
المتوقف لعجزه عن جهله فانه ربما يعذر وينفعه الآيات والنذر وانما
والتي قبلها لا يشعرون لانه اكثر طبعا فالذكر السفه ولا ان الوقوف على امارات الدين والتمييز بين الحق
والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر وانما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فما يدرك الا بادنى
تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان
لما قابلهم مع المؤمنين وانكار وما صدرت به القصة فيه فائدة لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم
فليس بتكرير وكان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد
هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركت من
والقاه المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته
فانك بطرحه حملته على ان يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان والبه اذا انفردت
معه او من خلا لك الدهر اي عدا لك ومعنى عنك ومنه الفرن الخالية او من خلوت به اذا سخرت
منه وعدى بالى لتضمين معنى الاتهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في مرتبهم
وهم المظهرون كفرهم واصافتهم اليهم للمشاركة والكهانة او لمجاراتهم للمنافقين والقائلون
وجعل سيبويه نونه ثانية اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد
له قولهم تشيطن واخرى دالة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم
اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة

بان لا تهم قصدوا الا بوفق دعوى احداث الايمان وبالغاية تحقق بانهم على ما كانوا
عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع
رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدله
منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين قالوا لهم انا
قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم الهزء فلان اذا مات على مكانه وناقة
تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم مجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ اما للفظ او لكونه مثلا له في القدر
او يرجع وبال استهزائه عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ انما في الدنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان وانما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه
واذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استوفى به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى يتولى مجازاتهم ولم يرجع
المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه له في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله
لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم انما نحن بالاستهزاء بمحمد فما لا ونتخذ دينا
بعد حين وهكذا كانت آيات الله فيهم كما قال ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت السراج والارض اذا اصلحتها بالزبل والسماد لان المد في الغيها فانه يعدي

باللام كما تملى لهم ويدل عليه قراءة ان كيدهم ومكرهم والمحترلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على
ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطاقة التي يتمكنها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم
وتوسيدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة ترايد قلوب المؤمنين
انشراحا ونورا وكان الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند الزيادة الى الله تعالى اسناد
الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم للابذ انبههم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق
ذلك انه لما اسند الملة الى الشياطين اطلق التي وقال انا معكم اخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمد
لهم فحذف على لهم ويمدهم اعمارهم كي يتمتعوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها حذف
اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم
مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالكفران والقيان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامة وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال على الحد
الجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها
به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فاذا كان احد العوضين ناضا تعين ان
الا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذلك اشتراء والا فاي العوضين يتصور به كون الثمن فاذا
تشتري واصله بايع وذلك عند الكلابي من الاضداد استعير للاعراض عما في يده تحقيقا له
غير سواء كان من الحاق او الاعيان ومنه اجدت بالحج راسا اذ عرا وبالفتا الواضحات
الدرر وبالطويل العمر عمرا حبذا اكاشتراء فانه استعمل في المنال ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة
عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اختاروا الهدى الذي جعل لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التي هو اليها واختاروا الضلالة واحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم
ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه بما يناسبه كقوله تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما
رايت البشر عراة بين ذالة وعيشتي في وكريه جائع له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع

والفاء للتلاة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لختم قلوبهم وختمها
من السماء عطف على الذي ستوقدا في كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم وأوثر الاصل
للتساوي في التشبيه ثم توسع فيها فاطلق للتساوي من غير تشبيه مثل جالس الحسن او ابن سيرين
وقوله تعالى فلا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان
ومن ذهب قولا او كصيب ومعناه ان قصته لما فيها قصتين شبيهة بهاتين القصتين وانما سواها وفي
التشبيه بهما وان تخير في التمثيل بهما او بإيهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول
يقال للمطر والسحاب والرعد والبرق صادق اذا وصف بشئ من ذلك وفي الآية تخليطها وتنكيرها تكثير
اريد به نوع من المطر الشديد وتنكير السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بأقاصي السماء وكلها
فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال وطبق بعد ارض بينا وسماء مد بعد ما في
صيب من الصوبة وهي الاصل والبناء والتكثير وقيل الراد بالسماء السحاب فالتنكير ظاهر
الماهية فيه ظلمات وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ اذا اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة كفاته بتتابع القطر وظلمة
غمامه مع ظلمة الليل وجعلهما كانا للرهدو البرق لاتهما في علوه وتحدره ملتبسين به السحاب
ظلمات تحتبه وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظن وفاقا لانه معتد على موصوف والرعد
صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها
الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب مرة بعد اخرى وكلا هما مصدر في الاصل ولذلك
لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الكتب
مقامه لكن معناه باق فجوز ان يعود اليه كما عاد ضمائن في قوله يسقون من ورائها البرص
عليهم يرى بصوتي الترجيع التسليل حيث ذكر الضمير لاتاويل المعنى بما يرى والجملة استئناف فكانه
لما ذكر ما يوذن به الشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق لانه مانع
موضع الاماتل للبالغة من الصواعق متعلق بمحذوف اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه
من الحمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار او كل شئ يتبين الا اتت عليه من الصعق وهو
مطلق الصوت

صاعقة نفعلة من الصعق للمبالغة كالرجفة والقرقعة والكاف في الشبه خلعا من الاسم من الصعق ومحله النصب او الجر موصوفا بصفتها وكذا

ورد بان يطوى ذكر المستعار له بان لا يكون مذكورا ولا مقدرا ولا منويا بل يكون معناه مرادا بلفظ المستعار منه فقط فيستعمل لفظ الشبيه بالشبيه ويراد به المشبه وهذا هو معنى الاستعارة التصريحية على ما نورات اكثر المحققين والكنية ان يذكر الشبيه ويطوى ذكر المشبه به وقد يقال ان ذكر الشبه هنا عند من لم يذكر في التلخيص طريق الاستعارة وعند من ذكر فيه طريق الكناية والمستعار له هو الموت سقطن كما اذا خاف الطفل الشبح وارتعد

فاتهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باسنطان الكفر واظهار من حين حلوا الى تابلهم
ومن الدلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتكبوه بعد ما عرفوه من حقه احوالا
الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لهم بما نهم
من حيث انه يعود عليهم بحفظ الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم
والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة والذهاب انواع واظناس نوع باصلكم واقتناء
حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها ثم بكم على لما سدوا من مسامعهم عن الاصغاء
الحق وابوا ان يتطفلوا بالسنتهم وينتفعوا بالآيات باصارهم جعلوا كانما الآيات مشاعر
وليست فوائد فقوله صم اذا سمعوا حيرا ذكروا به وان ذكرت بسوء عندهم اذيوا وكذلك
اصم عما ينفي الذي لا يرين واسع خلق القحس اريد واطلقا عليهم على طريقة التمثيل الاستعارة
اذ من مذهبها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقو
رهيمة لها سيد شاك السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم وفي من ثم قيل للمقلمين الحوع
فيرمون عن قوس التشبيه صحيحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى نظن الجهول بان له حاجة في السماء
وان طوى ذكر كعدم للمشبه لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة ربداء
تفرق صوح الشمال وهذا اذا جعلت الضمير لما فقيس على الاية فذلكة التمثيل وتجنيحه واما جعله
للمسوقة دين هي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هي
ظلمة ادبارهم بحيث انخلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثها قرئت بالنصب على الحال من مفعول
تركهم والتنكير لعلة صلابة من اكتنفها الاحراء ومنه قيل لحجر اصم وقناة صماء وعماية القارورة
سمي به فقدان خاصة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنفا بالتجويف فيه يشتمل على
هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه انه يبصر وقد يقال لعدم
البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي
اشتروها او لا يرجعون لا يذكرون ما يتقتضي ان يتوبوا او لا يرجعون الى حيث ابتدأوا منه كيف رجعوا
بالنظر الى

استئناف ثالث تقدم ذكره مرارا

فوقهم لا يرجعون
قال الراغب الرجوع العود الى ما كان منه البدء
والفاء

ولا كذلك التوقف ويجيء فاعلا ومنه قامت السوق اذا نفقت وقام الماء جمد وقوله
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اى لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بهما لكنه لم يفعل لانه لا داعي للموجب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد
حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط
وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني خرجوه على انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه
وقرئ لاذهب باسماعهم وابصارهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابداء المانع لذهابهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تأثير
الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى فان وجودها مرتبط بها واقع بقدرته
وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتعريفه والتنكير يخصص الموجود لانه في الاصل
مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة ووحد تنبيها على ان الكل بارادة واحدة قل الله
وبمعنى مسمى حرى على شيء وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله
على كل شيء قدير فانه يحتمل ان يكون عاما مخصصا لكل شيء فيما علم عمومه بالاستثناء والمعتزلة لما قالوا
الشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيخرج ايضا الممتنع لتخصيص الممكن في الموضعين بدليل العقل
والقدرة هو الممكن من ايجاد الشيء وفعل صفة تقتضي التمكن وفعل قدرة الانسان هيئة
بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا
لم يفعل والقدير المقابل للشاء على ما تقدم وكذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق
القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته وعلى مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه
دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدور لان مقدور العبد مقدور الله
تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التقابل الموقفة وهو ان تشبه كيفية
منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه ولا صفت حتى صارت شيئا واحدا باحرى منها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة

قوله تعالى لقاله الخ اى التوبيخ متضمن جزء من الموضوع فيفيد ان اتصاف اسرته
قريب من الوضوح والحال لعروض سببه فان وجود مجرد السبب بعيد قوله
وجود المسبب فلان العلة التامة فان وجود مستلزم وجود المعلول

شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد وبه فسر الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق وشدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بعلة من الصواعق لسواء كلا
اللغتين في الشرع فيقال لصعقه البرق وخطبت مصقع وصعقته الصاعقة وهي الاصل
اما صفة لصعقة الرعد والمعهد والشاء لكل لغة كناغ الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذف الموت نصب على الحال كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيق وقيل
عرض بصادها كقوله خلق الموت والحيق وردة بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدر
والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كالا يفوت المحاط به المحيط لا يحقهم الخداع والحيل والحلة
اعتراضية لا محل لها كاد البرق يخطف ابصارهم استيناف كان كما جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوع لرجاء فوع مخض ولذا جاءت
كخلان عسى خيرها مشروطة ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود من الخبر
لتوكيد القرب بالدلالة على الحال المتوقعة ترشيح لها على عسى كما حمل عليها بالحذف من خبرها
لخبر كادها في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بالسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف
على انه يخطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت فيها الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء
الساكنين واتباع الياء لها ويخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خطوف البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اتاسقة
والمفعول محذوف بمعنى كلما توهموا منفعة اخذوه او لازم بمعنى كلما لاح لهم مشوا في مطرح نوره
وكذلك اظلم فانه جاء متعديا مستقبلا من ظلم الليل ويتهجد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقوله اذا قام عمها اظلما حالي تمت اجلا ظلاميها عن وجه امرأ شين فانه وان كان
من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه واغاقال مع
الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا مسافة فرصة انتهزوها

بحال الحيارى جعله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال الماشفين من الحيرة والدهشة
بما يكاد من انطفاء ناره بعد اقباده في ظلمة أو بحال من اخذه الشتاء في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان ياخذ
اشياء فرادى فتشبهها باشباهها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وقوله امرأ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي بان تشبه في الاقتران وان المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان
بالاستيقاد والنار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك
باضاءة النار وما حولها المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باطفاء نارهم وافشاء سالمهم
وابقاءهم في الخسار الدائم والعذاب الشديد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفي الثاني بانفسهم باصحاب الصيب ايمانهم المحاطة بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات
ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذا الصوب عاد نفعه
ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سوالهم من الكفر بجعل الاصابع
في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد
بهم من الضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما ضاء لهم امرا في
خفقة اتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخلوا على بصيرة ثم اذا اخذوا في
لعانه بقوا مستقيمين لا حراك لاحدهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان
من الحاذر التي هي سبب للحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها
من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد
والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد
بحالهين بهوله الرعد فيخافون صواعقه فيستدانه عنهما مع انه لا محيص لهم منها وهو معنى
قوله والله محيط بالكافرين واعترازهم لما بلغ لهم من رشديد كونه اورد يضيء اليه اصابعهم

بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتخيرهم وقوفهم في الامر حيرة عرض لهم شبهة اوتعن لهم
مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على ان نوع
حال هم السمع والابصار يتبع تبلوها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها
عن الفوايد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم الحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير ياء فيها
عبدوا ربكم لما عدد فيما تكلفين وذكر حواشيهم ومصارين امورهم اقبل عليهم بالخطاب على
سبيل الالتفات هز السامع ونشيطه له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجعل الكلفة
العبادة بلدة المخاطبة وابرزهن لنداء البعيد وقد ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اتما لاحظيته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد ولغفلته وسوء فعله
او للاعتناء بمدعوله وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل
واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال الياء عليه متعذر لعدم الجمع بين حرفي التعريف
فانها للتنبيه وهذا حكم المنادى واجري عليه للمقصود بالنداء وصفا موصوفه والترم رفعه اشعارا
بانه المقصود والحق بتمامه اعانة التنبيه تاكيدا ونعويضا عما يستحقه اي من الحضور اليه
واعاكر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله عباده
من حيث انها امور عظام من حقها ان تتفطن لها ويقبلوا بقلوبهم عليها والكرام عنها
غافلون حقيق بان ينادى له بالاكيد البليغ والجمع واسماؤها الجلالة باللام للعموم من حيث انها عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال المحققين بعمومها على اتخاذ الانداد من اهم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سواهم
لما ترتب ذمه عليه السلام ان من مقتضى خطابه واحكامه شامل للعقلاء من ذات الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء في القرآن فيها يا ايها الناس فمكي وما فيها
الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور
هو المشترك بين بدو العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها

بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المحمدة والاقرار بالشكر فان من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم الا به فكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والا
اشتغال بما عقيبه ومن ثم امر الذين اسلموا ان يزيلوا دمهم وبناتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة
هو التربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل النصب على اختصاص الخطاب
بالمشركين وانهم اربابهم عن الرب الحقيقي والالهة التي يستوجبها انها والخلق ايجاد الشيء على
تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم
صلة ولكل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما الاعتراف به كما قالوا ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وفي
من ملكهم على فحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كالخم جرير في قوله يا تيم تيم عدي
لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال عن الضمير اعبدوا
كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو الانزجار من كل شيء سوى الله الى
الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الشيخ يدعون ربهم
خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على الادغام جميعا وقيل لعلهم يتقون
اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف ذلم يثبت في اللغة
مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر
في مصنوعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها ما وجبت عليه
شكرا لما عدد عليه من النعم الشاملة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض
فراشا

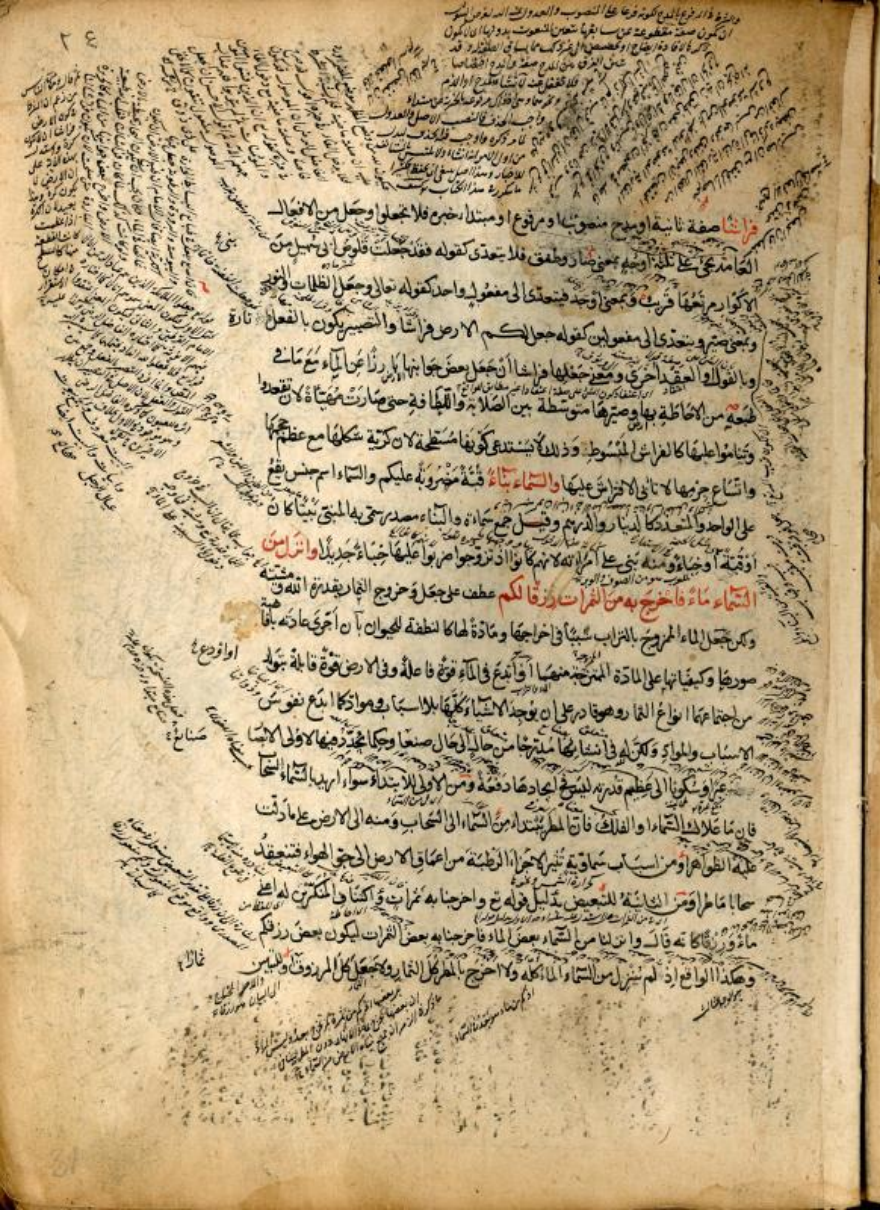

فراشا صفة ثانية او مدح منصوبا او مرفوعا او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال
التي تجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من
العامة ومعنى خلق قدر ومعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
والاكوار مما قدر ومعنى اوجد فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار
ومعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل
والقول والاعتقاد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض اجزائها بارزا عاليا مع ما في
طبعه من الاحاطة بها وبسيرها متوسطة بين الصلابة والقبقاب في حين صارت مهيأة لان تقعدوا
وتناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مستطيحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها
واتساع جرمها لا تاتي الا اقتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبنى بنيانا كان
او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانه كانوا اذا تزوج احدهم بنوا عليها خباء جديدا وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته
وكون جعل الماء المخرج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بانها
صورها وكيفيتها على المادة المتوجه منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة بتوله
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب وموادكما ابدع نفوس
الاسباب والمواد وكلها في انشائها ملئة خالية من حالها الاول صنعا وحكما تجد فيها لا ولى الالباب
عبرا ويكون الى عظم قدرته ليسوقهم الى ايجادها دفعة ومن الاولى الابتداء سواء اريد السماء الجهة
فان ما علاك سماء او السقف فانه المعتبر ابتداء من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما ذكر
عليه الطواهر او من اسباب سماوية تنير لاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو الهواء فتعقد
سحابا ماطرا وعن الثانية للتبعيض دليل قوله تع واخرجنا به ثمرات وكسانا والمكثرين له اخرج
ماء ورزقا كانه قال وانزل لنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم تنزل من السماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق طيبا

ورزقا منصوبا على المفعول به لكلوا والمعنى كلوا مما رزقكم الله واتركوا ما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والموضع موضع الكفر لانه اراد بالنعمة جماعة النعمة التي في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وبقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم قراءة من قرأ رزقناكم على التوحيد ولان المجموع يتعاون بعضها مع بعض كقولك كم ركبا من جنات وقوله تلك قرى اهلكناهم اولانها لما كانت محللة باللام خرجت عن حد القلة وكل صفة رزقا ان اريد به المرزوق فمعمول ان اريد به المصدر كقولك رزقا أباكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق بما بعده والله اعلم اى مخطوفا عليه وهي منصوب باضمار ان جواب لها وليجعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ اسباب السموات فاطلع الحافا بها بالاشياء السنة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تقولوا لا تجعلوا له ندا او الذي جعل ان استأنف به على انه نحى وقع خبرا على تأويل مقول فيه فلا تجعلوا والقاء التسبيبية ادخلت عليه لتفيد ان الجدال مع الرسول والمعنى من حقكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير انيما تجعلون الي ندا وما تيم لدى حسب نديد من ندد وذا اذا نفر وناددت الرجل خالفته حض المخالف المماثل في الذات كما حض المساوي للمماثل في القدر وقيمة ما يعبده المشركون من دون الله انداد وفي زعمهم انها شاركوه في ذاته وصفاته ولانها خالفته في فعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسووها الهة شابهت حالهم حال من جعل مقدورات واجبة الذات قادرة على ان تدفع عنهم امر الله وعذابه ما لم يرد الله بهم من خير فيأتيهم به وشنع عليهم بان جعلوا انداد المن يمنع ان يكون له ند ولهذا قال له موحدا لها صلة زيد بن عمرو بن نفيل ارنا واحدا او الف ربا واحدا دين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حالا من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون متروح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر والرأي فلو انتم سلمتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للمكنات متعال عن مشابهة المخلوقات وسموني وهو انها لا تسمى آلهة ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتشريك لا تقييد الحكم وتصريح عليه فان العالم والجاهل

والجاهل المنكر من العلم سواء وفي الكشاف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يعتاجون اليه ومعاشهم من المطعم والملبس والمناكح والمساكن فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غير من شهدت على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما ذكر عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فشبه البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل الحواس وارد واجع القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والاضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة الى آخره تقرير وتحقيق وتبيين الطريق الموصل الى العلم بما ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بلغت فصاحة كل منطيق والجامه مرطوب بعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم واولعهم في المضادة والمعارضة وتهالكهم على المعارضة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه وتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما فالوا متنزلنا لان نزوله نجما نجما يناسب الوفاء على ما ينزى عليه اهل الشعر والخطابة متعارضتهم كما حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضافة العبد الى نفسه تشريفا له كما يذكر وتنبيها على انه مختص بمنقاد لحكمه وفرق عباده ان يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة

الجلد

استعير للترتيب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل
فى الحالة والرتبة ثم استعمل فى الامر الذى لا يحمد ويحتمل ان يراد به الاخرة لقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اى لا يتخذونهم اولياء ويتركون ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال الحنيفية يا نفس اياك دون الله اى اتقى
اى اذا تجاوزت وقايتك الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا او بالحقوا ادعوا الى المعارضة
من حضركم او ومن يحضرونه من انسكم وجنكم والهكم عز الله فانه لا يقدر على ان يأتى بمثله
الا الله اذا دعوا من دون الله شهداء ايشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا يستشهدون الا
لله فانه من ذا يدانيه العاجز المبهوت عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين تحتجون بهم من دون الله
اولياءكم او آلهتكم ورعتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على
زعمكم من قولك لا عشى تبث الفدفد ومن دونها وهى دونه ليعينوكم ومن اجلهم ان يستظهروا
بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقل من دون الله اى من دون ان
يأتوا به يعنى فعجزوا العرب ووجوه الشاهد ليشهد والكل ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما ثبت فساده وبان احتاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وحول محمد وقد طعن عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر لذلك
على كلا اذا وأما من لا يعد تعالى كتب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصريح التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علم وهم ما كانوا يعلمون
به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة تأتين لهم ما يتعجزون
به امر التحدى وما جاء به وتبكيتهم الحق عن الباطل ترتب عليه ما هو كذلك وهو انهم اذا جهدوا
فى معارضته وعجزوا جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والقصد بنفى ما وجب ان يثبتوا
به وانقوا العذاب المخلد لكذبهم وعجزهم عن الاتيان بالفعل الذى هو الاتيان وغيره محالا
وترك الاسم الجارى على سبيل الكناية تهويلا للامر وتعظيما لشانه العناد وتصريحا بالوعيد
مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذى يستدعيه حال المخاطب وهو الارتياب فى المتحدى به
مقتضى ذا الذى هو الوجوب فان المقام يحتاج

من القرآن مغرزة محزوزة على حيالها والمحنوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها والمراد من التوراة التى هى الترتيبة قال ورطها حزقيل فى حد سورة فى المجد ليس غيرها
بطاركا فان التوراة كالمنازل والمراتب بينة فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل
والشرف وثواب القراءة وان جعلت قابوها سبيلة من الهمزة فمن التوراة التى هى البقية
والقطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا امر ذا الانواع وتلاحق الاشكال الاعجاب
والنظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك صنه
كما انه اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متوجه فيها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا
تاما وقارئا نفسه محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وانتهى به الى غير ها مما فى لغوله
من مثله صفة سورة اى سورة كائنة من مثله والضمير لما نزل او من للتبعيض وللتبيين وزائدة
عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة
كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل الاوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان
الكلام فيه لانه المنزل عليه فحقه ان لا تحذف عنه لتنسق الترتيب والنظم ولان مخاطبته
اللحم العفير ان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من آحاد جنسهم البالغ فى التحدى من ان يفاخروا بآبائهم
نحوا الى به هذا آخر مثله ولانه تعجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدور
من لم يكن على صفته ولا يخفى قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر ارباب يستعين
بكل من يصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او الناصر والامام
وكانه سمى بذلك لانه يحضر النوادى ويقوم بحضر الامور او من الركس للحضور لها بالذات والنصر ومنه شهيد
للمقتول فى سبيل الله لانه حضرها كان يرجوه او الملائكة حضروه وشهد دون اذا فى مكان من الدنى
ومنه تدوين الكتب لانه اذا ثبت البعض من البعض ودونه هذا اخذه من ادنى مكان منك ثم

لم يكن شاكا فى عزمهم ولذلك نفى بيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تنبيها لهم وخطابا منهم على حسب
ظنهم فان الغرض بذل الناصح لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال كلن
بالمضارع منسلخة المعقول ولا تنافيها صيرتهم ماضيا مارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع
وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعها ولم يكلا فى قوله المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف
مشبه عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصلا لان وعند الفراء
لاما ابدلت الفا نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول قدت النار وقودا عاليا والآية بالضم ولعلهم مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه
وزين بلده وقيل بهما والظاهر ان المراد بها الاصنام وان لابسها بالمصدر على حذف مضاف اى وقودها
احتراقا الناس والحجارة وصى جمع حجر كجمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام
التى عبدوها وقربوها الى انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار
بها كما تهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشاء
جرمهم كما عذب الكافرون بما كثروه او نفيض ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم ويدل عليه
والفضة التى كانوا يكثرون بها ويفترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من الحطب
بالكفار وجه وقيل جهنم الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للقصود واذا الغرض تهويل
شانها وتفاقم امرها بحيث تتقد بما لا يتقد لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت
ما نزل بمكة قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صريح تعريض النار
وفى غير الجملة صلة فانها اجساد لكون فضة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال بإضمار قد من النار
لا الضمير الذى فى وقودها بان جعلته مبتدأ والفصل بينها بالخبر فى الآتين ما يدل على النوع من جمع
الاول لما فيها من التحذير والتحريض على الجد وبذل الوسع فى المعارضة بالتفريع والتهديد وتعليق الامر
على عدم الاتيان بالمعارضة قصد سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واستمرارهم بالفصاحة وتمرنهم

على المصادمة لم يجدوا والمعارضة والتحدى الى يوم القيامة الوطن وبذل المجهود والثانى تضمنها الاخبار عن
الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه لتنبى لا تسع خفاؤه فاشتهاها والطاعنون فيه اكثف من
الذابين عنه فى عصر والثالث انه عليه السلام لو تحدى بما هو من امر مادتهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله عدت للكافرين دليل على ان النار مخلوقة
معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف نوا به على حال من كفر به وكيفية عقابه على
ما جرت به العادة الالهية من ان يتبع الترهيب بالترغيب تشفيعا لاحدهما بالآخر وتنبيها
عن اقتران ما يجرى لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يغلب له ما يناسبه كله من امر او نهى عطف
عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر عجزهم واذا ظهر ذلك فمن كفر
استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعى ان يحوت هؤلاء ويبشر هؤلاء
وايمانا الرسول عليه السلام وعلم كل عصر وكل احد بقدره على البشارة بان يبشر بهم ولم يخاطبهم
بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايمانا بانهم احقاء بان يبشروا ويسوءوا بما اعد لهم
وقرئ وبشر على البناء للفعول عطفا على عدت فيكون استيناف او البشارة الخبر السار فانه
يظهر اثر السرور فى البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال للرجل
لعبيده من بشرنى بقدوم فلان فهو حر فاخبره فرادى عتقوا ولو قال من اخبرنى منكم
جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على ارادة القول اى فقولوا بشرهم
والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة فالطالحة
كيف المجاز وما يتفاوت صالحة من الاعمال بعظم الغيب ثابتة وهى من الاعمال ما شرعه الشرع
وحسنه وتاثيلها على اصل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم
عليها اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اثر والعمل الصالح كالبناء عليه والاعتناء به لا بناء عليه

ولذلك قل ما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن معنى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وبما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وانصاء الفعل اليه او مجرورا بحذف حرف مثل لله لا تعالى والجنة المرة من الجن وهو صد جنته اذا سترهم ومدار التركيب على الستر حتى بالجن المطلل لالتفاف اغصانه للناظر كانه يستر ما تحته ستر والجنة قال

كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اى نخلا طوالا ثم استعير لما فيه من الاشجار الكثيفة المظلة ثم لدار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانها ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعيم كما لا تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وتكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والمقامات واللام يدل على استحقاقهم اياها لعمل يترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاتهم فانه لا يكافي النعم الباقية فضلا عن ان يقتضي ثوابها وجزاء فيها يستقبل بعمل الشارع ومقتضى وعده ولا يحمل الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها هنا استغناء بما يجري من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها كما ترى هاجارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انها الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول وقد يضم البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بجريها على الاخدود الجاري نشيها واستاد الجري اليها مجازا كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها مجازا يقيها منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف وجملة مستانفة كانه لما قيل

ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناسا اخر فاجيب بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء والغاية ان تقديم الكلام ومعناه كلما حين رزقوا ثمرا رزقوا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتدائه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا لما تقدمه كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى متجر هذا الذي لا يقطع فانك تعني به العين المشاهدة مع النوع المعلوم الستمر شيوعا قبل جريانه والاشكال ان الاعيان لا تعاد والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة قال بعض المحققين من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف منفرة عن غيره وينبغي لها مرتبته وكيفية النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يتعهد فلن يأكله بل يكون الاكل اول وفي الجنة لان طعامها مشابه الصور كما حكي عن الحسين ان احدهم يؤتى الصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فالالوان واحد والطعم مختلف او لما روى انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والا فالاظهر انها فاكهة على عمومها فانه يدل على تردد هم هذا القول كل مرة رزقوا والمعنى لهم الى ذلك فرحا استغرابهم وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير في الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من الطعمة الدنيا الا الاسماء فلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة التي

عليه الحمد والصلاة والسلام

يعتورها الاستحالة التي يحمل اجزاؤها مثلاً متناوبة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى بعضها
شيء على حالة المتعاقبة وهو ما لا يتفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض الحيوان
هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم
انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان هلاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعيم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة
غير صافية من شوائب الالم ثم المؤمنين بها ومثل ما اعدهم في الآخرة بأنهى ما يستلذ منها
واذا علموا خوف الفوات بوعد الخلود ليذل على كمالهم في النعيم والسرور ان الله لا يستحي ان
يضرب مثلاً ما بعوضة لما كانت الآيات الشاقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان
حسنه وما هو المثل له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق التمثيل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل
في العظم والصغر والخسة والشرف دون المثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه واجرائه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل المحسوس وحب الحاكاة ولذلك
شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير الحقير
بما هو اعظم منه والعظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما يمثل في التعجيل بمثل القدرة الخالقة والقلوب
القاسية بالحجارة ومخاطبة السفهاء بإناث الزاجر وبحاء في كلام العرب اسجع من فراخ والهيثم
من فراشة واعز من نحو البعوض كما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال
المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واخس قدراً منه انه على واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضاً لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل من رب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن
بعد ظهور امره شرع في جواب طعنهم فيه فقال ان الله لا يستحي ان يضرب المثل
بالبعوضة ثم ان من يستحي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح خافة الذم وهو لا

ي ساط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كما ترى في اطلاق الشيء بهذا وان الآية
محملاً آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه نظائره ومن شابه
بعضها تماثلها في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فشا
الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويلزم من احوالهن كالحيض والنفاس
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير مستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى
بالدخان نقنعت واستحلت نصب القدور فعلت فالجمع على اللفظ والافراد على اول الجماعة
ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة المبالغة من طاهرة ومتطهرة للاشعار
بان مطهرهن غيرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل ما هو
قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فالمطعوم هو النغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلنا مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وحسبها ان يصح
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما لزم منها ويفيد عين فائدتها
وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك
قيل في الاثافي والاحجار خوالد ولهذا الذي بقي من الانسان على حاله ما دام محتاجاً خالداً ولكان
وضعه للدلالة على التقييد بالتابيد فوله خالدين فيها الدلالة على ان ذلك حكم دائم كلي
وقف محلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما محلدا ومايوضح للاعم منه فانه يصح ذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما ينطق له من الآيات
والتشريف في الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية
الى الانفكاك والانحلال فكيف بعقل حلوة هذه الجنان فانه تعالى يعيدها بحيث لا

بين لوقاحة التي هي المراءة على القباح وعدم المبالاة والمجل الذي هو احتداد النفس من الفعل
مطلقا واشتقاقه من الجوى فانه انكار يجري في القوى الحيوانية فرقها عن اتفاقها فقيل جوى
الرجل كما قيل بشي وحشي اذا اعتلت نشاه وحشاه واذا وصف به الباري تع كما جاء في الحديث
ان الله يستحي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع العبد يديه
ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لهما ونظيره قوله يضف البلاء اذا اشتد والمال
يعرض نفسه كرعن سبب في الماء من الورود وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
وتحمل الاية خاصة ان يكون محمله على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل عمامة
الخاتم واصله وقع الشي على آخر وان يصلتها محذوف المحل عند الخليل اضمار من مضوف
اقتضاء الفعل اليه بعد حذفه فيها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا
وتسد عنها رقا التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كما التي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني المزيد للتعوالضايع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يرد
بعض يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيد له وناقة وهو زيادة في الجدى غير قادح فيه
ونعوضه عطف بيان لمثلا او مفعول الضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة
او تمام مفعولا ثاني لتخذنه معنى الجعل وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ وهي هذا يحتمل ما ذكروها
هما احران يكون موضولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وهو
صوفة صفة لذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كما تقدم
استبعادهم ضرب الله الامثال قال ابعد ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل الى
ان يمثل بما هو احقر منه لذلك ونظيره فلان لا يبالي بما ركب ما دينا ودنيا ولا ادون والبعوض فعول
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخوض فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما

استكروه

استكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة فجاجها فانه عليه السلام ضرب به مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا جثى على ركبتيه فسطلا فقالت عايشة سمعت رسول الله صلعم
قائما من مسلم تبتلك ثوكلة فيأنوفها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما تجاوز النوكلة في الاسلام كالحمرة وما زاد عليها في القلة كخفة النملة كقوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخسة النملة **واما الذين امنوا فيعلمون**
انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل وقوله ما به ضمير مبتدا ومعنى الشرط وقوله للذين
بالقياس الى سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شي فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانما منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا الاتيان
حرف الشرط فاذا فعلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به اخذ الايمان
المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير انه للمثل والان يضرب
والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة من قولهم
حق الامر اذا ثبت ومنه نوب محقوق بحكم الشرع **واما الذين كفروا فيقولون** كان متعلقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون لتطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **ماذا اراد**
الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبرها او ان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شي منصوب المحل على المفعولية مثلا اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني لمطابقة الجواب السؤال والارادة نزوع
النفس ومنها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع
الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور ان اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في
معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه عزم بها وامر بها وقضى بها فعلى هذا لم يكن

هو القول الطالب للفعل وقيل مع التلفظ وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له الشان وهو الطلب والقصد يقال شانت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل بحرف النصب والخفض على الخلاف بل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقص لنواله والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني كان صدور لا يتفك عن حالة موصوفة فاذا انكرت كون الكفر منهم حالة توجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من انكرون واوفق لما بعده من الحال الخ مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وحبث الفعال الخاطم على حماقة الاشقياء ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك وهو التعجب في اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي جمادا لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا وبيضا فخلقكم وجعلكم مخلقة وغير مخلقة فاحياكم خلق الارواح ونفخها فيكم واتاكم عطف بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف الواو ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم النفخ الصور او في السؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تشرفون اليه من قبورهم للحساب ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تكنهم من العلم بها لما نصب لهم من الدلال متمكنا من مشاهدة علم في اناحية العنصر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا

فان

فان بدو الخلق ليس امرا هون عليه من اعادته او مع الفضلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعد عليهما على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستغرب صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قلت كيف يعد الامانة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من اشرف النعم العظيمة مع ان العدود عليهم نعمة هو المعنى المشترع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها كالكائنة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يجوز ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة للتقرير لكنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا ايتها الاناسي فاحياكم بما افاد كم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بالاعمال الصالحات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة وما يقتضيها وسائر الحيوان حيوانا مجازا في القوة النباتية لانها من مبادئها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال علوا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف الباري تعالى اريد به صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا ومعنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستمرار وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين ثم بعد اخرى وهي خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير

او دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف بما يلائمها من الذات الاخرة والاسماء الحق وجهه
الغرض فان الفاعل الغرض مستكمل به بل على انه كما الغرض من حيث انه غاية الفعل ومبدؤه وهو
يقتضي باحقية الاشياء التامة ولا يمنع اختصاص بعضها بعض الاسباب الوجود عارضة فانه
بدل على ان الكل للكل الآن كل واحد الكل واشتد ما يتم كل ما في الارض الا اذا اريد جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجيء حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها
اقباله وارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء و
الاستواء طلب التسوي واطلاقه على الاعتدال الذاتي من تسوية وضع الاجزاء ولا يكون حمله
عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق ولا اول دون للاصل والصلة المعدي بها والتسوية المرتبة عليه
بالقضاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو ولعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفصل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا الترامي في الوقت فانه مخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخير دحو الارض المتقدم على خلق
ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الآن تستأنف بدحيها مقدما على نصب الارض فعلا آخر
دل عليه انتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها وتدبير امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن
عطف تفصيل على مجمل من مضمونة من الموبخ والتقرير وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه يجمع في
معنى الجمع والا فبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او نعت فان قيل السبع
انما عهدت بالابصار اثنتي عشرة فلا الف فيما ذكروه سبحانك وان صح فليس الا له
في الزايد مع انها لا يعلم انها العرش والكرسي لم يرق خلاف وهو بكل نوع علم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الا
نفع وأست الآيات من كان فعله على هذا النسق المجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حليم رحيم وان وجه



لما كان خلق ابدانهم من ان الابدان لما تفتت وبدت اجزاؤها واتصلت باجزاء كالكيف
لا يحتاج فيه الى مادة بمجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها
كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات
وقد برهن عليها في هذه الآيتين اما الاولى فان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واما الثانية
هان عليها بسطوة كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافناء والاجماع والموت والحيوة
عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يدوم ولا يتغير واما الثالثة
فانه عالمها وبواطنها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اتيانها بانه تعالى قادر على
ابدانهم وابدالها هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعيا فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على انه عالم به وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو
والكسائي الهاء من نحو قوله وهو تنبيها له بضعفه واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة خلقا لنحو ثالثة تم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته
بان امرهم بالتجود انعام تم ذريته واظرف وضع لزمان نسبية ماضيه ووقع فيه اخرى
كما وضع اذا نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجاب اضافتها الى الجمل الحيث في الكلام
وبنات تثنيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلها النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكروا اذ انتم قليل فعلى اضمار اذكروا
تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قال
او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معرفا له مرها في القرآن كثيرا او منصوب بما دل عليه مضمون الآية
المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة
وعن سمرة انه يريد آدم لانه جمع سلالة على الاصل كما تقدم والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله اوكاد

اختلف في حقيقة الملائكة

اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل اخبروا بذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم دائم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يتدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض ولما افسدوا فيها بعث اليهم الجيش في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال وما عدا من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اصل فيها لانه معرف الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون معرف حال والخليفة من يخلف غيره وينوب مناب والهاء للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام فانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله وعمار الارض وسياسة الناس وتحمل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم للحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واستعلت قوتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم على صورة كلمة بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة المعراج وتقدم ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء عن القيم الملابسة من اتباعه جعل البارئ بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن

العليون والمقربون

المدبرات امرا

الطوائع تائبين

كلام الله موسى في الميقات ومحمد ليلة المعراج

الارض



الارض قبله او هو ودريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا او افرادا للفظ انا للاستغناء بذكر عن ذكر نبه عليه كما استغنى بذكر الى القبيلة في قولهم حمر وهاشم او على اول من يخلفكم او خلفا يخلف بعضكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بيان شرف موجود بمكان ملكوته وتلقيه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسبب علمهم وجهلهم وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في عرف ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او تخلف ما كان اصل الطاعة اهل العصمة واستكشافا عما خفي عليهم من الحكمة التي اقتضت تلك المفاسد وانتهائها واستخبارا عن اندراج شرهم وبروز خيرهم كسؤال المتعلم معلمه عما يعترض في صدره وليس اعتراضا على الله تعالى ولا طعنا في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلقي من اللوح او استنباطا باعتبار كمن في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياسا على احد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك بقيد الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عرضا القربة ونحوها وكذلك الشن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجح الى من شاء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى التعجب عما اطلعوا عليه من مخايل السخط او ترتب المفاسد على الخلافة او مما يعلمون من انفسهم من الغفلات ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما خفي عليهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين من الاستخلاف والتعجب والتناكر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو شهوة وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وقيل ان الله تعالى اوحى اليهم ذلك او دعاهم الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو ما نعتبار

القوتين لا يقتضي لحكمة اعجازه فضلا عن استحالته واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم
ما يتوقع منها سليمة عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين
اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الحركة العفة والشجاعة ومجاهدة الهوى و
الاضاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستعمال
واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال انى اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيدا لله عن السوء
وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد فيها
فقدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبتعد عن الاقذار ومحلها في موضع الحالي للتبيين كقولك
علما المتاسع تك ووفقنا لتسبيحك تذاركوا بهما اوجههما اسناد التسبيح الى نفسهم
وتقديسك نعظم نفوسنا عن الذنوب اجلالا كما هم قابلوا الفساد المقترن بالشرك عند قوم التسبيح
وسفك الدماء الذي هو اعظم الاعمال الذميمة بتطهر النفس عن الاثام وقيل نقدس لك
واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما على علم ضروري بها فيه او القاه في روعه وقلبه
يفتقر الى بنية اصطلاح ليتسلسل او التعليم فعل يترتب عليه العلم عادتا والله تعالى قادر
عليه فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كما دروشالح او اشتقاقه من الادمة والادمة بالضم بمعنى
الاسوة او من ادم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض
وحرفها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه احمرا فاوسمر والادمة بمعنى الالفة تعطف
كما شتقا وادريس من الدرس ويعقوب من العقب والجليس من الابلاس والاسما باعتبار
الاشتقاق مما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او دالا
بنفسه واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في
الآية اما الاول والثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف

على العلم

على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والعلم
بمعرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
الانتفاع ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير باسماء
المسميات فحذف المضاف اليه للعلم المحذوف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس
شيبا لان العرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء وانما ايتان
بضمير العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء
هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن تمام الخلافة فانها التصرف والتدبير وافاضة المعلوم
قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال اذ ليس تكليف ليكون
من تأتي التكليف بالمحال الا انباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واشغالهم فيهم وهذه صفتهم
لا يليق الحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتعلق الى الكلام
باعتبار منطوقه قد يتعلق اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يتعرى
الانشاء قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واخبار بان سؤالهم
لهم كان استفسارا لوجه حكمة عن اعراضا وانه فوبان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة
في خلقه واظهار لشكر نعمة باعترافهم وكشف لهم بما اعتقل علمهم ومراعاة للادب بتفويض
العلم كله الله وسبحان مصدر لفعل لا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال وذلك جل مقاله
التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني

كنت من الظالمين **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فضل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت انت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ وخبر جملة خبر ان **قال يا آدم انبئهم** اخبرهم **باسمائهم** اي باعيانهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء وبهما فلما انبأهم باسمائهم **قال الم اقل لكم** يا آدم **انى اعلم غيب السموات والارض** اي ما غاب عنهم **واعلم ما تبدون** من كلامكم **وما كنتم تكتمون** من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها ونحوه لان قوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط لكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور الغيوب والاسرار علم ما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة فعلم ما لا يعلمون وفيه تعريض لهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا منتظرين لان يتبين لهم وقيل ما تبدون قولهم الجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احق بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل **يا** للتنبيه **ادم** امر من الطاعة وأثر منه ابليس من المعصية والهمزة للاكراه دخلت حرف الجر فافادت الامر بالطاعة **قال** والتقدير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومرتبة العلم وفضله على العبادة وانه خطر في الخلافة بل العدم فيها وان التعليم بمعنى اسناده الى الله تعالى وان لم يسم اطلاقا للمعلم عليه لاختصاصه بمن يتحرف به وآلاته التوقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعلمها ظاهرها القاؤها على المتعلم مبتدأ له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل بقي ان يكون ذلك الوضع من كلام قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علومه للملائكة وكلامهم تقبل الزيادة والنقصان معاذ الله في الطبقة الاعلى منهم وحلول علمه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانه اعدادهم افضل من تعلموا الملائكة لانه علم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى علم الاشياء قبل خلقها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم **فسجدوا** لا بأمرهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود اعترافا بفضله واذ الحقه واعتدادا

لما قالوا فيهم وقبل امرهم به قبل ان يسوى وخلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه فقعوا له ساجدين تحيتهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الفرع على الفاء والتاء بين ان نفسه تحصر ولا عطفه بما بعده بناء على ان الجملة المنتقلة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وتحية خامسة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن ومنه قيل للشاعر تزى الاكيم فيه نجدة الكواهر وقيل وعلى هذا سجد لليلى فاسجد يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة واما سجود الملائكة فالمحمولة الحقيقة هو لله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه وسببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها ارى الموجودات باسرها وشحته للمآل العالم الروحاني والجسماني ودريعة للملائكة الى استقباء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تأتى بوائيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بوساطته فاللام فيه كاللام في وقوله حسنان الهي وان مولى تعطفا واعرفي للناس بالقرآن والسنن وفيه قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما السجود الذي هو التواضع لاكرم تحية وتعظيما لمن يسجد لاجوه يوشك له او التذلل والانقياد الذي من حصل ما يسوغ به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم **يا** سابق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا ان يتذلل وصولة في عبادة ربه او بعظمه وثقله بالحية او يحدمه ويسعى لما فيه جره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اي في علم الله او صار منهم باستصحابه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر المتضع للمفضول والتوسل به كما استعبد به قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس

يصح العطف عليه وانما يحاطبها او لانها تبعا على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان الالم للعهد ولا يهود عنها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه
كان بستان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الا
هباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا
رافعا صفة مصدر محذوف حيث شئتما اى مكانا من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة
والعذرة الشاذ من النجوة المنهي عنها من بين ثمارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات الشئ ولمبالغة
في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا ما
مجامع القلب وتنبيه على ما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشئ يعمي ويصم فتبقى ان يحملوا
قول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه ويحتمل سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصي ونقص حظها بالايتان بما يخل بالكرامة والنعيم فان القاء بيد السببية سواء
جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او البنة او تجمن من اكل
منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر القاف وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما
عن الجنة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما
عن الجنة يحملهما على ازلتهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما يتقاربان في المعنى غير ان ذلك
يقتضي عزة مع الزوال والازلال قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن
الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فاوحى لهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف
توصل الى ان كلمهما بعد ما قيل له اخرج منها فاذا لك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قاسمهما

كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله
تعالى الا ابليس كان من الجن فضلا ومن الملائكة نوعا والا ان ابن عباس روى انه من الملائكة
حيا يقال له الدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه
كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان معهم ولانه مغلب عليه الجن ايضا كما ان
مأمورون مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا غلب الاكابر مأمورون
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
وكانه قال فسجدا المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس معصوما وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة وتحارصوا من الملائكة
لا تخالف الشياطين بالذات وانما تخالفهم العوارض والصفات كالبرة والفسقة من الانس
شر والجن شيطانها وكان ابليس من هذا الصنف كما قالت ابن عباس فلذلك استثنى عليه التغيير
من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
الا فيما كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة الله عليه
السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كما لتفصيل لما ذكرت
فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب سمه من مرض الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومنى
كلمت عادت الحالة الاولى جذعة وكما ان الجن يدخل بعضهم بطون بعض ويأكل الطعام كذلك
اشبه الثواب وفي الجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى من فوائد الآية استقباح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الاتعاظ بالمحذور في قصته وان
للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يموت على الكفر هو كافر في الحقيقة اذ الحرج بالموانع وان
كان يحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى يحيى الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبثت وانت تأكيد له والمسكن

ظاهرية الوحدة التشخصية وصحتها
الاشتقاق مقاصدهم ان ياخذ العقد ويجاز
لانه الاشارة الى ان الغاية هي
الهبوط من الموضع وهو الانتقال
الهبوط من السماء الى الارض
شرح البيضاوي

عندا الباب فنادا ثما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فاراهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اى من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء اللو
تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس وكانها الجنس كلهم وهما والجبل الخ
ثانيا بعدما كان يخاطبها للوسوسة او دخلها ثانية او من السماء بعضكم لبعض
عدو حال اى متعادين فيما عدا الوالد والمحق متعادين يبغى بعضكم على بعض تضليلا ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار واستقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت
او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات استقبلته ولقنته ومعنى قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت ارجعت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين الشم والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما ترتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم ان لا يعود اليه والتعقيب بذكر آدم هنا وان حواء كانت شقاله في الحكم ولذلك لم تذكر
ذكر الشقاء في آخر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر
اعائتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى اريد به الرجوع من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا اكرر لتاكيد
وللاحتراز عن المقصود فان الاول لا يدل على ان هبوطهم لاداء وظيفة يتعاونون فيها ويتعاهدون

والثاني

والثاني اخبرنا بهم اصلوا للتكليف فمن اهتدى اهتدى نجا ومن ضل هلك والتنبيه على ان
مخافة الاهباط المقترن باحدهذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة
حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كلا واحد منهما كفى به نكالا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو بعيد
حائل اللفظ تاكيد المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقوله جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ولذلك حسن
تاكيد الفعل النون وان لم يكن هناك معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال الاوامر والنواهي
فمن تبعه منكم نجا وفاز واما على يعرفونه بذلك وايتانه الهدى كما ياتي الرسل كما تحمل في نفسه عزم واجب عقلا
وكرر لفظ الهدى ولم يقل فمن تبعني لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اى فمن تبع ما اتاه من اياتي فيما ياتيه مما يتهدد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه
ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على التوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العذاب
واثبت لهم الثواب على اكد وجه وانبله وقرئ هدئ على لغة هذيل وكاخوف بالفتح
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع
الى آخره فسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفر بالله وكذب بآياته او كفروا بالايات حيث اباوا
بواجبها لسانا فيكون الفعلان منوجهين الى الجاحد والجحود والآية في الاصل العلامة الظاهرة
ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من
كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل وانقطاع فهاهنا اي لانها تبين انا من اتى او من ارسل
اليه واصلها اية او اوية كفرة فاعلت عينها على غير قياس او اية كرمكة
فاعلت او آية كاما حذفت الهمزة تخفيفا واريد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها
وعسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول

ان آدم صلوات الله عليه كان نبيًّا وارتكب النهي عنه والمرتكب له عاصٍ والثاني يخطئ
بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث ان تعالى
اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربّه فغوى والرابع انه تعالى لفقه التوبة
ومحى الرجوع عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لو لا مغفرة الله اياه بقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم
يتب لم يجز عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيًّا حينئذ والمدعى مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسرها بترك الاولى
له وانما اسند الغي والعصيان اليه فسيأتي في الجواب عنه في موضعه ان شاء الله وانما اثبر
لتوبته غلافيًا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاءً بما قاله
للملائكة قبل خلقه والثالث انه تعالى ناسيًا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزمًا ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان فانه وان خطئ عن الامة لم يخطئ عن الانبياء لعظم
قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
او اذى بعمله الى ما جرى عليه على طريق السببية المفتقرة دون المواخذة كتناول السم على الجاهل
بأنه سم لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما يفعل بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ليس فيها ما يدل
على انه تناوله حين ما قاله ابليس فعلل فعاله اورث فيه ميلًا طبيعيًا بحيث انه كفت نفسه عنه
مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال الداعي فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام
اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك
الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تنبيها
لئلا ان الخطيئة لحقتها او كادت وفيها الدلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان
التوبة مقبولة وان شيع الهدى عاقبون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وانه

لا يخلد في مفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها بتعداد النعم العائمة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو بها
في الكتب السابقة ممن لم يتعلم ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب مختص بنوع النبي منها
ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم مزية لذلك يدل على انه قادر على
الاعادة كما كان قادرا على الابداء عاتب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم
الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء اثر النبي ليكونوا اول من آمن محمد وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى
صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واشرائيل بحذفها واسرايل بقلب
الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان عجور حسود بالطبع فاذا نظر الى انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على
الكفران والتخطوان نظر الى انعم الله به عليه حملت النعمة على الرضا والشكر وقيل
اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليكم
من اذراك زمن محمد صلوات الله عليه وقرئ اذكروا والاصل افعلوا ونعمتي باسكان الياء
واسقاطها رمزا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان
والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم والوفاء بهما عرض عريض
فاقول اتى الوفاء متناهي الايمان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها
متنا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلًا عن غيره ومن الله تعالى التوفيق والبقاء

كما فى من اهل الكتاب ومن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه اوّل من كفر من مشركى مكة واوّلا فعلا لا مفعولا وقيل اصله أوّلل من وَّلَّ فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى أو أوّل من آل فقلبت همزته واد غمت ولا تشتروا بايآتى ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختار وها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فحرّفوا فى الحق ويكتمونه واياى فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقبلين هم بالرغبة التى هى مبدأ السلوك والخطاب الثانية لما تخص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يراد به جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يتميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلطه الباطل الذى تكتبونه فى محلاته وتذكرونه فى تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه وبعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كما تمين وفيه استعارة بان استصحاب اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لا تشكون كاتمون انه الحق اذ الجاهل قد يعذر وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرها كلا صلوة ولا زكوة أمرهم بمزوع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فانّ اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثنى للنفس فضيلة الكرم أو من الزكا بمعنى الطهارة فانها

الايمان بهم

تأتون وهم

كافر

تطهر المال من الحبث والنفس من الخلق وارکعوا مع الراکعین ای فی جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرین درجة لما فیها من نظام النفوس وعن الصلوة بالرکوع احترازا عن صلوة الیهود وقیل الرکوع الخضوع والانقیاد لانهم کانوا لا یرکعون فی صلوتهم قال الاستاذ السعدی لا تذل الضعیف علک ان ترکع یوما والدهر فیه رفعة اتامرون الناس بالبر تقریر مع توبیخ وتعجیب والبر التوسع فی الخیر من البر وهو الفضاء الواسع شیئا والاخیر ولذلک قیل البر ثلثة بر فی عبادة الله تعالی وبر فی مراعاة الاقارب وبر فی معاملة الاجانب وتنسون انفسکم وتترکونها من البر کالمنسیات وعن ابن عباس انها نزلت فی احبار المدینة کانوا یامرون سرا من یعرفونه باتباع محمد ولا یتبعونه وقیل کانوا یامرون بالصدقة ولا یتصدقون وانتم تتلون الکتاب تبکیت کقوله وانتم تعلمون ای تتلون التوریة وفیها الوعید علی العناد وترک البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنیعکم فیصدکم عنه او افلا عقل لکم بمنعکم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فی الاصل الحبس سمی به لانه یحبس صاحبه عما یشینه ویقبح وبعقله علی ما یحسن ثم القوة التی بها النفس تدرک هذا الادراک والآلة ناهیة علی من یعظ غیره ولا یتعظ نفسه سوء صنیعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل الشرج او الاحمق الخالی عن العقل فان الجامع بینهما ان کلا منهما یاتی عنه کما ینبغی والمراد بها حث الواعظ علی تزکیة النفس والاقبال علیها بالتکمیل لیقوم فیهم غیره کما سمع الفاسق عن الوقیعة فان الاخلال باحد الامرین لما مر موجب لاستحقاق الاخر واستعینوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله کانهم لما امروا بما شق علیهم لما فیه من الکلفة ونزاع الریاسة والاعراض عن المال عولجوا بذلک والمعنی استعینوا علی حوائجکم باقتطار الجوع والفرج تولا علی الله تعالی والصوم الذی هو صبر عن المفطرات لما فیه من کسر الشهوة وتصفیة النفس والتوسل بالصلوة والابتهال الیها فانها جامعة لانواع العبادات الشاقة والبدنیة من الطهارة وستر العورة وصرف المال الیها والتوجه الی الکعبة والقیام للعبادة واظهار الخشوع

بالجوارح واخلاص النیة بالقلب ومجاهدة الشیطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتکلم بالتهاذین وکفی لا نفس عن الاطیبین حتی تجاوبوا الی تحصیل المآرب وجبر النقصان روی انه علیه السلام اذا حزبه امر فزع الی الصلوة ویجوز ان یراد بها الدعاء وانها ای الاستعانة بهما والصلوة وخصیتها بردّ الضمیر الیها لعظم شانها واستجماعها امورا من الصبر وجملة ما امر بها ونهوا عنها لکبیرة الثقیلة شاقة لقوله تعالی وان کانت لکبیرة علی المشرکین ما تدعوهم الیه الا علی الخاشعین ای الخائفین والخشوع الانخفاض ومنه الخشعة للرملة الناتئة والخضوع والخشوع اللذین والانقیاد ولذلک یقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذین یظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم الیه راجعون ای یتوقعون لقاء الله وثواب ما عنده او یتیقنون انهم یحشرون الی الله فیجازیهم ویؤیده ان فی مصحف ابن مسعود وهم یعلمون وکان الظن لما شابه الجزم فی الرجحان اطلق علیه لتضمین معنی التوقع قال اوس بن حجر فارکانه مستیقن الظن انه مخالط الطاء ابن الکراسیف حائف وانما لم یثقل علیهم ثقلها علی غیرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فی مقابلتها ما یستحق لاجله مشاقها وبتذلیلهم متابعتها ومن ثم قال علیه السلام وجعلت قرة عینی فی الصلوة یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی التی انعمت علیکم کرره للتاکید وتذکیر التفضیل الذی هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعید الشدید تحویفا لمن فعل عینها واحل بحقوقها واننی فضلتکم عطف علی نعمتی علی العالمین ای عالمی زمانهم یرید به تفضیل آبائهم الذین کانوا فی عصر موسی وغرقه قبل ان یغیروا بما فیهم من العلم والایمان والعمل وجملهم انبیاء وملوکا ونفسیر واستدل به علی تفضیل البشر علی الملک وهو ضعیف واتقوا یوما ای عذابه من الحساب والعقاب لا تجزی نفس عن نفس شیئا لا تقضی عنها شیئا من الحقوق او شیئا من الجزاء کیلون نصبه علی المصدر وقری لا تجزی من اجزء عنه اذا اغنی وعلی هذا تعین ان یکون مصدرا وایراده منکرا مع تکریر النفی للتعمیم والاشعار بان الکلی والجملة صفة لیوما والعائد منها محذوف

تقديره لا يجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال لا تسع فيه فحذف عنه الجار وجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اوتالله اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون فعلا او غيره والاول اما ان يكون مجانا او غيره والاولان ان يشفع له والثانى اما اداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او غيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فرد فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وفعل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقراء ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى اى النفوس الكثيرة وتذكير ضمائر العقلاء والاتيان بالواو والنون باعتبار خصائصها بدل الضرورة وقد تمسك المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة وتؤيد ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانوا يزعمون ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم وآل الرجل اهله الذين تصير اليه ولذلك لا يضاف الى الاجناس وقيل اصله اهل وابدلت الهاء همزة كما ابدلت فى لبأت بل ملك العمالقة كقيصر لملك الروم ولعنوجهم اشتق منه تعزن عن الرجل اذا غلبه وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل اسمه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يعذبونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب افظعه فانه يتبع الاهون فالاهون فى السائر والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول به او الحال اى الجامعين الضمر وان فرعون ومنهم اجنبيا لان فيهما غيره كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم

بيان لما سوموكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب ملكك فلم احتهادهم من قدر الله شيئا وفى ذلكم بلاء نعمة او محنة ان اشير ذلكم الى الانجاء وان اشير به الى العذاب والاصل الاختبار ولكن لما كان اختبار الله عباده بالخير والشر يقارن بالمحبة والبغضة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة او يراد به الاصحاب الشار بينهم من ربكم بتخليصكم عظيم صفة بلاء وفى الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله ليعرف حاله ان يشكر على السراء ويصبر على الضراء ليكون من خير المخبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى جاوزتم فيه سالمين وبكم فيه او بسببكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان الساحل كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اريد بهم فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم لعلمهم بانه كان اذا ذهب وفصل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكر عن ذكرهم اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم او اطباق البحر عليهم او انقلاق البحر عن طريق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى ان يسرى بنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم فعفا الله فيها كوى فتراءوا واوسع بعضها حتى تراءوا البعض فلما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه وجنوده فانطبق عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله على بنى اسرائيل ومن الآيات الباهرة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمرأى فى الغطنة والذكاء وسلامة الفطر وحسن الاتباع عن امة محمد صلوات الله عليه مع ان كثيرا من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاوحدى كتابا وآيات

عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعدالله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا اذا انقضت
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرئ وعدنا كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى لحمل الميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل
آلهة او معبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفى اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاذ لعلكم تشكرون لكى
تشكروا عفوه واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا ومعجزة
تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان انفلاق البحر اية فارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين
الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق به بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر
في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى
بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميز بعضكم من بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب خلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التحقيق كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فوبوا
فاقتلوا انفسكم تماثلوا بالجمع او اقطعوا الشهوات كما قيل من لم يجب نفسه لم يتهما
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امروا بقتل انفسهم
ان يقتل العبدة روى ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المعتبر منهم الله فارسل صاعقة وظلمة
سوداء لا يبصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون وتكشفت السحابة
ونزلت التوبة وكانوا قتلوا سبعين الفا والقاء الاولى الى الشيب والثانية للتغليظ ذلكم خير
لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف اى جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم

ما امرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف اى جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات
كانه قال فعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه استكارا منهم لجواز
غاية ليها الذبح والجناية حتى تركوا عبادة البقر التي هي مثل في الجناية وانه
من لم يمت حتى سمع بحقيقة يائس بشرة نفسه ولذلك امر بالقتل وقيل التركيب انه هو التواب
الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك حتى نسمع قولنا ولن تقول حتى نرى الله جهرة عيانا او بينة الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمحاسة ونصبها على المصدر كانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان
الله الذي اعطاك التوراة وكلمك وانك نبي فاخذتكم الصاعقة لغلظ العناد وقلة التثبت
وطلب المستحيل فانهم طلبوا انه تعالى يتبيه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهة
والاحاز المقابلة للرائي وهو محال لان الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك لقوة
متينة في الابصار ولا قدر من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء
فاحرقتهم وقيل بصيحة وقيل جند سمعوا حسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وانتم تنظرون ما اصابكم بغتة او انتم تنظرون بعضكم بعضا ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد
البعث بانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة
البعث او ماكنتم تأملون ما رأيتم يائس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام تحرزهم السحاب
يظلهم من الحر حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسمانى قيل
كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويخص الجنوب عليهم السمانى وينزل الليل
عودا يابسون في ضوئه وكانت ثيابهم تتسع وكانت لا تدنس كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا

وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يا قوم انكم ان لا تحطوا عنهم ضرّ واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا ونصبه على المصدر والحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي
كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا
منطأمنين منحنيين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا
او امرنا حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الامر بمعنى حُطَّ عنا ذنوبنا
حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم قراءة نافع بالياء وون
عاصم بالتاء على البناء للمفعول وخطاياكم اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة
همزة لوقوعها بعد الالف فاجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ايضا واوا وعند الخليل قلبت الهمزة على البناء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين
ثوابا جعل الاستقبال قرينة للسوق وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى
الوعد ايهاما بان الحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا امرا به من التوبة والاستغفار طلب ما يتهون
من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرر مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم لظلمهم ووضع غير ما امروا به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل
ما يخاف منه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه
مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واستسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد كما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع
من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة

والعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او
الحجر قرئ به الوضوء عليه ليغتسل برّاه الله به عمارة من الارض فاشار اليه جبريل عليه السلام
او لموسى وهذا اظهر لحجة قيل لم يأمروا بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف نبأ لهم فينا
الماء ضرب حجرا حجرا في محلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل
فينبعث فقالوا ان فقدنا موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك الحجام
يعبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى
من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف
تقديره فان ضربت فقد انفجرت وفضربت فانفجرت كما ترى قوله فتاب عليكم وقرئ بكسر
السين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها
كلوا واشربوا على تقدير القول اي وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء
العيون وقيل ماء المزملا يشرب ويكال ما نبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا
حال افساد كم واغا قيده لانه وان غلبة الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم
المعتدي بمثله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرق السفينة وبقرينة
الغيب عرانه يغلب بنا يلك حسنا ومن انكر ما لهذه المعجزات فلعاية جهله بالله وقلة
تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر ويقتل الحية
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يحجر ما لله من سخت الارض او لجذب الماء من الجواب وتصيير
الماء بقوته التمييزية وخذ ما آتيناك بقوة وقلنا يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى ووحدوه اما لانهما يحتلبان ويؤكلان كقولهم طعام مائدة الامير واحد
يريدون انها لا تغير الوانه ولذلك اجروه وصف واحدا بهما معا طعام اهل البلد وهم
كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب لاجابة ما نبت الارض من لا

Marginalia and boilerplate

سناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن التبعيض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تفسير وبيان ووضع موضع الحال وقيل بدل اعادة الجار والبقل ما انبته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا
وقيل الثوم وقرئ فثائها بالضم وهو لغة فيه قال اتستبدلون الذي
هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ دناءة من الدناءة بالذي هو خير بريد به
المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعلم الحاجة الى الشيء اهبطوا مصرا انحدروا اليه
من البدو بقال هبط الوادي اذا نزله وقرئ بالضم ومصر البلد العظيم واصله الحاجز بين
الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد وبونيه انه صرف
منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سالتم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب
الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة والبهت والتعنت غالبا لامرادكم مساكين اتباعا على
الحقيقة واتباعا على التكلف مخافة ان يضاعف حزنهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به
او صاروا احقاء بغضبه من بوأه فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء
المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما تعد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانبجاس العيون من الحجر وايتاء الكتب
المنزلة كالانجيل والقرآن وآية النبيين التي مبناها نعت محمد عليه السلام من التوراة وقتلهم
الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل

التبيين

النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب
مؤدية الى عتي كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ملحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل
فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل
والباء بمعنى مع وانما تغيرت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تعدد الاد
حضار وتقدير في الضمير وقد رؤية فيها خطوط من سواد وبياض كانه في الجلد توليع البهق والذلك
حسن ذلك ان تنحية المحضرات والمبهمات وجمهما وتاثيمها البتة على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا باسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لاغراضهم في سلك الكفرة والذين هادوا
تهودوا بقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية وسموا بذلك من هاد اذا تاب سموا بذلك
لما تابوا من عبادة العجل وانما معربة هودا كانهم سموا باسم ابيهم او جدهم يعقوب عليه السلام
والنصارى جمع نصران كالندامى والندمان وقيل لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية بقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها
والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل
هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرئ
بالهمز وبالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاد
يانهم الى دينهم ومن الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان
منهم وديمة قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالميثاق والحاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من
آمن من هذه الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع الغنم وفوت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة
خبر ان او بدل من اسمها وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع

سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية وردّ بقوله خالدا ان الذين قتلوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عالمين
والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق وروى ان موسى عليه السلام لما
جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فارسل الله
تعالى الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا ما على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اذ نسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا
به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ومحبوبين عند الملائكة
ان يقولوا القول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا الارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بحمد صلوات الله
عليه يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط
والضلال في فترة من الرسل ولو لا الاصل في امتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على الاقل افاد انتفاء
وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وعند الجواب مسدّه وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت
يوم السبت واصله القطع أمروا بان يتجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها
أيلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى
تفرقت فحفروا احياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيسدّون افواهها
يوم الاحد ففعلوا فلهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد وقالوا هذا مسخ صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقرد كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس ايرادا لقدرة الله عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم

صاروا

صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلنا
هاء التحية او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في قرن بعد قرن واستشهد فضلهم
في الآخرين واهل العصر بهم ومن حضرهم او لما حضرها من القرى وما بقي بعدها او اهل
تلك القرية وما حواليها او جعل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين
من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اورد هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والنفس كل ذي روح سميت بذلك لخروج
نوع آخر من سائر انواع الحيوان وهو الاستهزاء بالامر والاستقصار في السؤال وترك المبادرة الى
الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر وقتل ابن له اخا له طمعا في ميراثه وطرحوه
على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله
فقالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهلا ومهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ هزءا وهزا وسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم
وقلب الهمزة واوا فالى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في ذلك جهل وسفه نفي
عن نفسه ما ذري به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا لقوله
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما سؤال عما يطلب به بيان الجنس كما في قوله ما تلك بيمينك
يا موسى وكيف سؤال عن حاله وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف
هي لان ما يسأل به عن الجنس عما لا يكتنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه
اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله فابرزوا سؤالهم بهذه العبارة قال لا فارض ولا بكر
ولا فيئة يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وثلب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نوارة بن اجار وعوف بن ذلك
اي ما ذكر من الفارض والبكر وقد اضيف اليهما بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعوذهن الكلام
واجراء تلك الصفات على فقرة بذلك على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب

ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من بقر البقرة غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بهولهم والظاهر انه نسخ قبل الفعل فان النسخ قبل التخصيص ابطال التخصيص الثابت بالنص والحق
جوازهما وترد الرواية الثانية ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو جوز ان البقرة
اراد والاجزئتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي ورد
عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بحيث تؤمرون به من قوله امرتك
خيرا فما فعل ما امرت به او امركم بحيث ما تؤمرون فالوادع لنا ربك يبين لنا ما
لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع تصوغ الصفرة ولذلك
تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناد الى اللون وهو وصفة صفراء للالة
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماتها ولان
سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى تؤكد الفقوع فسر الناظرين اي
تعجبهم والسرور انما لذة في القلب عند حصول بهجة او توقعه مر البر قال الوادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه
اي ان البقر الموصوف بالنعوت والصفة كثيرا تشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والباقر والبواقر تشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير
والتانيث وتشابهت محققا ومشددا وتشبه بحذف تشبه وتشبه بالتذكير ومتشابهة
ومتشابه ومشتبه ومشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد بحجا او الى القاتل
وفي الحديث لولم يستثنوا لما بينت آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث باراده الله تع
وان الامر قد يتخلف عن الارادة والالم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرابية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قالوا انه يقول انها بقرة لا ذلول

تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكرابة وسقي الحروث ولا ذلول صفة
لبقرة بمعنى غير ذلول وهي الثانية مريدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول لانه قيل
لاذلول مثيرة ولا ساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حبسي كقولك مررت برجل لا عالم
ولا جبان اي حبسي هو وتسقي من اسقى مسلمة الله من العيوب او اتمها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية فيها لا لون فيها غير لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف
البقرة وتحقيقها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ
روي انها كانت لشيخ صالح منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر فنبتت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموا بها البتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثمائة دينار وكاد من افعال المقاربة ونفي
لدنو الخبر حصوله كما ان اذا دخل عليه النفي قبل معناه الاثبات مطلقا وقبل ماضيا والتعميم
انهم كسائر الافعال وكادوا بناء على انها تفعل كقاموا وقعدوا يفعلون قوله فذبحوها لاحتمال وقتها اذ الحق
انهم ما قاربوا ان يفعلوا حين انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر
الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها
اذ الخاصان كان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان يلقي قتلها كل عن نفسه الى صاحبه والمراد
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره
لا محالة واصل مخرج انه محاكاة مستقبل كاعمل بسط ذراعيه انه محاكاة حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على ادارأتم ومابينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او
القتيل بعضها اي بعض كان وقيل بالصفة وقيل بالبعضية او وقيل بفخذها اليمنى

وقبل بالاذن وقبل بالحجب كذلك يحيى الله الموتى يدل على الحذف وهو قوله
يحيى والخطاب من حضر يوم النزول الآية وبركم آياته دلالة على كمال قدرته لعلكم
تعقلون كي بكمال عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كما انها كما وكل تعلموا
على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وخرطبه مباشرة لما فيه من التقرب واداء الواجب بعد
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم
قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن وبقال بثمنه كما روى عن عمر انه ضحى بثمانية
مائة دينار وانما المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا عرفها وان من ارادان يرى
اغدق عدوه الشاعي في امانته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي الفوى الشهوية
حين زال عنها ثم التيمم ولم يحتفها صعف كبر وكان يحيى رابقة المتطرف مذللة في طلب
الدنيا سلمة عن شهواتها لاحبة بها من مقاربها احبت نصل اثر الى نفسه فيحيى حيوة طيبة
ويتبرء عما به الخالد ويرتفع ما بين العقل والوهم من النزاع وقرأ ثم قست
قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوة عن لا
عتبار وهم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك بعني احياء القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها
متاوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها ومثل ما هو اشد منها قاسوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وبعضه وقرأ بالنصب على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لها في اشتمل من البلغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة تقرير
للتجبير او للتردد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها واما من الحجارة
لما تتحجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء
وينجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراده الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر

ولا تعملون عن امره والتخويف بسطة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ بالتاء على التفاتة
المخيفة من الشفاه وبالهمزة اللام الفارقة لها عن الثانية وبضمها بالضم وما الله بغافل
عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير وناقع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء انها
الى هما بعدهم والمانون بالياء فتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا
لكم ان يحدثوا التصديق لكم او يؤمنوا اجراء عوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم
طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كعنت يحذف صلوات
الله عليه وآية الرجم وتاويله فيفسرونه بما يشتهون وهل هو كلام من الستين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور فالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه يحرفونه لهم وهم يعلمون
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان انكارهم كذلك ومقد
بهم كما توا على هذه الحالة فما طمعك بسلفهم وجهالهم وانتهم ان كفروا وحرفوا فانهم
سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم
هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من
نافق قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد عليه السلام
او الذين نافقوا بعقابهم اظهار النصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فيما فعون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي لمحاجتوكم به عند
ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه حملوا محاجتهم بكتاب الله ولكنه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي ربكم
ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ لا خفاء لا يدفعها افلا تعقلون اتاعام كلام الله
تمين وتقدين افلا تعقلون انهم محاجتوكم فتجزكم او خطاب الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون
والمعنى افلا تعقلون حالهم والا فمن يعلم لكم في ايمانهم او لا يعلمون يعني هؤلاء الثاقبين او

55

الذين اوكلهما اوايا هم والمخرجين ان الله علم ما يسترون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان واخفاء الله عليهم واظهاره وعبر عن الكل عن مواضعه ومعانيه ومنتهم
امتيون لا يعلمون الكتاب جعلتهم لا يعرفون الكتابة فيطا لعوا التوراة ويحققوا ما فيها او التوراة
الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من
منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والكذب ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد اغرارا سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا او ان النار لن تمسهم الا ايامًا معدودة وقيل الا اماني اقراء اون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبر من قولهم تمنى كتاب الله اذا تلاه ثم تأول ويؤيده قراءة ابن السميفع الا امانيهم وهو تأنيث امنيهم
بانهم امتيون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم مظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم
على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان حرم به صاحبه كاعتقاد المقلد والترائح عن الحق لشبهة
فويل اي عذاب شديل او هلاك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا كتبوا فيها غير
ما جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له واما شاع الابتداء
به لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات
الزايغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب
الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون بريد الرشى وقالوا لن تمسنا
النار استيناف اتصال الشيء بالشيء بحيث يتاثر الحاشة به واللام كالتي للطلب له ولذلك يقال
المسه فلا اجده الا ايامًا معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام
عبادة العجل اربعين يومًا وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب مكان
كل الف سنة يومًا قل اتخذتم عند الله عهدا خبر او وعدًا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص
باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم

عند الله عهدا فلن يخالفه الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبر محال ام تقولون
على الله ما لا تعلمون ام لاستفهام معناه التقرير كالذي على سبيل التقرير للعلم
بوقوع احدهما او منقطعة معناه بل اتقولون على التقريع على اثبات ما نفوه من سالف الدهر
لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه عام ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص جواب
النفي من كسب سيئة فيحيط والقرن بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض ولا تنفك من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة
على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان
غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم يعم الخطيئة به ولذلك فسرها
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبًا ولم يقلع عنه استجر الى معاودة مثله
والاستهانة فيه وارتكابا هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتاخذ مجامع قلبه
فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنًا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن ينهاه
عنها متكلفا بالمنع فيها كما يقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوءى ان كذبوا بآيات
الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيئته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازموها سببا في الدنيا هم فيها خالدون دائمون
او يموتون لبثا قليلا والآية كالمرتين لا حاجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته
وتعالى ان يشفع وعده بوعيد ليرجح رحمته ويحمي عذابه وعطف العمل على الايمان يدل
على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقولك
لا يبيعك ولا يشتري وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء
وهو يحمر عنه ويضن قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل

تقديرين ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغا وبدل عليه قراءة
ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او منصوبا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقراءة نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما
خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين وتامى جمع يتيم كندیم وندامى وهو
قليل ومسكين مفعيل من السكون كانه مد الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا وهو
حسنا للمبالغة وقراءة حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بضمتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
اهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تحلق وارشاد وقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة بريئهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع
الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اى عرضتم عن
الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما
جعل قتل الرجل غير قتل نفسه لاتصاله به نسبا ودينا ولانه يوجبه قصاصا وقيل معناه
لا ترتكبوا ما يوجب سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يزريكم وينقص مكم عن الجيوش
الابية فانه القتل الحقيقة ولا تقروا ما تحثون به عن الجنة التي دار كم فانه كالقتل الحقيقي
ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم به وانتم تشهدون تؤكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه
وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فتكون اسناد الاقرار اليهم مجازا
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذا الرجل الذي فعل كذا تؤكد بالصفة
منزلة تقرر الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا
وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياره ما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد واخبر عن الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته
والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل
تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقراءة عاصم والكسائي وحمزة
على احدى التائين وقرئ بالظهار تحا وتظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم اسارى تفدوهم
روي انه وظف كانوا يخلصون الاوس والخزرج فاذا اقتتلوا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تفدونهم بالارشاد ولو
غير مشيعكم اتشكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقراءة اسرى
وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمع كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكما
شبه بالكلاب وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو مزيد
عليكم اخراجهم مشتق بقوله وتخرجون فريقا منكم من دياركم وما بينهما اعتراض والضمير
للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد وبيان افتؤمنون ببعضا الكتاب يعني الفداء وتكفرون بعضه يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير ويوم
القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد مما فعله بغاة الامم وما تعملون تاكيد للوعيد اى
الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن مجازاتهم وقراءة عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعلمون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة اشتروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بقصر الجزية في الدنيا

والتعذيب الآخرة وما لهم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة فيما
من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى بقال قفاه
اتبعه اياه من القفا نحو تبعه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص المعيا او الاحيل وعيسى بالعبرية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالذكير من الرجال قال رؤبة عملت لزيرام
نصلة مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح
القدس الروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرئيل وروح وقيل
عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى
نفسه او لانه لم ينفخها الا صلاب والارحام الطواهر او الاحيل واسم الله الاعظم
الذى كان يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا
بالضم سقط وتهوى بكسر الهمزة بين الفاء والقاف للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان
وتعجبتم من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان
واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية والتفصيل وفريقا تقتلون
ذكر بنو ايحيى واما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان
الامر فظيع وشناعة للفواصل وللدلالة على انكم بعد فيه فانكم حاول قتل محمد لولا ان عصمه
منكم ولذلك تحرقون وسمتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مخشاة بغلبة خلقية لا
يصل اليها ما حثت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله
غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تشمع علما الا وعته ولا تحتوى ما تقول
او نحن مستغنون بما فيها من غير بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم وانحاها

لم تأت قبولا لما تقوله الخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فامتهم واعمى
ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل
عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون به على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التوراة او يفتحون عليهم ويبشرون بظهوره
ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاستعجاب والفاء جوابية لما فى
ذلك من نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اى عليهم وذكى بالظهر للدلالة على انهم لخوا لكفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا وشروا واكتسب
ظلمهم فانهم خلقوا التهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو
المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا ودون اشتروا للتفضيل
ان ينزل الله بنزل الله وحسدوه على ان ينزل الله من فضله يعنى الوحى على من يشاء من
عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق
وقيل الكفر بمحمد بعد كفرهم بعيسى وبعد قولهم عزير ابن الله ولكافرين عذاب مهين يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب
المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتوراة ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير فى
قالوا وورآء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى
المفعول فيراد به ما يتوارى به وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير او الواو

والمراد به القرآن مصدّقا لما معهم حال مؤكدة بتضمن ردّة مقالهم فانهم لما كفروا بما وافق التوراة فقد كفروا بها فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادّعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانتهم راضون به غازمون عليه وقرأ نافع وحمزة انبياء الله مهموزا في جميع القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اى الهًا من بعده بعد مجيء موسى أو وذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال معنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او الاخلال بآيات الله أو اعراض عنها وانتم قوم عادتكم الظلم وسياق الآية ايضا لابطال ما فيهم تؤمن بما انزل علينا والتنبيه على اتطرّقهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لكل من يقصه وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة فالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه وربخ في قلوبهم صورته لشغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم وذلك لانهم كانوا مجتمعة واطوليه ولم يرد جسمانية العجب منه فقيل في قلوبهم ما ستولهم الشاربة قل بئسما يأمركم به ايمانكم اى التوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما بعثه وغيره من قبايحهم المعدودة في الايات التسع الزائفة عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبايح ورخص لكم فيها ايمانكم بها او انكم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان الايمان الموجب ينبغي ان لا يتعالى الا ما تقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس

سائرهم

سائرهم أو المسلمين والام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من أيقن انه من اهل الجنة اشتاق فيها وأحب التخلص اليها من الدار ذات الشوايب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اى على التمني حتما اذا علم انها سالمة له لا يشاء كه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صار يعبر بها عن النفس تارة وبالقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب بحيث يخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عنهن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة من وجد بمعنى علم الجار يجري مجرى علم ومفعوله هم واحرص ونكر حياة لانه اريد فرد من افراد ها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالدال ومن الذين اشركوا معمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس على الحياة ومن الذين اشركوا او افراد هم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدإ محذوف صفته يود احدهم على انه اراد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الا ولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لوداد تهم لو يعمر ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقوله وإن حلفوا لله ليفعلن

وما هو مخرجه من العذاب ان يعمر الصبي كاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميم او بالاول عليه يعمر وان يخرج بدل منه او مبتدأ وان يعمر مصدره
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل
من كان عدوا لجبريل نزله على عبدك الله بن صوريا السدوسي الله صلى الله عليه وسلم
عن نزوله عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشقاها انه انزل على
نبيا ان بيت المقدس سيخرب بعضه فخرب فعدنا من يقتله فراه يالبل فذهم عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فلم تقتلونه وقيل دخل عمر
مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال ومن انتما
من الله فالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو لله ثم رجع
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل
ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبريل كسلسبيل قراه حمزة والكسائي وجبرئل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرال وجبرال وجبرئل وجبرين ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه يتزلها بالليل والنهار الا ولجبريل والثاني للقران
واضمار عمر مذكورا يدل على مخامة شانه كانه لعنته وفرط شهرتهم بمحبة الى سوء كن
على قبلت فانه القابل لاذى للوحي ومحل النهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كانه قال قل من يكن عدوا لجبريل فانه نزله باذن الله ما من او تبيين حال من فاعل نزله
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين اخوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه

نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الاضافا وكفر بما معه من
الكتاب بعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فذف
الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل
محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له كما قال تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين اراد بعد ذكر الخاصة
لعنته عاداهم او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكرهم تفخيما لشانهم كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان
معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلابا بالعداوة من الله تعالى وان من عادى احدا
منهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعلى وتهم على الحقيقة واحد ولان الحاجة
كانت منهما وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان تعالى عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائيل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال
كعماد وقرئ ميكئل وميكيل وميكائل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسوق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
اعظمه كانه متجاوز عن حده نزلت في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلعم ما جيتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك او كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو وعلى ان التقدير
الذين فسقوا وكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم
ان الفريق هم الاقلون او ان لم ينبذ جماعة منهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فما يصدقه وبنبذ ما فيها
من وجوب الايمان بالرسول المؤيد بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القران

عبد الله بن صوريا من احبار يهود
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما سيهم على يزيل عليه

قيل

60

وراء ظهورهم مثل الاعراض عنه اذا شاء لاعراض عتا يرى به وراء الظهر لعدم
التفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله بعينه ان علمهم به رسين ولكن نبذوا هلون
عنادا واعلم انه تعالى حكى ان اهل الكتاب اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا
بحقوقها كمومنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله لا اكثرهم لا يومنون وفرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا ونسوا وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم
وفرقة لم جاهروا بنبذها ولكن نبذوها لتخفلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها
ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين الحال بخيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو
الشياطين عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى يقرأها ويتبعها
الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلوا حكاية
حال ماضية فان كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة
وهم يدونها ويعلمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب
وان ملك سليمان تم بهذا العلم واندثر به الانس والجن والرخ لم وما كفر سليمان
تكذيب لمن زعم ذلك وعنهم التجرأ الكفر لبذله على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما وكن الشيا
طين كفروا باستعالهم وقراءة ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان فى تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لاستنزل الاهلين بانسبه فى الشرارة وخبث
النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تغير النساحى عن النبى والولى وانما يتحت
كما يفعله اصحاب الخيل بمعونة الآلات والادوية او يريك صاحب خفة اليد فيرى مذموم
سحرا على التجوز وما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع قوى منه او على تتلوا وهما ملكان انزلا
لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وغيرا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب

فيهما الشهوة فمنعتهما بقال الهاروتى امراة فجاءتهما فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء
بما تعلمت منهما فمسخت عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحكاية لا يحتفى بها ذوى البصائر وقيل
رجلان تيما بملكين باعتبار صلاحهما وينبذه قراءة الملكين بالكسر وما انزل بنى عطف على
ما كفروا تكذيب لليهود فى هذه القصة يا بل طرحوا وحى الملكين والضمير فى انزل والمشهور انه
بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للتعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعلهما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفر فتعاند على الاطلاق انما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم
منا وعمل به كفر ومن تعلم ووقف عند حده ثبت على الايمان فلا تكفر اعتقاد وجوازه والعمل به وفيه دليل
على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلما
حتى ينهوا لانا مفتونان فلا تكن مثلنا فيعلمون منهما الضمير ما دل عليه من احد ما يفرقون به بين
المرء وزوجه اى من السحر ما كون سببا لتفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه
وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وخلقه وقرئ بضارى على الاضافة فالى احد وجهى
الجار احرز امنه والفضل النظر فى وبتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل ولان العلم
يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه
اولى ولقد علموا اى اليهود لما استبدلوا اى استبدل الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام
لام الابتداء علقت علموا عن العمل لما له فى الاخرة من خلاق نصيب والبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل الحصر على ما تمر لو كانوا يعلمون يفكرون فيه او يعلمون فيحملهم على التحرز وحقيقة ما تعلم
من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد التستحق العقل الغريزى والعلم الاجمالى بقبح الفعل
او ترتب العقاب من غير تخلف وفيه ايماء لو كانوا يعلمون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو
كمن لا يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر

لتوبة من عند الله خير جواب لو واصلوه لا يثبوا مثوبة من الله خيرا مما نزل به انفسهم قد
الفعل وركب الباقي في جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بحيرتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني
ولمثوبة بكلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير لهم لما تركوا المتجر والعمل بما علموا انهم الذين آمنوا لا تقولوا الا
عنا وقولوا انظرنا ارعنا حفظ الغير لصاحبه وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا
وتأن بنا فيما نلقنك حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او
سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما يجري ذلك
الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار
نظارا اي امهلنا للحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعينا بالتنوين اي قولا ذا رعن منسوب الى الرعن
وهو الهوج بالشاء فولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاسماع حتى لا تفتقروا
الى طلب المراعاة او لما سمعوا سماع قبول كاسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بحيث لا تعودوا الى
ما نهيتم عنه ولكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ترلت لما رأوا ان المسلمين يظهرون مودة المؤمنين ويرجون ان ينصروهم
لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول ود ومن الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للابتداء وقرئ الخير الوحي والخير انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم
شيء منه والعلم والنصر ولكن الله يختص برحمته من يشاء بنبوته وكتابه
ويعلمه الحكمة وبنصر لا يحيط علمكم بشيء وليس لاحد عليه حق حتى يؤتيه والله ذو الفضل العظيم استحقار ان
الخير من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لسوء استعداد المحروم وحكمته
ما ننسخ من آية او ننسها نترك لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بأمر ثم ينهاهم

عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل الشمس
ومنه التناسخ ثم استعمل في كل منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء العبادة بمثل ما كان او بمثل ما هو اثقل منها او بما هو اخف منها او بما هو اصلح للمكلف
وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به مع على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمر بنسخه
او نجبر ملائكتنا على نسخها وعبد الله منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسيئة
وقرئ ننسها اي نتركها او نمحها من النسيان وننسها على البناء للفاعل ونسكنها
باظهار المفعولين نأت نجيء منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب وقرأ
ابو عمرو بخلف الهمزة ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بما شاء
المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
الممكنة وتأخير الامر الدال على الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل
نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كما يليق
المعالج فان الشافع في عصر قد يتعذر في عصر واخر فيها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل وتجويز
الكتاب السنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك واكذا ضعيف
اذ يكون عدم الحكم او الانقل اصلح والنسخ قد يعرف بخبر والسنة متاتي به الله وليس المراد
بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازم
واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة المتجددة لا المعنى القائم بالذات القديم المرتبط
الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرد لانه اعلم ومبدأ علمهم ان الله
له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير انما
هو الذي يملك اموركم ويحرسكم على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن
النصر والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل

موسى من قبل ام تعادلة للجزم في ام تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يا ثم ونهى كما اذا دام تعلمون وقفتهون بالسؤال كما قرحت اليهود على موسى او سنقطعه
والمراد ان يوبخهم بالثقة به وترك الاهتزاز عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا
ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل
علينا كتابا نقرأه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك التقة بآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان
ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا سواء السبيل وتؤدي بكم الضلالة الى البعد عن المقصد وتبدل الكفر
بالايمان وقوى يبتدل من اجل ذلك ود كثير من اهل الكتاب بمعنى احبارهم لو يردونكم
فان لو ينوب عن ان في المحذوف اللفظ من بعد ايمانكم كفارا متعلق بحسدا وهو حال من ضمير
طبعن حسدا علة ودّ من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بودّ اى تمنوا ذلك من عند انفسهم لتمنيهم
لان من قبل التدين والميل الى الحق وجدانا انفسهم من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم
الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك العقوبة والصفح
ترك التثريب حتى يأتي الله بامره اى الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم وقتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر لان الامر غير مطلق ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم وافيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على ما عموا
كأنه امرهم بالصبر والمخالفة والتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير
كصلاة وصدقة وقرئ تقدموا من اقدم محمد عند الله اى ثوابه انّ الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لفّ بين قولي الفريقين كما
في قوله كونوا هودا او نصارى تقيا يفهم السامع وهو دخول كل طائفة كلمة وعود توحيد اللام
سم المضروح حمل الجمع على اعتبار اللفظ والمعنى تلك اماني تهم اشارة الى الاماني المذكورة وسمى ان

لا ينزل على المؤمنين رجز من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف
اى امثال تلك الامنية اماني تهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعويكم فان كل قول لا دليل عليه
غير ثابت بل انبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصل الوجه العضو وهو محسن في عمل اجره الذي وعده على عمله عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع
ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله تلك اماني وحده وحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل
فعل محذوف مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اى امر يصح ويعتد به
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله عليه السلام واتيهم احبار اليهود فتناظروا وتفاخروا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب
كذلك مثل ذلك القول قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كجدة والاصنام والعطاء وتحتهم على
المكابرة والتشبيه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد قصدوا بان كلا الدينين ليس بعد النسخ
ليس بشيء قلنا لم يقصد واذكر وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه
وكتابه مع ان عالم نسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يفصل كل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله من عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان منع للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه
وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه نافي معنى منع وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل او لذلك
المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
بخشية وحضور فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان في علم الله وقضائه

فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز واعده وصل معناه النهي عن
تمكينهم من الدخول في المسجد الحرام واختلف الائمة فيه فمنعه ابو حنيفة رح ومنع مالك قرب الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لعصمة في الدنيا اخزى قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم وتلك المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به
مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا فثم اي فاي مكان جعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان
التولية لا تختص بمكان او مسجد وثم اشارة بعيد وفيه تعظيم اي عالم مطلع بما يفعل صابر ان الله واسع يأخذ بالاخف
او رحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم وبما يعملهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها
نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى اتجاه مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد تبين الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي بوطة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله و
النصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او منهم
قوله ومن اظلم وخراب ابن عامر بغير واو وسبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التعقيب والحاجة و
سرعة الفناء الابدي ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفناءها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
عند المكلفين ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل هي مما في السموات والارض
وكلما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملة الملائكة
وعزير والمسيح كلهم قانتون منقادون ولا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان حق الولد ان يجانس والده واعاجاء بما الذي لغير
اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه كل ما
فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد الزام
الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوا من ثلثة اوجه فاحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق
عليه لانه تعالى نفى الولد بانيات الملك وذلك يقتضي سابقيهما بديع السموات والارض مبدعهما
وهو نظير السميع في قوله انه سميع الدعاء السميع يوفي واصحابي يجمع او بديع سموات

واجتنبه

عط
لان الولد مادة وان يكون من جنس والدة فلو خرج شيء
ولدا كان من الكائنات والوالد من بعض الوجوه و
متناقضان من وجه آخر وذلك يقتضي كون كل منهما
مبتدعا لصاحبه من وجه ومحالا فاذا المحاذاة ج
مركبا ومحالا وذلك محال فاذا المحاذاة ج
ممتنعة فالولد ممتنع

ص
ولان الولد انما يتخذ لحاجة الوالد اليه ليكبر رجاء
الانتفاع بمعونته حال الكبر فيخلف الاب عن الامور
فعلى هذا ان صح اتخاذ الولد لفقره والغنى
عن الحاجة والاتخاذ لذلك محالا كان اتخاذ الولد
محالا سبحانه تعالى

اشعار بسبحانه حين نفى عنه الولدية من قبل الوالد
والنصارى ولكنه كذبهما ايضا

ط
وكلمة ما للاشارة الى ما يقتضيه مقالتهم الحالية
من مجانسته سبحانه لشيء من المخلوقات ومن
سرعة الفناء والحاجة اي ليس الامر كما زعموا
بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها
عزير المسيح

وارجعه من بديع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل اذ لا بد للحادث عند والله
سبحانه وتعالى من جميع الاسباء كلها فاعل على الاطلاق وهو منزه عن الانفعال فلا يكون والدا وايضا لو اتخذ
الشيء الاعن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب المصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغيير في زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله
تعالى وقضيناهن سبع سموات والطلب على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه بوجد فانما
يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر واستقبال لتمثيل
حصول ما تعلقت به ارادته بلا امهال بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايجاد
على حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم
ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى اعتبارا
انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفرهم الله ومنع منه مطلقا حسما لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية تجعل على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود بان ما اتانا من الايات استهانة به وعنادا ولذلك قال الذين من قبلهم من
الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم تشابهت قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد البقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق متلبسا او مصاحبا به بشيرا لمن اطاعك ونذيرا لمن عصاك ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
حالهم لا يوم تبدل الارض غير الارض وقرأ نافع ولا تسأل على النهي للرسول عليه السلام عن السؤال
عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كأنها اعظم مما يقدر ان تخبر عنها او للمؤمن لا يصبر على
استماع خبرها فضلا عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى

اي تتبع ملتهم

تتبع ملتهم جهالة في اقتباط الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته وتعليمهم فالوا منابذ ذلك يخبر الله تعالى عنهم وكذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو
الهدى اى يهدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
ارائهم الزائغة والملة تامة اشارة الى الله لعباده على لسان انبيائهم من املت الكتاب اذا املبته والهوى
رأى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم اى من الوحى او الدين المعلوم صحته مالك من الله من ولى
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مومنى اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته جراة الحفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر بامنه
او خبر على ان المراد بالموصول مومنو اهل الكتاب او لئك يومنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر
بالتحريف والكتمان بصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر فتتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها و
الحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وضم به الكلام معهم مبالغة فى النصح
وابدا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر و
نواهى والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى
من يجهل العواقب ظن تراد فهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط
احد التقدمين والكلمات قد يطلق على المعانى ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
فى قوله تعالى التائبون العابدون وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح
المومنون الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وبا
العشر التى هى من السنة وبمناسك الحج وبالكواكب والقمر وذبح الولد والنار والهجرة على ان الله تعالى عامله
معاملة المختبر لان وبما تتمتحن الايات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعى ربه بكلمات فظن
ارف كيف تجلى الموف اجعل هذا البلد آمنا اى ذا امن كقولهم ليل نائم وقرأ ابن عامر ابراهيم بالالف وانما دعاه
السورة وفى النساء ثلثة احرف وهى الاخيرة وفى الانعام الحرف الاخير وفى التوبة الحرفان الاخيران
وفى ابراهيم حرف وفى النحل حرفان وفى مريم ثلثة احرف وفى العنكبوت حرف وفى الذاريات حرف

وفى النجم

الحصال الثلثون تسعة فى البقرة سورة البراءة و
عشرة فى سورة الاحزاب واحد فى الشورى سورة
المومنين مع سورة حم السجدة لما لم يعط استقاط
المكرر وفى السورتين فتكون المجموع
ثلثين ////

العشرة فى سورة الاسراء الفرض والوجوب وقضى ربك والوالدين والصفة والاستثناء و
البدن الخشوع والاستخفاف والاستيقان و
تقليم الظفر ان ظهر او نتف الابط العفو تفرد فاستعم
الراس فى الجنابة ومنه الاستحلال بتحديد
لحاق العانة ومنه الاستنجاء كالطواف والسعى
والرمى والاحرام والوقوف بعرفة
وغيرها ////

وفى الجمع الاول حرف وفى الممتحنة الاول فلذلك ثلثة وتلثون حرفا وقرأ ابن كثير فى البقرة خاصة بجعله
بالوجهين فاتخذوا بادى بهمز كاملا وقام بهمز حرق القيام لقوله واتخذوا ابراهيم الذى وقرئ فى القراءة الاخيرة
بالالف الضمير لربه اى اعلماه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استيناف ان اصحرت ناصب
اذكانه قيل فماذا قال له ربه حين امتحنه فاجيب بذلك او بيان لقوله اذ ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالجمع جملة معطوفة على ما
قبلها وجاعل من الجعل الذى له مفعولان والامام اسم من يؤتم به واما مته عامة مؤبدة اذ لم يجئ
بعده نبى الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى
كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثانية ياء
كما فى تقضيت من الذر بمعنى التقويض او فعولة او فعلية قلبت همزتها من الذر بمعنى الخلق وقرئ
ذريتى بالكسر وهو لغة قال لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته
ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لان الامامة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
والاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نالته واذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم
على الثريا مثابة للناس مرجعا ينوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه
واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا او موضع امن لا يتعرض لاهله تقول فى الدار امنا
او يامن حاجته من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجانى الملجئ اليه حتى يخرج
وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره فنوبوا اليه واتخذوا وعلى ان الخطاب
لامة محمد عليه الصلوة والسلام وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه والموضع
الذى كان فيه حين قام ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضع اليوم وروى انه رد
اخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه فقال اهذا مقام ابراهيم فقال عمر رضى الله تعالى عنه افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى
جابر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ

ثم بعود بعد فاتخذوا من مقام
ابراهيم صحيح ///

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والمتنا في وجوبها وجهان قولان وقيل مقام ابراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون
اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرنا اياهما ان طهرا بيتي بأن طهرا او يجوز ان يكون مفسرة لتضمن
العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والقائمين
المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع وساجد وان قال ابراهيم رب
اجعل هذا بلدا يريد البلد والمكان بلدا آمنا اى ذا امن كقوله تعالى عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم
وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال
ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاله ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبهه تعالى
على ان الرزق نعمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او ستدانا تضمن معنى
الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار الزرقة اليه المضطر بكفره
وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه دعاء ابراهيم
وفي قال ضمير وقرأ ابن عامر فأمتعه من امتع وقرئ فنمتعهم نضطره واضطره بكسر الضمة على لغة من
يكسر حروف المضارعة واطرده بادغام الضاد في الطاء وهو ضعيف لان حروف ضم شديد غم فيها ما
يجاورها دون العكس ونبس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله تعالى ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفع بناءها
وقرئ المراد رفعة مكانه واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ايام القواعد وتبيينها
تفخيم لشانها واسمعيل كان بنا له الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في
طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرئ به للجملة حال من ابراهيم اى انه ان السميع العليم
السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين

اذا سلم

اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين لك
على ان المراد انفسهما وصاحبا وان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك واجعل بعض
ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخص بعضهم
لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا يقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي
على الله تعالى فانه ما يتوشى المعاشر ولذلك قيل لولا المحمى لخربت الدنيا وقيل الارادة بالامة محمد
عليه السلام ويجوز ان يكون من التبيين لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وقدم على المبين وفصل
به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى
بعض ابصارهم وعرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في
الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو
ويعقوب أرنا قياسا على فخذ من فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل
عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا
ولعلهما قالا ذلك هضما لانفسهما واسترشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب رتبنا وابعث
فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب دعوتهما
كما قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم و
يبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة آياتك الخ ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة
اي ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي
لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان لا يكون
احد يرغب عن ملة الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملة الا من سفه نفسه الا من اشتمها
واذلها واستحمقها يقال للمرد ونغلب سفه بالكسر يسفه بالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصل سفه نفسه بالرفع فنصبه على التمييز نحو غبن
رأيه وألم رأسه وقولهم جرير وا خذ بعده بذباب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في
نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدل الا من الضمير في يرغب لانه في
معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا بالنبوة وانه في الآخرة لمن الصالحين بحجة وبيان لذلك فان من كان

من كان من صميمة العباد في الدنيا مشهود الحال بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع له
لا يرغب عنه الا سفيه او سفسقة اذ ل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ظرف لاصطفينا او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانما نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص النية
حين دعاه ربه واخبر بالده ولانا الموجبة الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انه لما نزلت لما دعي
عبد الله بن سلام ابن اخيه الى الاسلام سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر وقرئ
بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصيته
اذا اوصلت وقصاته اذا قصلت كان الموصى يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي
وصى بها يعقوب هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب على اندمج وصاه ابراهيم عليهما السلام يا بني
على اضمار القول عند البصريين سمعاني يوصي عند الكوفيين لانه نوع منه ومن نظيره رجلان بين
صبية اخرنا انا ابنا رجلين عربانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدائن
وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا و
يشوخود وزبولون وذ وانا وفتونا وكودا واشير ونبايمين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون فان
النهي عن الموت على حالة والاسلام والمقصود النهي عن الزكوا على تلك الحالة اذ ما كانوا اواثقين
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على
الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل فيهم ونظيره في الامر مت شهيدا روي ان اليهود
قالوا للرسول عليه السلام الست تعلم ان يعقوب عليه السلام اوصى بنيه يا لهودية يوم الموت فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او منصلة بمحذوف تقديره اكنتم
غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقرير هم

على التوحيد

على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما سال به عن كل شيء مما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بعن اذ اسئل عن تعيينه وان سئل عن صفته فعما يزيد فقيه ام طب قالوا نعبد الهك
واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من اباته تغليبا للاب والجد اولانه كالاب اقول عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس
هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على ابنه جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين اصواتا لكبين ونحيتنا
بالابنا او بفرد وابراهيم عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى الناصية ناصية كاذبة
وفائدة التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور بلا تاكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود ويسمى بها
الجماعة لان الفرق انما تتها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا ياتي الناس باعمالهم
وتاتونني باحسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينتابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين
القولين قالت اليهود كونوا هودا او قالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا وجواب الامر قل بل
ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي ملة ملتنا
او عكسه او نحن ملة يعني نحن اهل ملة حنيفا حال من الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه
كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب و
غيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان امنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اولى بالاضافة الينا او سبب
الايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي
ان نزلت الى ابراهيم عليه السلام لكنهم ما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلون تحت احكامها
فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد بريد به حفدة
حفدة يعقوب عليه السلام واولاده وقرا بريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق عليهما السلام

وما اوتي موسى وعيسى التوريه والانجيل اوجد معا حكم ابلغ لان امر تحملها لاضافة الى موسى وعيسى
عليهما السلام معايرا لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغيرهم المذكورين
من ربهم اى منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ولا احد نؤمن
في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اى لله مخلصون مسلمون منقادون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ومن باب التعجيز والتبكيت كقولك فأتوا بسوق
من مثل داء لا مثل لمن آمن به المسلمون فلا دين كدين الاسلام وفصل الباء للالة دون التعدية
والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لما اوجبت وحدة الطريق
اومزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل محكم
كما في قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم اى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم
اى بالذى آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اى ان اعرضوا عن الايمان او بما يقولون لهم
فانهم الآتي شقاق الحق وهو المخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق
الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من باداهم وخالفهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه سيسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه تعالى سيسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون ومعاقبهم عليه
صبغة الله اى صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها بالحلية الآتي
كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا محجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم وتصبغ اعلى انها مصدر مؤكد
لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة
لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون نعرض بهم اى لا نشرك به كشركهم وهو عطف
على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبه اعلى الاغراء او البدل
ان يضمر قولوا اعطفوا فاعلى الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل من اتبعوا حتى

لا يلزم

قوله ثم ان اليهود الخ لا دليل للمدعين لا دليل لهم فيها وهو ظاهر هذا وصار نصارى ما ذكر ترجيح

قوله ونحن له عابدون الخ هذا ان الايمان تظهر المعوس ممكن تأكيد انفسه

لا يلزم ثم النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلونا في الله في شانه واصطفائه نبيا من غيركم
دونكم روى ان احبار الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا و
ربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم فيحب برحمته من يشاء من عباده وانا اعمالنا ولكم اعمالكم
فلا يعدو ان يكرمنا بما كنا له اهلا لزعمكم على كل مذهب يتحونه انحاما او تبكيتا فان كرامة النبوة
انما يتفضل الله على من يشاء فكما يضيه سواء واما انا فاصة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ترتبا يعتبرها الله في اعطاءها فان ايضا اعمالا
ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى
قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا على معنى
الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله تحاما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
وما انزلت التوراة والانجيل الآمن بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه وقرباؤه ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها
ومن للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وتهديد بالجزاء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة والتحذير
والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق
لهم وفي الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني سلفهم
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمضعوها بالتقليد
والاعراض عن النظر ويريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم
الاخبار توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني
بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية يمنع

ما حاصله عند امه وما اصل [illegible] لابراهيم عليه السلام ما حاصله ونحن له مخلصون ونحن على ملة ابراهيم عليه السلام ما حاصله نحن على النبوة والدين الذي كان عليه ابراهيم عليه السلام ذكر هذا توفيقا بين كونهم ونحن ما كنتم عليه ما من الناس تمام

اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم وهو ما يرتضيه الحكمة ويقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم اوجدنا لكم
افضل القبلة جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا امرتكم بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم
للمكان الذى يستوى فيه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي
الافراط والتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على
المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها او
استدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطلا لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتامل في ما نصب لكم من الحجج
وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فلم تقبلوا
ونصحوا ولكن الذين كفروا لما لهم من الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهد
بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ
الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيوتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد ثم فيسأل عن حال امته
فيشهد بعدالهم وصحة الشهادة وان كانت لهم لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته
عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليهم شهيدا وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة
ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رض كانت قبلته
عليه السلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمحرب
على الاول المجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل القبلة الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا
لنميز الناس ونعلم من يثبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا قبلة آبائه

اولنعلم

كان صلى الله عليه وسلم يحب بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد النزول بقباء على رأس ثمانية عشر
وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال و
النساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم مولوا وجوهكم شطره خطر الرسول بالخطاب
تعظيما واعتبارا لغيبته ثم عمم تقريرا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة اعلم بان عادته تقاضت تخصيص كل نبزة بقبلة وتفصيلا لتخصص
كتبهم الله يصلى الى القبلتين والضمير فى انه للتحول او التوجه وما الله بغافل عما يعلمون وعيد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك
جواب القسم المضمر وسادّ مسدّ جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو اوشك ان يكون صاحبنا الذى ننتظره نبزة الدم وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها مستحقة فى البطلان ومخالفة الحق وما
بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا ترجى توافقهم كما لا يرجى
موافقتهم كل ذلك لتصلب كل حزب بما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اى لئن اتبعتهم خلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين والخطاب له صلى الله عليه وسلم
تهييجا من سورة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على قتاله وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفضاعا لحاله
لصدور الذنب عن الانبياء وهم الذين اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يجر
ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اى يعرفونه
كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم فيعرفهم عن عمر رضى الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال
انا اعلم به منى بابنى قال فلم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى واما ولدى فلعل والدته قد خانت وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف
والحق اما مبتدأ خبره محذوف من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما علمته الرسول او الحق الذى يكتمونه
او الجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى اثبت عليه عالم بنى كالذى عليه اهل الكتاب واما
خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق من ربك حالا او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على ابدال من الاول او
مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين فانه من ربك او فى كتمانهم الحق الجلى به والخطاب

به تعالى

به صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه دوم وليس بقصد واختيار ان امته يمترون فيه
لا يتمكن فيه ما لطوا مر الامة بكتاب المعارف المزجية للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة وكل امة
قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو مولاها احد المفعولين
محذوف اى هو مولاها وجهه او الله مولاها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله
مولاها اهلها او اللام مزيدة للتاكيد وجئ الضعف العوامل وقرأ ابن عامر مولاها اى هو مولى تلك الجهة
قد ولّيها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيرها تمامنا لنال السعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهى الساهمة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا فى اى موضع تكونوا من مواقف ومخالف يجمع
الاجزاء ومفترقها يحشركم الله يوم القيامة للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم
او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كلها الى جهة واحدة ان الله
على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اى ومن اى مكان خرجت للسفر
فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر الحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله وانه تعالى ذكر التحويل ثلث على تعظيم الرسول والمبالغة برضاته وجرى العادة الالهية
على ان يولى اهل كل ملة وصاحب عوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه
وقرن بكل علة مدلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فناط الحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون
للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة لدفع احتجاج اليهود
بان المنعوت فى التوراة قبلة الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى
ملة ابراهيم ويخالف قبلة الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى قبلتنا الا ميلا الى دين قومه وحب البلده اوبدا
له رجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
بسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة ايسا كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ

الآية الذين ظلموا على انها استثناء بحرف لنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشون
علة تامة اوما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون على تحذف اى وامركم لاتمام النعمة عليكم و
ارادتي هدايتكم او عطف على علة مقدرة ومن واخشوني لاحتظكم منهم ولاتم نعمتي عليكم او لتلا يكون وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي بن ابي طالب رضه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم متسلما ما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال الرسول اليكم او بما
بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني بتلو عليكم اياتنا وتزكيكم تحملكم على ما يصيرون به ازكياء وقدمه بما
عتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم عم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على ان جنس نعمة اذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لي واشكروا ما انعمت عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالتعرض المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة
رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليس بالجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات فانها امر لا يدرك بالعقول الوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء
عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على اهل النار فيأتون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان
الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت وتركبه وعليه سور المتقدمين
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله
وكمال البهجة والكرامة ولنبلونكم ونصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون البلاء وتستسلمون
القضاء بشيء من الخوف الجوع اى بقليل من ذلك وانما قللها بالاضافة الى ما وقيهم عنه لتخفف عليهم
ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيبه به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه
ليوطنوا عليه نفسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض و
الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة قبضتم

ولد عبدي

ولد عبدي فيقولون نعم فتقول نعم فيقولون ثم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول ص او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم
ما يصيب الانسان مكروه لقوله ص كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر الا الاسترجاع
بالقلب باللسان بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ما بقي عليه
اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم لم وللبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي ص من استرجع عند المصيبة
جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق و
الصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تع ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من اعلام مناسككم جمع شعيرة بمعنى وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة نقلتا اشرعا على قصد البيت وزيارته على الوجه المخصوص فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا استلموهما فاجاء الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة
واما الخلاف في وجوبه فعن احمد رح انه سنة وبه قال انس وابن عباس رض لهما قوله فلا جناح فانه
يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يفهم وعن
ابي حنيفة رح انه واجب بجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله ع اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة تبرعا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة
او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخير نصب على انه صفة مصدر محذوف او حذف الباء
وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل بتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عالم عليم يثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد ص والهدى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التوراة او ذلك

مهمات في بقية الآيات

ومزيد البهجة بيان

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يأتى منهم اللعن عليهم كالملئكة والثقلين الا الذين تابوا عن كفرهم
وسارعوا الى اتيان ما يمحو اثر الفساد والتدارك وبيّنوا ما بيّنه في كتابهم ليتم توبتهم وقيل ما ارتفع
من التوبة بمحو سمة الكفر عن انفسهم وتقييدي بهم لخبر ايهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وان الثواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اى وهم على تلبّس من الكافرين
حتى ماتوا عليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين استغرق عليهم لعنة الله ومن بعدته بلعنته من خلقه وقيل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملئكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في
المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرا وافاعل الفعل مقدر نحو ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اى في اللعنة او النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفى بدلالة المعنى عليه لانه يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
لا يمهلون ولا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر الرحمة والحكم الواحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة
واحد لا شريك له يستحق ان يتعبد او يقال الها الا الاهو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها وكون
لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فان لم يكن مولى النعم كلها اصولها وفروعها واسسها الفائقة
او فعم علم يستحق العبادة احد غيره وعم الخبران آخران لقوله تعالى الحكم والمبدأ محذوف وقيل السماوات تكون
تجيبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات
وافرد الارض لانها لتباين صفات متفاصلة بالذات مختلفة الحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار باعتبارها
لقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر ما ينفع الناس اى ينفعهم او الذي ينفعهم والقصة
الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه والذكر قرين ذكر
المطر والسحاب لان منشأها البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل في
الجمع وضمة الجمع غير مرضية الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء ماء من الاولى للابتداء والثانية
للبيان والسماء تحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها اى في كل دابة
عطف على انزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النباتات في الارض وعلى احيائها بانتشار الحيوانات
الدوابّ يتمون بالحبّ ويعيشون بالحبّ والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابّها واحوالها
تراوحها في الكيفيات على الاتراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا يقشع مع ان الطبع يقتضي
احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لانه يعضه

بعضا

بعضا الآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعين عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه
الاية ثم رمى بها ولم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الآله ووحدته من وجوه كثيرة
يطول شرحها مفتقلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه مختلفة
وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز شلالا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض وان يتحرك بعكس
حركاتها وحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على
هذا الوجه بسائطها وتساوى اجزائها فلا بد لتباين موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه
حكمته وبوجه يقتضيه مشيته مستعليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان
تواقفت ارادتهما فالمقدور الواحد كان لهما لزم اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما
ترجح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي للالهية وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار
اليه بقوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وذمّ
على البحث والنظر فيه وممن الناس من يتخذ من دون الله انداداً من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم لقوله تع اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد عمّ منهما وهو
ما شغل عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوّون
بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من المحبّ استعير لمحبة القلب ثم اشتق منه المحب
لانا صابها وربح فيها ومحبة العبد تتم بارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الاندادفانها للاغراض فاسدة مدخومة تزول بادنى سبب ولذلك كلما يعدلون عوج
عن المنعم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضون الى غيره ولو يرى الذين ظلموا
ولو يعلم كهولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل
مجرى الماضي لتحققه كقوله تع ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا سادّة مسدّ مفعولي يرى
وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم و
قيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا انداد هم لا تنفع لعلموا ان
القوة كلها لا تنفع ولا يضر غيره وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب ولو ترى على ان خطاب للرسول

اى ولو كان ذلك لرأيت امرا فظيعا عظيما او ان عاما يزيدون على البناء للمفعول وبقية وبالتاء للكثرة
وكذا ان التعذيب العذاب على الاستينا او اصلا القول اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
بدل من اذ يرون اى اذ تبرا المتبعون من الاتباع وقرئ بالعكس اى اذ تبرأ الاتباع من الرؤساء او
العذاب اى رأيتن له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل المعنى
على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الموصل التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاعمال من الطاعة الموكدة واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمنى ولذلك
اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندمات وهى ما لنت مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصلا وما يخرجون عدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والتركيب
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا نزلت فى قوم حرموا على انفسهم لحوما وودكا
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما فى الارض
طيبا يستطيبه الشرع او النفوس المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزى وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة
جعلت سمة التاء كانها علم لها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهى المرة من الخطوان انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة عندذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله اولياؤهم
الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر
لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسمية للمزين بالمزين والفحشاء الشنائع والشوء والفحشاء ما انكره العقل واستحجن
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل فيه وفحشاء باستقباحه اياه وقيل
السوء يعم القبايح والفحشاء ما يجاوز الحق فى القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثانى ما فيه حد
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتحاد الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن رأسا واتباع المجتهد لما دل اليه الظن مستند الى مدرك شرعى فهو بتحقيق

والظن

الحل فى طريقه كما بيناه فى الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير لهما على معنى
معهم للنداء على ضلالتهم بكمالة التفت الى العقلاء وقال لهم الظرو الى عقولا لحمق ما دواما جيبون فاوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا وجدنا هم عليه نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله يعنى الى ولا با
فى نحو الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا الا نهم كانوا خيرا منا واعلم على هذا فيهم ما انزل الله التوبة لانها ايضا تدعوا الى الاسلام
او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للردة والتعجب وجواب لو
محذوف اى لو كانوا اباهم جملة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتباعهم وهو دليل على
المنع من التقليد من تصدى على النظر والاجتهاد واتباع الغير فى امر الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء
والمجتهدين فى الاحكام وهو فى الحقيقة ليس تقليدا بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذى
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف المضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق
او مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يتفكرون اذ نظائرهم
لما ينبى عليهم ولا يتأملون فيما تقرع مسامعهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت و
لا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيل لاتباع آباءهم على ظاهر حالهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيل فى دعاءهم الاصنام بالناعق فى نعقه
وهو التصويت على البهائم وهذا يعنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام
لا تسمع الا ان يجعل من باب التمثيل المركب صم بكم عمى بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اى بالعمل الا طلال
بالتقرب اليها يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم
ما فى الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين ان يجتزوا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحذركم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر ومن البين
يقول الا تتم انى والانس والجن فى بنا أعظم خلق وبعبد غيرى وارزق وشكر غيرى انما حرم عليكم
الميتة كلها والانتفاع بها وهى التى ماتت بغير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حى والسمك والجراد
واخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين يقتضى عموما بعمومة التصرف فيها
مطلقا الا ما خصته الدليل كالتصرف فى المدبوغ والادم ولحم الخنزير انما لحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل

عن الجبان وسائر اجزائه كالسابع له وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللنا ثم كثر حتى لما جاء في الاذكية اذا ذبح يرفع الصوت بالتكبير اذا روى سمى
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغير ما ذكر فى اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم و
ابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الولى ولا عاد بقطع الطريق يعنى
هذا يباح للعاصى بالسفر وهو قاطع الطريق وقول احمد فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور بالغفر
رحيم بالرخصة بيّنه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا
اليها الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا نزلوا عوضا حقيرا والوا ثمنا ما اكلوه
فى بطونهم الا النار لانها تأتى الحال لانهم اكلوا ما يتلبسون بالنار كونه عقوبة عليه فكانها اكل النار كقوله اكلت
دما انهم ارعدك بصرة عبيدة سموى القرظية اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا عوضوا بها حقيرا والوا ثمنا ما اكلوه
النار وسمى فى بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل فى بطنه او فى بعض بطنه كقولك اكلوا فى بعض بطونكم تعفوا قالوا
الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلهم فى الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم
لا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا والعذاب بالمغفرة
فى الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار يتعجب من حالهم فى الاتيان
بموجبات النار من غير مبالاة فما آتية مرفوعة بالابتداء وتخصيصها التخصيص فوله ما شراهم الى العذاب
او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اى فى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق وقضوا بالتكذيب فى الكتمان وان الذين اختلفوا
فى الكتاب اللام فيه اما الجنس او اختلافهم اما بعض الكتب وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن النهج المستقيم فى تأويلها او اختلفوا خلافا مثل انزل الله مكانه اى خرفوا
ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وقول وكلام علة يشترى واسا طير الاولين التى تنفق بعد
اى انى خلاف بعد من الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب
لاهل الكتاب فانهم كانوا يتوجهون فى امر القبلة نحو ثلث واد عى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلتها
فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه وامتثل به الموصوفون وقيل عام

لهم و



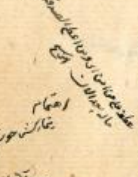

لعم والمسلمين اى ليس البغية مقصورا على امر القبلة او ليس البر الذى يحسن ان يذهل عنه اشتغالا بغيره كما تقول
حمزة وحفص ليس البر بالنصب وكون البر بتأمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اى ولكن
البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن وتوبيخ قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب
الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اى على حب المال كما قال
عليه السلام لما سئل اى صدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير
لله او المصدر او الجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام صدقة وعلى المسكين صدقة وعلى ذوى رحمه اثنتان صدقة
وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الذى اسكنه الحاجة واصله دوام السكون كالمسكين لدوام السكوت وابن السبيل
المسافر وسمى به للزومه السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرفده والسائلين الذين
الجأتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصهم بمعاونة
المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقهم واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون
المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاولى بيان مصارفها وايثار
اداءها والحث عليها وعجتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقة او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة
وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وعطف على من امن والصابرين فى
الباساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال ومن الازهرى الباساء فى الاموال
كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين
واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمال الانسانية
باسرها اذ التعليل صريحا وضمنا فانها بكثرتها وتشعبها مستحضرة فى ثنايا اثنيا صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس ولقد اشير الى الاول بقولنا من امن الى والنبيين والى الثانى بقولنا واتى المال
الى وفى الرقاب والى الثالث بقولنا واقام الصلوة الى اخرها ولذكر وصف المستحق بها الصدق ونظرا
الى العامل واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق والليه اشار بقوله عليه السلام
من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما

طول على الآخر وا صحو القتل تسكم الحر بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام عادكوا الى ربهم
فنزلت وامرهم ان يعتبروا الى بيناوة امن البوة وهو التسوية والبد على ان لا يقتل الحر بالعبد
والذكر بالانثى كما لا تدل على مكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص فرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره
لما روى عن علي رضه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول وفاه سنة ولم يقده به وروى عنه عليه السلام
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة رض من غير نكير ولا يعارض هذا ما روينا ومن سلم دلالته فلنا مع دعوى نسخه
بقوله ان القصاص بنفس لانه كحكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى
العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه واجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا بوجوه وفرع كتب على البناء للمفعول فاعل والقصاص بالنصب كذلك
كل ما جاء في القرآن من عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان الازم وفائدة الاشعار باية
بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفي الشيء بمعنى ترك بل عفاه وعفى بعد عن الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله
عنك وقال عفى الله عنها فاذا عدوه الى المذنب عدي الى الجاني بالام وعليه ما في الاية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما
من الجنسية والاسلام ليرقه ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن
اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب بالدية بالمعروف فلا يعتنف والمعفو عنه
بان يؤدي بها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضي العمد
والامر للايجاب الامر باداء انها على مطلق العفو وللشافعي فرع في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور
في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبني الدية يسيرا عليهم وتقرير الحكم
على حسب مرانهم فمن اعتدى بعد ذلك اي قتل بعد اخذ العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في
الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في

الحاوي ٤

القصاص

من بعض ما يقتضيه العفو الشرط
والحكم خاتمة

القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم بوقوع القتل
من القتل فيكون سببا لحيوة نفسين وانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور
الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فضه
اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص في الدنيا لم يؤاخذ
به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة
او حالا عن الضمير المستكن فيه وفرع في القصاص اي فيما اقتص عليكم من حكم القتل وفي القرآن
حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة نادبهم لما حل في حكمة القصاص من
استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والانقياد
له او عن القصاص فكتوا عن الفتل كتب عليكم اذا احتضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت
اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضه ان مولاكم اراد ان يوصي وله سبعمائة
درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير المال الكثير وعن عائشة رضها ان رجلا اراد
ان يوصي فسالتكم مالك فقال ثلثة الاف فقالت فكم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير
الفعل او على تاويل ان يوصوا او ايصاء ولذلك ذكر الراجع وقوله تعالى فمن بدله والعامل في اذا
فلكتب الوصية لتقدمه عليها وقيل بدله خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه يجيء في ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى لكل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه لان تاكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا
والحديث من الاحاد وتلقي الامة بالقبول لا يجعله بالتواتر ولعله احتمر عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله تعالى من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او يايصاء المحتضر
لهم بتوفير ما اوصى الله تعالى عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث
حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا من بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما

بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فان الايصاء المغير او التبديل
الا على مبتدله لانه هو الذى خان وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد لمبدله يغير حق من خان
موص اى توقع وعلم من قولهم لخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابوبكر
موصا جنفا ميلا بالخطأ فى الوصية او اثما تعمد التخيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم
على نهج الشرع فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل ما الى الحق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمبالغة ذكر الاسم وكون الفعل من جنس ما يوصى به انما الذين امنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعنى الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وقيد كتب
للتحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس
وفى الشرع الامساك عن المفطرات فانه معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصى فان
الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فانه له وجاء او الاخلال
باداته لاصالته وقدره اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد
عدا والكثير يهال هيلا ونصبها على ظرف الصيام لوقوع التفصيل بينهما بل اياما صوموا للدلالة على القليل
والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه وشبح به وهو عاشوراء وثلثة ايام
من كل شهر او كما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم الصيام وقيل بمعناه صوم
كصومهم فى عدد الايام فانه روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد او حر شديد فحولوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مريضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه اياما بان من ساعاته اليوم
لم يفطر فعدة من ايام اخر اى فعليه صوم عدد ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف
الشرط والمضاف اليه للعلم به وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب والبه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين
للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومدا عند فقهاء الحجاز
رخص لهم فى الكف اولا ثم امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يعتادوه ونسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابى
ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المسكين وحمزة يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق فى الطاقة او الطلاق

وقرئ يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على الاصل فيهما
يطوقونه ويتطوقونه من فعل وتفعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل ان يكون ما ثابتا
وهو الرخصة لمن يشق عليه الصوم ويجهد وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اى يصومونه بجهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا قرأ فى الفدية
بالتاء وقد اول به القراءة المشهورة اى يصومونه بجهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا قرأ فى الفدية
فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا انتم المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او لو
تعلمون فى الافطار لبنى درج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن
التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب به محذوف دل
عليه ما قبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من
ذلك شهر رمضان مبتدا خبر ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل
من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على
اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف اذ لا يبنى ايام معدودات والشهر
من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع دابة فى ابن دابة علما للعراب للعلمية والتانيث وقوله
عليه السلام من صام رمضان فعلى احد الصيامين يكفر الناس وانما سمى بذلك
اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لان رماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر
حين سموا ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القرآن اى ابتدئ فيه
انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل بها الى الارض واسند
فى ذاته القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى

وقوله

للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل وهو هداية لله للناس
باعجازه وآياته واضحات متاهدى الحق ويفرق بينه وبين الباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع
المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الباقي على الاتساع
وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة
اى صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر مختصا للاول المسافر
المريض ممن شهد الشهر ولعل تكرير ذلك اولئلا يتوهم نسخه لما نسخ قوله يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للمسافر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل الفعل محذوف دل عليه ما سبق
اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص القضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة التي آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة لامر مراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او لافعال اكمل لفعله ومعطوفه على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا
ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم ليكملوا العدة ويريدون ليطفئوا والخطاب لمكلفي عصره صلى الله
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما بعده
المتناسب والخبر اى الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا للتشديد واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اى فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعاني تقرير للقرب
ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجبتهم اذا دعوني
لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد

وفيه اشعار بان الامر الذي سبق تكليفهم
بوجوب الصوم فيه

وهو صابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة
العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على اخبار احوالهم
سمع لا قوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا استوى احدهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء او ينام قد واحا ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم بعد
العشاء واتى النبي صلى الله وقال ما عنرفي اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي يصح فيها الصيام والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثار ههنا التصريح بما يكنى
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب
حلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل
والمراة يجتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه بالملابس لما كان الجدي اذا ام الضجيع ثنى عطفها
شبه فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر صاحبه ويمنعه عن الفجور علم انكم
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
المبالغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما قترفتموه وعفا عنكم وعما
عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن
والمباشرة الملاقاة في البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدر الله
لكم وانبته في الرحم من الولد وقيل المعنى ان المباشرة بغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق
الشهوة وشرع له قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
شبه ولما يميز من اسود الليل من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك جاء عن

جواز نسخ السنة بالقرآن

المباشر مطلقا لكون جميع الاعضاء محلا للاستمتاع

النكاح

الاستعانة الى الفعل ويجوز ان يكون من التبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روءاها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبين لهم
ايهما فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او كانوا لا يباشرونها
في ذلك ثم نزل مرتبا بالبيان لما التبس على بعضهم ومنه تجويز المباشرة الى الصبح الكاملة على جواز تاخير الغسل
الليه وصحة صوم الجنب ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لآخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة
الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل
على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه وبغيره لان
النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي ان تقرب
المحارم بتعاطي الحلو الباطل تلميحا في الباطل فضلا ان تخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه ومن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا
تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك البيان يبين
الله آياته للناس لعلهم يتقون نحالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اي لا يأكل بعضكم مال البعض على الوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال
من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي ونصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
انها كشهادة الزور واليمين الكاذبة وانتم تعلمون انكم مبطلون فان
ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان العبدان الخصمين اذا دعي على امرئ القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحلم رسول الله صلعم ان يحلف امرئ القيس فهم به فقرا رسول الله
صلعم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتفع عن اليمين وسلم الارض الى
عبدان فنزلت وفي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما

انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو
ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار يسئلونك
عن الاهلة سأله معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم
سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامر الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة
وذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة كالحج يعرف
بها وقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من
مبدائها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا
فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فجوة وراءه ويعدون برا فنهوا عن ذلك
انه ليس بر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن
الامرين اوآنه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فالحج ذكر للاستطراد او انهم
لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة
عقب بذكر جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم
بها انما المراد به التنبيه على ان [illegible] كيسهم السؤال كما لا يدخل من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى
ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وائتوا البيوت من ابوابها
اذ ليس في العدول تبرا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في غير احكامه والآية
على اضماره لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا اعلاء كلمة الله
واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المعنى
قاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يبدءونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم

من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة كلهم فانهم صدّوكم فتال المسلمين وعلى قصص وتوبيخ لاناس ممن اشار وان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم فهموا بقتالهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال وتبقا المفاعلة والمجاوزة به من غير وقوع والمثلة وقتل من لا يقاتل كالنساء والصبيان والرهبان والاجراء الا ان يكون احدهم ذا رأي ومكيدة في الحرب او تحريض عليه ان الله لا يحب المعتدين لا يرضى بفعلهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وهو يتضمن الغلبة ولذلك استعير فيها قال فاما تثقفنهم في الحرب فشردهم قتلوهم فليس الى الخلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تبعتها وألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تقاتلوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا بأس بقتالهم حينئذ فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتل بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك وتكون الدين كله خالصة لله ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وانما كان نفس ذلك اعتداء لانه مقابله وقيل لا تعتدوا عليهم بقتال من نهيتم عن قتاله الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة وتوقوا خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا

تالوايه

تالوايه والحرمات قصاص احتياج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم واحلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو مؤيد لذلك التفسير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيمد بمعونته ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا عن الانفاق لاستلاء العدو وسائر الاسباب شان وتضييع وجه المعاش والكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم وفي الحديث ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت اي بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي الخبل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد وحالة الفناء طرح الشيء وعدي الى نفسه مجاز الانتهائه والباء مزيدة والمراد به الايذاء لان نفسه والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهو مصدر كالتضرة والنشرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تحملوها آخذة باديكم ولا تكلفوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين وائموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيد قراءة من قرأ وافعلوا الحج والعمرة وقد روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك يعارض ما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه وجبت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال لانه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان والواو لا يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا وان تجرده لهما لا يسوء بهما بغرض دنيوي او ان يكون النفقة فيهما حلالا فان احصرتم منعتم بقال حصره العدو واحصر اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده

تالوايه

بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عندنا لقوله تعالى وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى ومذهب اصحابنا رحمهم الله وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقوله تعالى بل يزيدون وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان العرب لم تحسن الحساب وان المراد بالسبعة دون الكثرة فانه يطلق للكامل كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد او مبينة كاملة العشرة فانه اقل عدد كامل اذ به ينتهى الاحاد وبتمامها الآحاد ومقيدة تفيد كمالا على ثانيها من الهدى ذلك اشارة الى الحكم المذكور وعندنا والتمتع عند ابى حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وهو سكان الحرم على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وعن مالك رحمه الله مثله واتقوا الله فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كى يحذركم العلم به عن العصيان الحج اشهر كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابى حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان ما لا يكون الحرم فى بقية ذى الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض شهر اساءة اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدى عند ابى حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعى وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا يرفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالتهاب واركاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة فى الحج فى ايامه نبى الثلثة على قصد النهى للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون

واصحه والمراد حصر العدو عند مالك والشافعى لقوله فاذا امنتم ولقوله فى الحديبية وكلمتهم ابن عباس رضى الله عنهما الاحصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة لما روى عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف ما تواتيا اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فما استيسر من الهدى فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر الجرم واراد ان يحلل فليذبح هديا يتيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند ابى حنيفة بمعد به وبجعل الابعد بينه وبين يوم النحر يوما فاذا جاء اليوم ولم يذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب ان يتحر فيه وهو الاول بلوغ الهدى محله على ان يحل نحره فيه حيث يحل نحره فيه حلالا كان او محرما وافتقار على الهدى دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل اسم للكان يطلق للكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم فى حال السعة وأمن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالحرة قبل الاستمتاع بتقربه بالحج فى اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى فعليه دم استيسر بسبب التمتع فهو دم جبران ينجبه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة اندم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اى الهدى فصيام ثلثة ايام فى الحج فى ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة فى اشهره

ومنها ما كانت مستقبحة في نفسها فنهى الحج فيها عن كل ما يخل بالحرمة في الصلوة والتقرب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فامر رفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقيب النهي عن الشر فيستدل به ويستعمل بمكانه **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد **وقيل** في اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الاثم في التوسل والتنقل على الناس **واتقون يا اولي الالباب** فان قضية اللب خشية الله وتقواه حتم على التقوى ثم امرهم بان المقصود بها هو الله فنبه اولا على ان كل شيء سوى الله وهو مقتضى العقل المجرى عن شوائب الهوى ولذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب **ليس عليكم جناح ان تبتغوا** في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قبل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتعوفون بها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت **فاذا افضتم من عرفات** دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات سمي به كاذرعات واتى بالتنوين وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم التصرف وههنا ليس كذلك لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يجمع تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه السلام فلما ابصر

عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا به فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف لان الافاضة لا تكون الا بعده وسمي ما سورها بقوله ثم افيضوا ومقرمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ المذكور غير واجب والامر غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشاءين **عند المشعر الحرام** جبل واقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيده ما روي عن ابي عباس انه عليه السلام لما صلى الفجر بغلس اردف الفضل ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر واتى المشعر الحرام وهو معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام متاخرا عنه ويقرب منه فانها افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هداكم** كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** اي الهدى **لمن الضالين** الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان ظننك لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا ان ينسلوا وهم ثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الي الناس ثم لا تحسن الى بخلهم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر والناسي بريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب المستغفر ويثيبه عليه **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا فرغتم العبادات الحجية وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم آباءكم** فاكثروا ذكره وابلغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم

ومحاسن اباهم وا شدذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذكرا على المجاز
والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكرا شد منه والمخ او على ما اضيف اليه
على ضعف نحو واذكروا فوما اشد منكم ذكرا وانما منصوب العطف على ابائكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او مصدر دل عليه المحذوف تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفضيل للذاكرين اى لمن لا مقل لا يطلب بذكر الله الا
الدنيا ومنكم من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا وتحصيلنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اى نصيب وحظ لان همته مقصورة
بالدنيا او طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة بعني الصحة والكفاف وتوفيق
الخير في الآخرة حسنة بعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي
رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذابا مراة السوء قول
الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار احفظنا من السوء
والذنوب المؤدية الى النار أولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم
نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو جزاءه او من اجله كقوله مما خطيآتهم اغرقوا ومما
دعوا به تعظيم منه ما قدناه فمتى البقاء اكتبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقوم القيامة ويحاسب الناس
فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في
ادبار الصلوات وعند رمي الجمار وعقيبها في ايام التشريق فمن تعجل في يومين
النفر في يومين يوم القر والذي جدة اى فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عند زوال
طلوع الفجر عند فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في النفر حتى رمى
اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى في لا اثم بالتعجل
والتاخير نفيهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن

اتقى اى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به اولا
جله حتى لا يختار ويترك ما يتهمه منها واتقوا الله في جامع امور كم ليثيبكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله
بروقك وبعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب الشيء منه وفي الحيوة
الدنيا متعلق القول اى ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش وفي للدنيا فانها مراده من ادعائه
المحبة واظهار الايمان او يعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا لحلاوة وفصاحة ولا يعجبك ولا
خرة لما يعتريه من الدهشة والحسبة او لانه لا يوزن له في الكلام ويشهد الله على ما في
قلبه يحلف ويشتهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو ألد الخصام شديد
العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى شديد الخصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو
المنطق والى رسول الله صلعم ويتحامى الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر او انصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف والظلم حتى منع الله بشومية الفطر فيهلك الحرث والنسل والله لا
يحب الفساد لا يرضيه فاحذروا غضبه عليهم واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها طلبا
لها في الجهاد او امرا بالمعروف وبنيا عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضاة الله طلبا لرضاه وقيل
انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال لهم شيخ كبير

لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فلم تقتلون وما انا عليه وخذوا مالي فطلق
منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى ما فيه خيرهم في الدارين وكلفهم ايسرها
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم
والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من السلم او السلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله وادخلوا جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام كله
ولا تعملوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا
الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تحلوا شيئا والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفرق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجز
الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان
يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه
فحذف الملائكة عليه بقوله فان لله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لاذن الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب وكيف اذا
جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة
بأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتمر اهلاكهم وفرغ منه
وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله ترجع الامور قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول لعدم

ومنذرين اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب
الذى علمه من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة
عشر والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون ويريد بالجنس
ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما
كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به
ليحكم بين الناس اى الله او النبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه فى الحق الذى اختلفوا
فيه وفيما التبس عليهم وما اختلف فيه فى الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى
لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع محن الامم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لمز يدت عليها
ما وفيها توقع ولذلك جعل مقاربا لقد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل
فى الشدة حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه كناية عن شدة واستطالة المدة بحيث
تقطعت حبال الصبر وقراءة نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه
متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اى فقيل
لهم ذلك استعجالا لهم الى ما طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله الفوز
بالكرامة عنده برفض الهوى والملذات وممارسة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس

ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين
نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتداده ولانه باعتبار ج
كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا
خيرا فالله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم
القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول
كالخبر وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا
عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم
وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس
تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسيان النفس اذا رأضت تنكس
الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام
تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روى انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش عبد الله الحضرمى وثمانية معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش
استحل محمد عليه السلام الحرام سفك فيه الدماء واخذ المال وعير فيه الناس فلما
ما يئسوا منه وثب على اصحاب السرية وقالوا لما نترك حتى نرد قتلانا ونرد رسول الله صلعم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت لخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
وهو اول غنيمة فى الاسلام والقتلى وهم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا
وقد اصحاب السرية قتالا فيه بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير

باعتبار ج
باعتبار ج
الآخرة ج
الشهر ج
الشهر ج
الشهر

العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة فى حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله
اى الاسلام وما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد
الحرام عطف المضاف اى وصد المسجد كقولك اعجبنى زيد وكرمه اى وكرم زيد
او ارادة المضاف اى وصد اهل المسجد كقولك رأيت اليوم اسامة وقد يقال ليس
ثمة اضافة ولا تجسس عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الضمير فى به فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبى عليه السلام والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلتم الشرك خطاء وبناء على الظن وهو جزم عن الانتباء الاربعة المعتد
من بكائر قريش وافعالها يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من
القتل اى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك اقطع منا ارتكبوا من قتل الحضرمى ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا يتفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة فالمعنى
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى
فلا تبق على واى ان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم فيه الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى
والمراد بها الاعمال النافعة وقوى حبطت بالفتح وهو لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما يتحراه
وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا فى السرية لما ظنوا بهم
انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرروا لهم
موصلا لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله

ثوابها اثبت لهم الرجاء استحبارا باتا العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعهدة بالخواتم
والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر يسألونك عن الخمر
والميسر روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذه
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها
مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فامّ احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فى الخمر فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره
سميت بها عصير العنب والقرا ذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره او يخمر
وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقالا ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر
اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى
به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يسار والمعنى يسألونك عن تعاطيها فقل فيها
اثم كبير اى عقاب كبير حيث انه يؤدى الى الاجتناب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة
والكسائى كثيرا بالثاء ومنافع للناس من ربح المال والطرب واللذاذ ومصادقة الفتيان
وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوقد المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر
فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل ولا اظهر انه ليس كذلك لما تقرر
ويسألونك ماذا ينفقون قيل سأله ايضا عمرو بن الجموح سألا ولا عن المنفق والمصرف
ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو

ان ينفق ما يتيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال الخدري العفو ما تستديمه مودة ذوي القربى ولا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال اخذها منك صدقة
فاعرض عنه حتى كرر ذلك مرارا فقال اما منك فاخذها فاخذ فقال ما لي اصابه لشيء
فقال اما اذ بلغ احدكم ماله كله يتصدق به يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ
ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اضح من الجهد وما
ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين
وانما وحد الخطاب والمخاطب به جمع على ارادة كل فرد فرد او الجمع لعلكم تتفكرون في الامثال
والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما او
تجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى
لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاشوا طعامهم والاهتمام بامرهم
فشق ذلك عليهم فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير
اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخواكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم بكلفكم ما يشق عليكم من العنت
وهي المشقة ولم يحجر عليكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه
الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا
تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله
تع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه صلى
بحث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهويها في
الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي

العفو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد

قال عبد السلام يأتي بمالك كله ويقعد في بيته يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى

العفو ما سهل من أخلاقهم

فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة
اي ولو امرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله وامائه ولو اعجبتكم بحسنها
وسائر امرها والآية دليل على ان الكفاءة لا تعتبر في النكاح ولو بعضان وهو كذلك ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم
المؤمنات حتى يؤمنوا وهو في معنى عمومه ولعبد مؤمن خير من حر مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي
عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والحر
كانت يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو
اي وليا وهو يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى
الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه
بتوفيق الله وتيسيره وبقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون كي
كرروا ولكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركن في العقول من قبول الخبر ومخالفة الهوى
ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولم يؤاكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت
والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر بسؤالهم بغير واو لتأخر بيانه عن السؤال الاول
الا ان السؤال الاول كان في اوقات متفرقة والثاني الاخير في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف العطف
قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عليه السلام اصنعوا كل شيء الا النكاح فمجامعة الحائض اذا حضر ولم يأمر كما جرا
جمن عن اليهود كفعل الاعاجم وهو الافراط في التشديد وتفريط النصارى فانهم كانوا
يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة
ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
قرئ قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابان حتى يطهرن اي يطهرن بمعنى يغتسلن وقرأ الباقون
وقرئ اذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت

لا كثر الحيض جاز وقربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم
ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين عن الفواحش والاقذار
كجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها
لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله
فأتوهن من حيث امركم الله أنى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يتخير لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لما لا تستحون به وبشر المؤمنين
الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم من الرسول صلوات الله عليه ان يتجشمهم ويثيب
من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة أو فى عبد الله
بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة بطلق لما يعرض دون الشئ وللمعترض للامر ومعنى الآية على الأول
لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها
كقوله عليه السلام لا يمن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا والاخلال
ايمانكم به وعلى أن لا تبروا ولا تجعلوه معترضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف
بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى نهيكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موفقا به بخلاف
اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم

اللغو

اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله مجردا للتأكيد ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة لا كفارة بها لا عقد معه ولكن يؤاخذكم بها او باعقادهما
بما فصلتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل
بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بالخطأ فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بتعمد
الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل المؤاخذة على عين الجد ترجيا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى
لتضمن هذا القسم معنى البعد عدى به تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبر او فاعل
الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق
التربص فى هذه المدة فلا يطالب بشئ ولا طلاق ولذلك لا تضرب المدة من وقت الايلاء الا اذا كانت من اربعة
اشهر فيؤيده فان فاءوا رجعوا عن اليمين بالجنف فان الله غفور رحيم للمولى فرجعته اذا لم تحته
او ما توجب ايلاء من ضرار المرأة ونحو با لفيئة التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق
فقد فان الله سميع لطلاقهم عليم بنزعهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر
فما دونه وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطى ان قدر والوعد ان عجز صح الفئ ولزم الوطى
ان كفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا بطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنها طلق
عليه الحاكم والمطلقات يريد به المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر فى معنى الامر وتغير العبارة للتأكيد والايذان
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك للداعى رحمك الله وتاؤه على المبتدا بزيده فضلا تأكد بانفسهن تهييج وحث لهن على التربص
فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء
نصب على الظرف والمفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه السلم

دعي الصلوة ايام اقرائك والطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الذي يحتاج اليه الرجل لحيضها كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض وانما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا تعارض ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البابين مكان الآخر وقوله الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكلام فحسن بناها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استحالا ان العدة وابطالا لحق الزوجة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد تلي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه بنا في الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تليها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كالوكر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مفيد ترمز لك بعل حسن البعولة تحت به او اقيم مقام المضاف المحذوف وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك الزمان التربص ان اراد وا اصلاحا بالرجعة لا ضرارا للمراة وليس المراد منه شريطة فصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار وبحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يبتاركون نحن في عرض الارواح ويختصون بفضيلة الرعاية والانفاق

والله

والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اى التطليق الرجعي اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرق ولذلك قال الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة وايثارا لرجحانها ثم ليتمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وكان القياس الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقيب عليهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصداقات روى ان جميلة بنت اخت عبد الله ابن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي ورايته شيئا والله ما عتبت عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا الى فرقت جاب الحجاء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة وافبحهم وجها فنزلت واختلفت عدديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والاتيان اليهم لانهم يقررون بها عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله تركيب الكلام احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير لدلالة الاشتمال وقرئ يخافا وتقيما على الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها والخلعت وعلى المراة في اعطاء تلك حدود الله اشارة الى ما حكم من الاحكام فلا تعتدوها اى فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي الوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا يجوز مع الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روى انه عليه السلام قال لجميلة انت بين عليه حديقته

فقالت أردّها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزيادة فلا والمهر راشتركوه ولكن تقدوه
فان المنع عن العقد لا يحل فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلفت انه
اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه
للحلم بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه
فرقه باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق الطلاق تزان تغيير لقوله
او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الحلم دلالة على ان الطلاق يقع تجانا ناره وبعوض اخرى والمعنى
فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج
غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزويج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب والثوري
الجمهور على انه لابد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة فقالت نعم فقال لا
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة فيدنها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح
بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر
وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له
فان طلقها الزوج الثالث فلا جناح عليهما ان يتراجعا أن رجع كل من المراة والزوج الاول
الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير بعيد لان عواقب الامور غيب فظن ولا
تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان الناصبة للتوقع وهو بنا في العلم وتلك حدود الله
اى الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولنهايتها فيقال لغرماء الانسان ولموت

الذي ينتهي فيه كل حي مستكمل مدة العمر وهو اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء
وقد يقال للقرب منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن او
سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صور للاهتمام به ولا تمسكوهن
ضرارا ولا ترجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجلة ثم
يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل والالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالفعل اذا المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها او التهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما
انت هازئ كأنه نهى عن الهزو وارادة به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق
ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد
عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة
افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به مما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن وقرب
الثاني فحذف لدلالة السياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان يمنعوهن ان يتزوجن
المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا الى ان تزوجها
الاول ايضا الاستبعاد ان يكون ذلك لبلاغ ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو ملكت
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض ما سيأتي ان النكاح ليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن
وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتزوجون نهض عذ
وانا وقصره لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم

والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين
له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم تخرج اذا
تراضوا بينهم اى الخطاب والنساء وهو ظرف كان يتحكم ولا تعضلوهن بالمعروف بما
يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا
ضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهى ذلك اشارة
الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق
بين الحاضر والمنفرد دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصور من كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الآخر لانه المنتفع به والمتفع ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر لانكم انفع واطهر
من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
لفات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب يخص
بما اذا امر برضع الصبى الا من امته او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات
تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه متا يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز
ان ينقص عنه وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه
وتغيير العبارة للاشعار الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرهن وتختلف فى استيجار الام فمجوز الشافعى ومنعه ابو حنيفة مادامت
زوجة او معتدة النكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد

بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له
وتقرير اى لا يكلف كل منهما الآخر ما يضر فى وسعه ولا يضار بسبب الولد وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا يضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر
على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والمراد
من صلته اى لا يضر الوالد بالولد فيما يعقد ويفسخ فيما ينبغى له وقرى لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضار يضير واضافة الولد اليها
تارة والى اخرى استعطافا لهما عليه وتنبيها على انه حقيق بان تشفقا عليه باستصلاحه
والاشفاق فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على
قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصحيح اى انما مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباء فى من الابوين
من قوله واجعله الوارث متا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما
عدا الولاد وقيل وارث الطفل والبنة ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب
ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك باستبقاء الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة فان اراد فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما
والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل
اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لعرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا
اولادكم يقال رضعت المرأة الصبى واسترضعتها اباه كقولك انجح الله حاجتى واسنجحته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج
ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله
تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما آتيتم من آتى اليه احسانا اذا فعله وقرى اوتيتم اى

آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعًا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل السكوت ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم الثمر صنوان بدرهم وقرئ يتوفون مبنيا للفاعل اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر اعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله فقد ذهابًا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا فان لبثتم الا يومًا واعلم المقتضى لهذا التقدير ان الجمع فى غالب الامر يجرى مجرى الثلثة اشهر ان كان ذكرا والاربعة اشهر ان كان انثى فاعتبر فيه الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاعم والحامل وغيرها كذلك القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد بأقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء والمسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان ينكرنهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل حتكم لا اسلم عليكم والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف وانخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المفتوح

خطبة بالضم الموعظة وبالكسر طلب المرأة

خصت بالموعظة والمكنون بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة واناقية ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك واكننتم فى انفسكم اواضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحًا ولا تعريضًا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن نكاحًا او جماعًا عبر عن الوطاء لانه مما يستر ولما فيه من العيب ولانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لانه الوقوع لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة تلحقكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقرئ بالتاء لان الكسائى ثما تموهن اى تجامعوهن وقراءة الكسائى تماسوهن بضم التاء ومد اللام فى جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا وحتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعولة والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويجعل المصدر بمعنى

عقدة

اى ذكروهن

انه لا متعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها
مهرا ذلو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى
لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الى
وجوب على الجملة في الاخيرتين **ومتعوهن** عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبر انكاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله **على الموسع**
قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الغنى سعة والمقتر الضيق الحال اللائق به ويليق
به ويدل عليه قوله عليه السلام لفاطمة بنت قيس طلقها ثلاثا امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها
بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل عن ثلثها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة بالمفوضة التي
لم يسمها الزوج والحق بها الشافعي خلافا لاحد قوليه المسموسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الميم **متاعا** تمييز **بالمعروف**
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق
ذلك حقا **على المحسنين** الذين يحسنون الى انفسهم بالمبادرة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمبالغة ترغيبا وترهيبا **وان طلقتموهن من قبل**
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكركم المفوضة اتبعه حكم
قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجماع المنفي تبعته
المهر وان لا متعة مع التسمية لانه قسيمها **الا ان يعفون** اى المطلقات فلا يأخذن شيئا و
الصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير ولذلك لم يوثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عبر بها يعود اليه
بالتشطير فيسقط المهر انها كملا وهو مذهب ابن الطلاق قبل المسيس مخير الزوج غير مشطر

الحكمة في ايجاب المتعة

والفعل مبني

بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد كاحمق
وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي **وان تعفوا اقرب للتقوى** يتعين
الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخير عبارة عن الزيادة على
الحق وتسميتها عفوا اتماما على المماثلة واما لانهم يسومون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه
تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو **ولا تنسوا الفضل**
بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع تفضلكم وما
حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام
الاولاد والازواج ليتلافى بهم الاستغراق بشانهم عنها **والصلوة الوسطى** اى الوسطى منها
او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة
الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقبورهم لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت
افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احرها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار
والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة
بالعدد وورد انها النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين وافعتين طرفي الليل وعن عائشة
انه عليه السلام كان يقراها والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص **وقوموا لله** في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب الحامد
القنوت في الصبح **فان خفتم** من عدو او غيره **فرجالا** او **ركبانا** فصلوا راجلين او راكبين ورجال
جمع راجل او رجل بمعنى كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه
ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يكن الوقوف فاذا

الصلوة الوسطى
صلوة العصر

وفي صلوة الظهر
وفي الفجر
وفي المغرب
وفي العشاء

امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن اواشكروه على الامن كما علمكم
ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا بوازنة ما
مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن
عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله وصية
او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا
الى الحول كانه وقراها الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكم وصية
او والذين يتوفون اهل وصية او وعليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول غير
يوصون ان اضربت والا فالوصية او متاع على قراءة لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدا منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى
انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم
حولا بالسكنى وكان ذلك قبل الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو كان
كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن غير منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد
وانما كان مستحبة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم من
مخالفه منهم حكيم راع مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت
المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها للواحدة منهن او افراد بعض اقسام المدخول بها
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم وكذلك اوجبها ابن جرير لكل مطلقة واوجبها
بعض المتقدمين للمدخول بها خاصة والمراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون
مما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون

اللام للعهد والتكرير للتاكيد ولتكرر القضية كذلك اثاث الماسبق من احكام
الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعدابه سبيين لعباده من الدلائل والاحكام ما
يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها
الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد تخاطب به
من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم
هم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
مائة والوف جمع الف او الف كقاعد وقعود والوالها حذر الموت مفعول له فقال لهم
الله موتوا اى فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل
واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل اماتهم به ملك وانما اسند الى الله
تعالى تحويفا وتهويلا ثم احياهم قيل ترجم قيل على اهل داوردان وقد عرفت
عظمهم وتعرفنا وصاهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه نادهم ان قولوا
باذن الله فنادى يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم كما هم
لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير
مخلص وان المقدر لا محالة واقع ايهم بالقتال اذا لوجاء اجلهم ففي سبيل الله والا
فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والشابي عليم بما يضمر

بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا الا
دهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا
قليلا منهم ثلثمائة وثلث عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيدهم على
ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم
عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلى الله
عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم تنسا وهما الا طالو
قالوا اني يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق بالملك ورائة وملكة وانه فقير لا مال له
يعضده وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاءا او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوى بن يعقوب والملك
في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم للاستبعاد وانما لم يقنعوا
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك وقال ان العلة فيه اصطفاء الله وقد اختار عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرف فيه وفور العلم يتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب لما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يوتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم
نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفاه طالوت وملكه عليهم ان آية
ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سربيل وقلق ومن قراءه بالهاء فلعله ابدله منه







وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء
او ذا خبره والذي صفة ذا او بدله او اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ومقرضا حلالا طيبا وقيل النفقة
المجاهد والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا
الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله احد وقرا ابن كثير يضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر
ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب والمفعول الثاني للفعل المضاعفة
بمعنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط
يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
ليلا يبدد لحالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل
الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي
من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا
ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال ننتهر امره ونصدر فيه عن رأيه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ونقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملك قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبرها بالشرط والمعنى توقع جبنكم عن القتال ان كتب
عليكم فادخل هل على نفس التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا عسيتم
بكسر السين قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاهل
والوطن والاقراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون حول

وقرأ نافع والكسائي والبزي بخلاف وابو بكر
بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى
في الخلق بسطة ج

بحر الروم

كما ابدل من تاء التابوت لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب السمسار مموها بالذهب عوام من تلقفه اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للايمان اي مما اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي موضع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فلسكن نفوسكم بنبي اسرائيل ولا تفرون وفضول كانت فيه من نهر جدا ويافوت لها راس وذنب كراس الحرق وذنبها وجلحان فتان فيرق التابوت نحو الحدق وهم يتبعونه فاذا استقر بنوا وسكنوا وترل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص وآياته مصير قلبه مقرا العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما اتباعهما واقتفاؤهما والآل قد يقحم لتفخيم شانها او انبياء بني اسرائيل لانهم اتباعهم تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فترلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى اذا سئلهم الكفار عليه وكان في ارض الموت الى ان ملك طالوت فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فنشاموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فسافتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن عمالة لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما لم يذكر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر مبالكم معاملة المختبر بما تفتحقوه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي وليس بمحمدي معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء

اولد
فان شئت حرمت النساء عليكم

اذا ذاقه مما كلوا ومشوا قليل وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا واما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الثابتون على الخبر في قوله الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن كثير وعاصم والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرهوا فيه اذا لاصل في الشرب منه ان يكون بوسط وتميم الاول ليتصل الاستثناء او أفرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واذاوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لفاصد الاشق فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم تحلفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتحذيلا للقليل وكانهم تفاءلوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ورأوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو املاك الامر ثم ثبات

القدم في مداحض الحرب المستتب منه ثم النصر على العدو المرتب عليها غالبا
فهزموهم باذن الله فكسروهم وصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم
وقتل داود جالوت قيل كان ابشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه
فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتيه الله الملك اى ملك بني اسرائيل وكلم
مجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالزرد وكلام الدواب
والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار وكف بعضهم
فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمه وكفرانا نفع هنا وفي
الحج دفاع تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث التابوت وتمليك طالوت واتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة
او المعلومة للرسول فجماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض
بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى
وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج
حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب
فانه كلم الله كما ان الله كلمه وكذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة ومراتب متباعدة وهو محمد عليه السلم
فانه خص بالدعوة العامة والحج المكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بعا

تلك الرسل ٢

الدهر

الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر ولانهم لتفخيم شانه كانه العالم المتعين
لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ارهيم خصته بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين كاخوانه لافراط اليهود والنصارى في تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد
ما جاءتهم البينات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزاما دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه
عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء منفاوتة الاقدام
وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل
واته الحوادث بمشيته تابعة لمشيته خير كان او شر ايمانا وكفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص
من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يعينكم عليه اخلاؤكم وتياسرون به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
حتى تتحملوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت تلتها مع فتح التميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة وشفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضع الضمير تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر فان من لم يحج وايدناهم بان

تفضلام

اسماء من كان اسمه ذكريا

تراك الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله
الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غيره للتجاة خلاف في انه هل يضمر للاخبر
مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم القائم القيام بتدبير الخلق وحفظه مأخوذ
من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور
يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس
بنائم والنوم حالة يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وفيا شر
المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما
فان من اخذه نعاس او نوم كان ما في الحيز فاصرا في الحفظ والتدبير وايذان بذلك
العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته
واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد ما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او
خارجا عنها متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه بيان لكبريائه شانه وانه لا احد يسامحه او يداينه يستقل ان يتبع
ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او العكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي
او امور الدنيا وامور الاخرة وكلها وما يحسنونه وما يعقلونها وما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذوات الملائكة ولا
يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلمهم وعطفه على
ما قبله لان مجموعها يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد لقوله وما قدروا الله حق قدره والارض

جميعا

جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه وملكه ماخوذ من كرسي العالم او الملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذا سمي كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله القلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل ما يعقد عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو المليذ ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ
من الاود وهو الاعوجاج حفظهما ايحفظه السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الاضداد والانداد العظيم المستحق
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على اثنتي عشرة مسالة الاهية فانها
دالة على انه تعالى موجود واحد في الاهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره
اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول متبرا عن التغير والفتور
لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها
جليتها وخفيتها كليتها وجزيتها واسع الملك والقدرة كلما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك
قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قراها حين يامر الله ملكا
يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قراء آية الكرسي
في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والا
بيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا فعله
عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلائل

على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة
والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا الذين
وهو لما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فنزلت قد تبين الرشد
بالشيطان او الاصنام وكل ما عبد من دون الله وصد عن عبادة الله فعلوت من
الطغيان قلبت عينه ولامه وبؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك
بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار
للتمسك المحتمي من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته
فانفصم والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا
محبهم ومتولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهداياته
وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية
الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر ما حل من المستكن في الخبر او من
الموصول ومنها استينافان مبينان او مقرران للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
اي الشياطين والضلالات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي يتحرى بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور
التبيانات الى الظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام ثم ماتوا على
الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا بانه تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعله عدم مقابلته بوعد المؤمنين لتعظيم
شانهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحاقته ان آتاه

الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له
على طريقة الكمس كقولك عاديتني لانى احسنت اليك او وقت ان آتاه الملك وهو حجة
على من يمنع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من
آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجسام وقرا حمزة
رب بحذف الياء فقال انا احيي وأميت بالعفو عن القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف
قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابرهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه
دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول من مثال يخفى الى مثال جلي من مقدوراته التي
يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل ما يمكن
ان يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام بحثه ايتاما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعوا اليه وحجته فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم
الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي
مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه نحو التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره
جوابا للمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فأحي كما احياء الله الذي مر وهو عزير بن شرحيا
او الخضر او كما فعل البعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربت تصور
وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وسمي

خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله
بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى اذ كان
القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على
الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا
مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه آمن بعد البعث او شاهد الايمان وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض يوم
كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل
اصله لم يتسنن من الحاء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقراءة حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء
فى الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته
حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والا ذلك الحمار وفى
لما بعده ولنجعلك آية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حمار
وقال انا عزير فكذبوه ففراء التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم حديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار والاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشزها



من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشره بمعنى انشره ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما اشكل عليه
تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على
كل شئ قدير بخفف الاولى للكل الثانى عليه وما قبله فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة
والكسائى قال اعلم على الامر لانه مخاطب به او هو نفسه مخاطبها به على طريقة التبكيت واذ
قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل
لما قال لنمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينت
ذلك فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواز
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحبوة
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس فى الايمان لتجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى الى امنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب
العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا
وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمى به وجمع كصحب فصرهن اليك فأمالهن واضممهن اليك
لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقراءة حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان قال وكان اطرأن الماج نصورها وقال وفرع يصير الجيد كيف
كانه على الليت وقرأ الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صرّ يصرّ وصرّ اذا جمعه وقصرهن من التصرية وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرقهن اجزاء من على الجبال التى بحضرتك فكانت اربعة وقيل
سبعة وقرأ ابو بكر جزءا بضم الزاى احيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله
يأتينك سعيا سراعا يطرن طيران اومشيا روى انه امرأن ينحها ويتفقد اجزاءها
ويقطع منها فينسك رؤسها وقطع سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن فعل ذلك

من انشر الله

ردّه خير من صدقة يتبعها اذى خبّر عنها واما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غنى عن انفاق عبد وابتداء حليم عن معاجلة من عصاه وتؤدى العقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد
منهما كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذى
يراءى نفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة او مثل الذى ينفق رياءً فالكاف في
محل النصب على المصدر او الحال ورياء نصب على المفعول له او الحال اى معنى مرائيًا او المصدر
اى انفاقا رياءً فمثله فمثل المرائى فى انفاقه كمثل صفوان كحجر املس عليه تراب
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدًا املس نقيًا من التراب لا يقدرون
على شىء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثوابه والضمير للذى ينفق با
عتبار المعنى لان المراد به الجنس والجمع كما فى قوله ان الذى حانت بفلج دماؤهم والله
لا يهدى القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على
الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتًا من انفسهم وتثبيتًا بعض انفسهم على الايمان
فان المال الشحيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله ووجه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على
ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس من الحقد وحب المال كمثل جنة برَبوة
اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان ثمر يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وتثلثها لغات فيها اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف
ضعفين مثلى ما كانت ثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد الزوج الواحد
فى قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا

رياءً
نامه
هم القوم كل القوم يا ام خالد

نحمل كل جزء نظيرا الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فالتقمن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعه مشرعات حتى دعاهن بداعية العقل
والشرع وكفى بك شاهدًا على فضل ابرهيم عليه السلام ونعم الغرامة فى الدعاء وحسن الا
دب فى السؤال انه تعالى راءى ما اراد ان يريه فى الحال على اتم الوجوه وآراءٍ غيرها بعد ان اتمّا
مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريد حكيم ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله ويذره
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل ذى حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اسند
الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كاسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة
هو الله والمعنى انه يخرج منها ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة
وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن والبر فى الاراضى المعلاة والله يضا
عف لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن جعل
نفاوت الاعمال فى مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر نفاقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منًّا ولا اذًى نزلت فى عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعلى
الرحمن بن عوف فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان
يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه
وثم للتفاوت بين الانفاق وتركه المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تقدم ما اسند اليه مغنى الشرط ايهامًا بانهم
اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز
عن السائل الحاحه او قبل مغفرة من الله بر جميل او صفوح السائل ان يعذره ويعتذر

فان لم يصبها وابل فطل اى فصيبها الوفا الذى يصيبها طل وفطل يكفيها لكرم منبتها وزكوة
هواها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع
محالة وان كانت متفاوتة باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التقبيل الهامهم عند
الله بالجنة على الزيوف ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الرائين فى زلفاهم بالوابل والطل
والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايودّ احدكم الهمزة فيه
للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات جعل الجنة منبتا مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما الشرفهما وكثرة ما
فيهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى اكبر السن فان الفائدة والعالة فى الشيخوخة اصعب
واولى والحال والواو للعطف جملة على المعنى فكانه قيل يود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تعكس من الارض الى
السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرجل يدأب فى الحسنة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بستره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى الجبروت
ثم تكوس على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباءً منثورًا
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلال وجياده ومما اخرجنا لكم
من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن فحذف المضاف لتقدم
ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه اى من المال ومنا اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه كثير وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة

الكثرة

من فاعله

من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا من منه ولستم
باخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تسامحوا
فيه مجازا من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله
غنى عن انفاقكم وانما امركم به لانتفاعكم حميد يقبوله واثابته الشيطان يعدكم
الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل السار فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وفقران
ويأمركم بالفحشاء ويثبطكم عن الصدقة والبخل والقرب يشبه البخيل الفاحش وقيل المعاصى والله
يعدكم مغفرة منه اى بعد كم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم
فى الدنيا او فى الاخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة
يحقق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول لاول الفعل للاهتمام بالمفعول الاخير ومن
يؤتى الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد
اوتى خيرا كثيرا اى خيرا كثيرا اذ خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما فصل من الآيات او مما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا
الباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والتركيب المشابهة الهوى وما انفقتم
من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر شرطا وغير شرط فان الله يعلمه
او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون
فيها او يمنعون من الصدقات ولا يفون بالنذور من انصار من يمنعهم من الله ويسعهم
من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين
وروى عنهم بكسر النون واخفاها حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع واما المفروض فالاعلان فيه افضل لئلا يتهم بالمنع

فان ابداء الفرض لغير اهل فضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل على علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا

ويكفر عنكم من سيئاتكم قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفرا والا فقراءة ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقراءة نافع وحمزة والكسائي بالجزم وما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم الناس محقين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمبين والاذى والانفاق الحبيب ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وتشتمل وانما تحض بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق سخاوة لقوله عليه السلام اللهم اعط منفقا خلفا وممسك تلفا وروي انا شاما من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا الا يسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم

للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اصحاب الصفة كانوا نحوا من اربعمائة

من فقراء

من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسئلون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسئلون وان سالوا عن ضرورة لم يلحفوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه نوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق خصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير تارة في وقت يكون صدقة باربعين دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه عملت الاربعة دراهم فتصدق بدرهم بالليل ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للتسبيبية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على ولا يحزنون الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل وفي العوض بان يباع احدهما بالاكثر من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمونه ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق يتخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعمائهم ان الجنية تمسه فيختلط عقله ولذلك قيل لمختل الرجل وهو متعلق بلا يقومون كما يقوم

من المس الذى يهم بسبب اكل الربوا ويقوم ويخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اثرك فى بطونهم مما اكلوه من الربوا
فانقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم
نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لاقضائهما الى الربح فاستحلوا به وكان الكلام
حسل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع
والفرق بين فان من باع على درهمين بدرهم صنيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما
بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها اوقع رواجها بخلاف هذا الغبن واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لما عارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فانتفط وتبع النهى فله
ما سلف تقدم اخذه الخبر ير ولا يسترد منه وما فى وضع الرفع بالظرف ان جعل صلة
صولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على اتقائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى
شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك
المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها وينمى اجرها فيما اخرجت
منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السلام
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب تحبته للتوابين كل
كفار معتبر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله
وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفها على
ما يجتها فانها على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى

من الربوا

من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان
دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن
بالشىء اذا علم به وقراء حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فاذنوا فاعلموا بها غيركم من الاذن
دين وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل الممتنع
بعد الاستتابة حتى يفىء الى امر الله كالباغى ولا يقتل كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف
لا يدان لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا
فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذا المعتبر على التحليل مرتد وماله فىء وان كان
ذو عسرة وان وقع عسرة ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان المعسر ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة وفعليكم نظرة او فلكن نظرة وسمى الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اى فالمستحق ناظرة
بمعنى منتظرة وصاحب نظرة على طريق النسب وعلى الاول فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقراء نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كعسرة وعشرة وقرئ بهما مضافين
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وان تصدقوا بالابراء
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار وخير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل
للاداء الصدقة لا الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت فتلقوا المصير كم اليه وقراء ابو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم
لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزلت بها جبريل
فقال ضعها فى راس المائتين والثلاثين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلثة ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا وآخذا وفائدة ذكر الذين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تبوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة آمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امرها بعد النهي عن الاباء عنها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي والكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق ومما املي عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليمل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جواز النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه الفهم والوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين

فان لم

فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وعامة الحدود والقصاص عندنا بخلافه ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيانها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجئ عدو فاذفعه وكانه قيل اراد ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء قبل الاداء تنزيلا للمايشارف منزلة الواقع ومما مزيدة ولا تسأموا ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقولن المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا مختصرا كان الكتاب او مستبعدا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس اومن قاسط عدني ذي قسط وقوم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا والقرب ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ويخرج ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين واديرها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انها الخبر فالاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله تجاسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب شنعا ورفعها الباقون

على انه الاسم والخبر تديروها او على كان التامة وانتهدوا اذا تبايعتم هذا النباية ق
مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها
للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد ويحتمل البناء بن
ويدل عليه ان قرئ ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يحملا عن بعتهم ويكلفا الخروج
عما احد لهما ولا يفعل الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيبه حيث كان وان تفعلوا
الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله
لغة امر ونهيه الحكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله في الجمل
الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اى مسافرين ولم
تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فليكتم رهان او فليوثق
رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما فطنته مجاهد وضحاك لانه عليه
السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل
قامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعواز ها والجمهور
على اعتبار القبض فيه غيرما لك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن
نحو سقف وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض
المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة
لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي بتمن بقلب الهمزة ياء وادغام الياء
في التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه
في الخيانة
وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايتها الشهود والمديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى باثم قلبه او قلبه باثم والجملة خبر ان

واسناد

واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه وتظهر العين زانية والاذن زانية او للمبالغة
فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل فكل الاثم في نفسه واخذ اثر
اجزائه وقرأ سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم
تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يعني ما فيها من الشؤم والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة
وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب
من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد دفعها ابن عامر وعاصم ويعقوب
على الاستيناف وجزمها الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها بدلا عنه
بدل البعض من الكل والاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا
تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء يدغم الا في مثله والله على كل شئ قدير فيقدر على
الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتصديق من الله على صحة
ايمانه والاعتداد به وانه يجازم فيما امر غيره بالايمان به والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه
التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتبار رجوع
وقوع كل يحسن خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم تاتا لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة
وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس
والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وجوه الجنس والجمع لضموعه ولذلك قيل الكتاب
اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء
على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين ولاحد في معنى
الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد
نفي التفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك

وانت اعلم بحقيقة الحال وانت اعلم بحقيقة الحال

او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث تتسع
فيه طوقها وتتيسر عليها الفعل قوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال
ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا انكروا تواخذنا بما اذى بنا الى النسيان والخطأ من
تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يتسع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب بكل النسوم نكلا
ان تناولها بودي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يتعداه بل يفضي الى العقاب
وان لم يكن عزيمة كلنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعوا الانسان به
استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي
الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه
في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين
من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
في اليوم والليلة وصرف ربع المال المزكوة وما اصابهم من الشدايد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف القلبية فان الطاقة البشرية هو
ما يغلب عليه جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا للتعدية
الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفرلنا واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا ستيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر موليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلم

لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز
الجنة كنت بهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وهو برة قول من استكثر ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال
سورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال
السحرة سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالتقاء حركة
الهمزة عليها المتروك على اتباعها في حكم الثابت لانها انفصلت للتخفيف لا للتدرج فان الميم في حكم
الوقف لتعولهم واحدا ثنان لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم تحرك ذال ام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقراءة ابو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال اسم الله
الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران لا اله الا هو
الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما الحي
بالعدل والصدق في اخباره وايامه المحقق انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى
والنجل وزنهما تفعلة وفعيل تعشقا لانهما العجمتان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل
بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقراءة ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية
بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين
من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى الناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من
قبلنا والا فالمراد به فيهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة

بين الحق والباطل وكذلك بعد الكتب السّالفة لجميع ما عدّاها كانه قال وانزل اسائر
ما يفرق به بين الحق والباطل والزّبور والقرآن وكرّر ذكرهم بما هو نعت لهم تفخيما
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشارکهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق
به بين الحق والمبطل والمعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها
لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو
انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه لقم بالفتح والكسر
وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو المعمول في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
اى شيء كائن في العالم كليا كان وجزئيا ايمانا وكفرا فحيز عنه بالسماء والارض اطلق
لاتجاوزهما وقدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما يقرب
منها كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اى من
الصور المختلفة وهو كالدليل على الفيومية والاستدلال على انه عالم بالقبائح فعله في
الجنين وتصوين وقرئ تصوّركم اى صوّركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا
يعلم غيره جملة ما يعمله ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجّوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى بيف وثمانين آية
تقريرا لما احتج به عليهم ولجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله ما يرجع اليها غيرها والقياس
أمهات فاوقع على كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات
لا ينتهي مقصودها اجمالا او لمخالفة ظاهرها الادلة القطعية والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد

بها فاما الوايغاء وابتغاء الفوائد في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالجة
التدجيات واما قوله الا الكتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى
وجزالة اللفظ واخرجع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه
معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من فاما
الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره وبتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه على ما يشتهون
ويحتمل ان يكون الداعي لكل الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول
ناسب للعاند والثاني لمن يلابس الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون في العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دلّ القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به
استيناف موضح لحال الراسخين وحال منهم واخبار جعلته مبتدأ كل من عند
ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب تمدح للراسخين بحسن
النظر وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل
عن غواشي الحس واتصاله بالآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتزيته
وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن شبث النصارى نحو قوله كلمته
القاها الى مريم وروح منه كانه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون اباه
بانه مصوّر لا جنة كيف يشاء فيصوّر من نطفة اب ومن عنزة وبانه صوّره في الرحم والمصوّر
لا يكون اب المصوّر ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى

عليك اى منع العدل ان الغير سبحانه يعرف الحق ويترك

جواب سوء الرهبون المطالبين ابو السعود وفي الصفة نعوت ثم لان قولنا واخر عطف على محكمات فيلزم توصيف النكرة بالموقة فاجاب بقوله واما يلزم الخ من توجيه سعد رتع

لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه وقال علي بن ابي طالب
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالتنوين
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقال ابو علي ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك وتفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله
وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ ربنا انك جامع الناس ليوم
لحساب او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء ينبه به على ان معظم
من القابلين ما يخل بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان لا الهية
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية وجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو للدلايل المنفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران واليهود ومشركوا العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من
عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون
متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك
او استيناف مرفوع المحل ومقدر ذاب هو حاله كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل
استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدئ بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلم جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم

ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا لتعلمن انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل بني قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلايل النبوة وقراء حمزة والكسائي
بالياء فيهما على ان الامر بان يخبرهم بما اخبر به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقدير بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم فذكان
لكم آية الخطاب لقريش وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في
سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى الكافرون المؤمنين مثلي عددهم الكافرين
وكان قريبا الفا ومثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم
في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا
مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم
ويشهد له ما قص الله من وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
ويؤيده قراءة نافع وبعقوب بالتاء وقرئ بها على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وقرئ بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا اي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل
بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شكى السلاح
وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي
الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي
المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبتها انفسها
كقولهم احبب حبك الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والداعي ولعله زينه
ابتلاء ولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرضيه الله ولانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي

بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث بيان الشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف
دينار وقيل ملأ مسك ثور وضعف واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من سام
الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة
الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير
من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير وجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية
ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه
سبل السلام وما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء واحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على بعد
فاذا ها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها
الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان
دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على الحسن
ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو
منها عن الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي

وهو الصدق

وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو
الانفاق في سبل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب
بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم
فيها او التخاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع شهد الله انه لا اله الا
هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملا
ئكة بالاقرار والاذعان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه فانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها وتخصيصه بالذكر لان زيدا وعمرا وكافة العدد ليس كقولك
ومعناه احق ويعقوب نافلة او عمرو هو العامل فيها معنى الجملة اى تفرد
قائما واحقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرر للتأكيد وزيد الاعتناء بمعرفة احد
التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم
القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدي الجنة وهو دليل على فضل اصول علم الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى ان الدين المرتضى عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلوات الله عليه وقرأ الكسائي

بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او مما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وانا الفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما
او اخراء شهد يجري قال تارع وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب وبقاء آخرون مطلقا او في التوحيد
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقبلهم قوم موسى اختلفوا بعده
وقبلهم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد
ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحج بغيا بينهم حسدا بينهم
وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعدما اقمت الحج فقل
اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس كما عبر
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن
للفصل ومفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والامين الذين لا كتاب لهم
كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على امركم تنظرون
فوله فعل انتم منتهون وفيه تعريض لهم بالبلادة والمعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا
فان تعلموا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ الى فلم
يبق لك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعيد وعد
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصر قتلة
اولهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن

ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقراء حمزة ويقاتلون الذين
يأمرون ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيدا فاضربهم رجل صالح والفرق انه
لا يقترن بعد الابتداء بخلافهم وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي
محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل
مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم
فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا
فنزلت وقل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتولهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب ولده الا تحلة القسم فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من راية الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤس الخلائق الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس
ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار

لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها
وهم لا يظلمون النصير الكل نفس على المحلات لانه في معنى كل انسان قل اللهم اليم عوض عن
ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كذا قولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وناء القسم وقيل اصله يا الله اتنابا الخير فحذفت همزة حذف حرف النداء ومخلفا
الفعل وعوضت ما مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو
نداء ثان عند سيبويه فان اليم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء فعطى منها ما تشاء من تشاء وتنزع فالملك الاول عام والاخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك الاول النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء
وتذل من تشاء في الدنيا بالنصر والاذلال والتوفيق والخذلان بيدك
الخير انك على كل شئ قدير ذكر الخير وحده لانه المقتضي بالذات والشر مقتضى العرض
اذ لا يوجد شر حتى ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع
فيه اذ روى انه عليه السلام لما حاط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
اخذ ولم يحفروا فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول
الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعها وبرق منها برقة اضاءت ما بين
لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي
منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها
القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبر جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل وتحفرون ما انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشرائط بيده بقوله انك على كل شئ قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي

وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل
والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة المدل والعز واعتناء الملك ونزعه والولوج الداخل في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر اما لتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي
من الميت وبالعكس اشتقاق الحيوانات من موادها وامانتها او انشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انفسهم لاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم منذوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل
ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شئ من ولايته في شئ بحيوان بستي ولاية
فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس
الود عندي بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه
او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرا يعقوب تقية
منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة
حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد
عظيم مشعر بتناهي المنتهى في الفجور كرر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يتصدر منه
فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي
انه يعلم ضمائركم من موالاة الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات
وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا

ما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى تتمنى لكل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهو له امدا بعيدا او يضمر يحذركم ذكره وتود حال من الضمير في عملت وخبر لما عملت من سوء ويجوز عطفه على ما عملت من خير ولا يكون ما عملت من سوء لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يجوز ان يكون شرطية ولكن الحمل على الجزاء اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرر للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرحم ويعفو ويحتمل عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن محبته الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جنابه عز وبتوكم في جواره قدسه عز عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة والمقابلة والله غفور رحيم لمن يحب اليه بطاعته واتباع نبيه وروى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل في وفد نجران لما قالوا ما نعبد المسيح حبا لله وقيل في قوم زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا اعرضوا عن الطاعة والمضارعة يحتمل الحذف فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما اظهر ليقابل الايمان بالمحبة ويدل على ان الكفر والاعراض عن الرسول كفر وانه من هذه الحيثية ينافي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين خصهم بالذكر لان الحاجة الى اختيارهم اظهر لكثرة الاشرار في اعقابهم والاصطفاء ان كان بالخصائص الروحانية والجسمانية فلا كلام وان كان بالنبوة فلانهم قاموا على ما لم يقم عليه غيرهم مما اوجب طاعة الرسل وتبوأ منازلها العالية لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على تفضلهم على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلوات الله عليه وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وعيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعاذ بن اوشا بن امون بن منشا بن حزقيا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبيد بن سلمون بن ياعز بن يخشون بن عميناذب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال وبدل من آل ابرهيم وآل عمران اى اصطفاهم حال كونهم بعضا متشعبا بعضهم من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم غلب الواو وادغمت والله سميع عليم بما قالت الناس وانما لهم فيصطفي من كان مستقيم القول والحال او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فيتقبل به اذ وقيل نصب به باضمار اذكر وهن حنة بنت فاقوذا قاجة عيسى وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فقلن اتقاسم امرأتنا وبرئة كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته اليشاع وكان يحيى وعيسى ابنا خالة من الاب محررا معتقا لخدمته لا اسمه بنثى ومخلصا للعبادة

وقصته على الحال روى انها كانت عاقرا تجوزا فبينا هي في ظل نخلة اذ رأت طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان
هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا
فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب
اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا
عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد وعلى وليس مؤنث
كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا
ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف
من الله تعظيما للموضوع وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم بسكون
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا والانثى كالذكر خير
وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقولها والله اعلم اي وليس
الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى شيء فيما نذرت فيكون اللجنس وانى سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
وفيه دليل ان للاسم والمسمى والتسمية امورا متغايرة واني اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا مريم وابنها عيسى ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتاثر من مسه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها

ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبله النذائر وهو
انفاذها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة
لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعت عند الاحبار وقالت دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان
كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا
القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم
زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول
حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتجلى اي فاخذها في اقل امرها حين ولدت
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها
زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصر فكفلها غيرهما وفي رواية ابن عياش عن
الفاعل هو الله وزكريا مفعولا اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومد وا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي لها او المسجد او اشرف مواضعه
ومقدمتها سمي لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج
اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه الاستبعاد عليه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قبل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط
وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو محتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله
روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم

فرجع بها اليها وقال هذي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة ستيرة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو واوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ سمعه هنا وثم وحيث للزمان كما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقد رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة بالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبرا وحالا عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي ينبئك ويحيى اسم عجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامر تعالى دون اب فسمي البدعيات التي هي عالم الامر وكلمات الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فانه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب اني يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر اذ زكى كبر السن وانثر في وكان له

تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة يفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحمل لاستقبله بالبشارة والشكر وترشح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن كلامهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكر فضاء الحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر والحبس الجواب مما اشتق من السوال الا رمزا اشارة بحو يدا وراس واصله التحرك ومنه الرامز للمجرم والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمز كالحكة جمع رامز ورمز كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بحذف مضاف كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة ان الله اصطفيك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلمها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او رسولا الى مريم ليتوافق عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يرسل انثى امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهمها او الاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتطهيرها للعبادة واغناها برزقها الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يشين

من النساء والثناء في هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبرئتها عما قذفه به اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة
بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شرعهم
او للتنبيه عليه فان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي الراكعين للايذان بانهن ليس
في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقولهم اقنت
هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما والتعبد القلبي كقوله وادبار السجود والركوع الخضوع
والانخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقريرهم وجحدهم على سبيل
التهكم عليكم به فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا
شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الايهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل انهم يكفلون
مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل و
ما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت
الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والتشاجر في زمان
متسع كقولك اقمت سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية
مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح
بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل
ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت
صفة تميز الاسماء نظمت في سلكها وكينا في تعداد اخبار فؤاد المبتداء فانه اسم

غرض

جنس مضاف ويحتمل ان يراد الذي يعرف به ويتميز عن غيره من الثلثة ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتداء محذوف وابن مريم صفته فان الاسم علامة المسمى والمميز
متن سواه وانما قيل ابن مريم والخطاب لها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب
الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة
او رفعه الى السماء ومحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي كلامهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه
وقيل انه رفع شابا والمراد كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة
الى انه يعرف عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم
قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد عاديان واستفهام
على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجمل
كلامها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان
يخلق الاشياء مبتدعة بلا اسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه
الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدا اذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما هجم
من خوف اللوم لما علمت انها ولدت من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم بآية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول
ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مؤتنا ممنا الخلق كما
قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته والرد على من زعم
انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل اني قد جئتكم

أو جزء بدلا آية او رفع على محل في خلقكم والمعنى قدرناكم واصورناكم مثل
مثل صورة الطير وقرأنا فنفخ في الكسر فانفخ فيه الضمير لكاف اي في ذات المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله بثبته به على ان احياءه من الله لا منه
وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالف وهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى
او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه
ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله
دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم
ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات ومصدقين للحق غير
معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او حال
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم معطوف ايضا عليه
على قوله قد جئتكم بآية ومعطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب
قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والشحم الا
الالية والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك
بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب
فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا
الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي وجئتكم
بآية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها
فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم
وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية
من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول للتمهيد للحجة والثاني

لتقريرها

لتقريرها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات
القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي
ثم فسر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظم
قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله
او ذاهبا وضما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من
الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وتبدأ الى ههنا بمعنى مع او في واللام
قال الحواريون حواريا الرجل خلصانه الصفية من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواري
للحنطة الخلوص الولاء الذين سموا باصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء
سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل
قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله
واشهد يا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين
هذين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه
السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود
بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه حيلة في الاصل يجلب بها غيره الى مضرة
لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين

اقواههم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله خير
الماكرين او خيرا لماكرين او لمضر ما وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومتوفرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من
توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة
عن الروح الى عالم الملكوت وقيل انه توفاه الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصارى وراف ك الى المحل الكرامتي ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم وقصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيامة يعلونهم بالحجة والسيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته
من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسلم غلبة اليهود عليهم ولم تتفق لهم ملك
وشوكة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفره وغلب الخاطب على الغايبين فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فنوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير
لذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك ونقول
من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر نتلوه حالا على ان العامل معنى الا
شارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم ان شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما لها شبه وهو ان خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب بلا اب وان شبه
حاله بما هو اغرب فحاشا للمخدم وقطعا للمواد الشبهة والمحز خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشاء بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب

ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر به ويكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله
فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات ولكل احد مع
حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة
للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اي يدع كلا منا ومنكم نفسه واعز اهله واخصهم بقلبه
الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يجازف بنفسه لهم ويحارب
دونهم ثم نبتهل اي نتباهل اي ان نلعن الكاذب منا والمباهلة بالضم والفتح اللعنة
واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا اصرار فنجعل لعنة الله على الكا
ذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا لحتى ننظر فيما نحن اذا قال اللقاء
وكان رائدهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فقال لرسوله
والله لقد نضا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا
الله ان يزيل جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا للجزية فقالوا فاذ عفا الرجل عنا فالله
خير لنا وبذلوا الجزية ففي خطة
خسف وتلك بين دزغا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير
على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ
عيسى وتمهيد لما يقص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر في شان عيسى
وبراءته حق دون ما ذكروه وما بعد خبر ولا للام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر
واصلها ان تدخل المبتدأ ومامن اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا

للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يشاركه فى الالوهية
التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحق والاعراض عن التوحيد انما
للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل
الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان نعبده ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير بن الله ولا المسيح بن الله
ولا نطيع الاحبار فيما اخذوا من التحريم والتحليل الا كما يفعل منهم بعضنا بعضا تنزيلا روى انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال فهو
ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت به الكتب
وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة
فى الارشاد وحسن الترتيب والتدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاقبت عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحيل عقلهم ويزيح شبههم فلما رأى عنادهم
وجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا لبعض
الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق
عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم تجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان
الآيات والنذر لا يغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود

والنصارى فى ابرهيم وزعم كل فرقة انه منهم فزانعوا الى رسول الله فنزلت الآية
ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان بين ابرهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه بتهوا بها عن حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق
فى التورية والانجيل عنادا وتلعبوه وروده فيه فلم تحاجون فيما لا علم لكم به ولا
ذكر فى كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم
اصله آانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع
وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد قلن مدا وقبلى الهمزة من غير الف بعد الهاء وآلبا
قون بالمد والهمزة والبزى بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا
تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من
البرهان الباهر ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا لله والبين الراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشرك الا لزام وما كان من المشركين تعريض بانهم
مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى
الناس بابرهيم ان اخصهم به وأقربهم منه من الوفى وهو القرب للذين اتبعوه
من امته وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم له فى الكل ما شرع لهم على الاصالة
وقرئ والنبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولى
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو
يضلونكم نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان
وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وبالهم الا عليهم اذ يضاعف

عذابهم او ما يلتون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت من التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتلفيق في المزيتهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلا بس ثوبي زور
وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون واكفروا آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف فالاول صحابهما لما حولت القبلة
آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار
خيبر تفاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم آخر
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى لهم قل ان الهدى هدى الله يهدي
من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي
دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تقروا
ظهرا وايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم انتم شياعكم ولا تفشوه الى المسلمين ليلا يزيد
ثباتهم ولا الى المشركين ليلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
بليغ على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة

ابن كثير آن يؤتى على الاستفهام للتفريع وتوبيخ الوجه الاول اي لا آن يؤتى احد مثل ما
وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عندكم عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيتخصلوا بحجتكم والواو
ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ردوا
بطال ما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه فرشحا الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر
دينارا فجحده وقيل المائتون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
اليهود في القليل اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة
الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شأن من ليس من اهل الكتاب ولم يكونوا اعدا دينا عتاب
وذم ويقولون على الله الكذب باضافتهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك
لانهم استحلوا الظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل
عاتل اليهود رجلا من قريش فلما اسلم تقاضوه فقال لهم اسقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر
والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن والله

وعموم المتقين نائب الواجب من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم وينبئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة الا يتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره تفاقد له ويكنى بالنظر اليه ولا يزكيهم ولا ينثى عليهم ولهم عذاب اليم علما مما علموا قيل انها نزلت في اخبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتر به وقيل في نزاع كان بين اشعث بن قيس وبهودي في ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يخطفونها بسببه الكتاب وقرئ يلوون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه يلوون وقرئ يحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لنفي قولهم وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم بنوعي ذلك تعمدا لا تعريضا اذ ليس هو نا كذلك من عنده ويعلمون لا يقتضي ان لا يكون فعلهم الا عن علم والكذب ما لا يطابق الواقع على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كذب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم

عليك

عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نتخذك ربا فقال لا ينبغي ان يتخذ احد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كالرقباني والزرقاني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير وتدرسون من التدريس ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستتبعه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وبان يتخذوا الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا بان يامر بها ذا كفاه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين للما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه اتى تعالى باخذ الميثاق من النبيين وامرهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وتمام هذين تهكم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا

والتوكيد بالاقرار والشهادة

فاولئك هم الفاسقون المتردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على

ومعاينة ما الجئ الى الاسلام الاشقياء كفتق الجبل وادراك الغرق والاحتراق على الموت او محتارين كالملائكة والمؤمنين اليوم

والواو في ما موطئة للقسم لا تاخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمله الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل اتياتى اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى لخبر الذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لان اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذفت احدى الميمات الثلث استثقالا وقرا نافع اعنيكم بالنون والالف جميعا قال ا اقررتم والخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعنق وعنق وجمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض الاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق الجملة الشرطية والهمزة متوسطة بينهما للانكار والحذوف تعذيبا يتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لان المقصود بالانكار وقوع البغية عند لا غيره وقرا عمرو وعاصم في رواية حفص وبعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها حال بمعنى منقادين وكارهين بالسيف مستحقين للكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا مما قضى عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلوات الله عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزلا عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له لان الرئيس كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه

على المنزل على سائر الرسل لان الكلام المعترض له والمختار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين بخلافه لا قبول كل ما يغاير ولعل الدين ايضا الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الجاحد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي واكاذيبه وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهد واعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق وأكن من الصالحين وحال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة وان اشتبهوا عن غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكرا لحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا وبحوز ان لا يقدر له مفعول اعني ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته

فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فأرسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع
المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد
ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد
ريب المنون ونحو اليه ونشافقه باظهار لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا تشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى
شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة ولان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لازدادهم وزيادة كفرهم ولذا لم يدخل الفاء فيه واولئك
هم الضالون الثابتون على الضلالة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشئ ما يملأه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى
كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو
افتدى به من العذاب فى الآخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا
ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المماثلين فى حكم شئ واحد
اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير وايذانا بان من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير ولن تنالوا بر الله الذى
هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اى من المال وما يتعلق به غيره

كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فطاعة الله والمبتغى فى سبيله روى انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحى فضعها حيث اراد
الله فقال بخ ذلك مال رابح او رابح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجار زيد بن حارثة
بفرس وكان يحبها فقال اللهم فى سبيلك فحملها على رسول الله اسامة فقال زيد
انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك
يدل على ان انفاق احب المال على اقرب الاقارب افضل وان الآية نعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شئ اى من اى شئ تحبوبا وغيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد كلها كان حلا لبنى اسرائيل حلا لا لهم
وهو مصدر وصفت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال
تعالى الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لما كل احب الطعام اليه وكان ذلك
احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى
ان يجتهد والمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل
التوراة اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى
ظفر الآيتان بان قالوا انسنا اولا من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعد حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى وضع الظاهر
والطعن فى دعوى الرسول موافقة ابرهيم تحليل لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها عليهم ان كنتم صادقين امرهم بكتابتهم وتبكيتهم على افترائه من انه قد حرم عليهم

بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يحجوا
ان تحجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه
على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد
ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من
انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح فل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت ان
الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى ملة الاسلام
التى هى في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التى اضطركم
الى التحريف والمكابرة لشهوة الاعراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم
ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بمشركي العرب
ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله
تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة
فى مكة كالبنط والنمط وامرأة رات ورأم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد
ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناها ابرهيم ثم هدم فبنا
قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في
الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
ويطوف به الملائكة فلما اهبط آدم ان تنجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول
البيت في الزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله



حال

حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات
عجيبة كما قال فيه آيات بينات كالحجر اذ الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قصمه
كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف وخبره
اى فيها مقام او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات
نفس المقام والقدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الاضافة
من بين الحجارة وبقائها دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة
ويؤيده ان قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام
على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة
ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله
اى ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر
بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام
من زيارتي في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه
القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن ألجئ الى الخروج ولله على الناس
حج البيت قصد للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص حج بالكسر وهما لغة تجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له
وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو مروي
قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من يحج
عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال

ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكلما تأتى الى الشئ فوصل
ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة
الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كما يصلح بعدا بهام وتثنية وتكرير للاداء
وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع
متأيد بالدلالة على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من رمز الغة النعيم
والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاستعارة بعظم التحفظ لانه تكليف
شاق جامع بين كسر النفس وتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات
والاقبال على الله روى انه لما نزل هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة وأبت
وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله اى بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب
الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح واتمهم وان
زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على
ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا يخفى عليكم التحريف
والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تكرير
الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كلا واحد
من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق
المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم

حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليحمي
دماثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حالا من الواو اى باغين طالبين
لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير
صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرفوا بتبين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر
دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
عند اهل ملتكم يثقون بما قولكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله
والله شهيد ولما كان في الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فأمر شابا من
اليهود ان يجلس اليهم فيذكرهم يوم بعاث وينشدهم ما قيل فيه وكان الظفر في بعضه
ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه وقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلوات الله عليه وانا منا
ظبيهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول ان يخاطبا هل الكتاب اظهار الجلالة قدرهم
واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله الكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب
الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ
اليه في جامع امورهم فقد هدى الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمأمور

والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هوان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر وقيل هوان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت لاو لها الفا المفتوحة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركك الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه الى الذات نحو لا تعط تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دون كذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او كتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن الترديّ والموثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للجماعة جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا ولا تذكر ما يوجب التفرق وبزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بينهما واولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى الفا الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع فيها انهاكم لكفركم اذ لو ادركك الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار وللشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفاها كالحاجب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالا

حكام

حكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم لبدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض الكفاية وللتبيين بعض وكونوا امة يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض الكفاية وللتبيين بعض كونوا امة يامرون بالمعروف كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والنهاء الى الخير يعم الدعاء الى كل ما فيه صلاح دين او دنيا وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون الحصر بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وآنهاهم عن المنكر وآتقاهم لله وآوصلهم واكثر المعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكر الشرع حرام ولا ظهران العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بتركه احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالمتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطاء فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه تضيء بما فيها من معنى الفعل واياضا راد بكر وبياض الوجه وسواده كناية عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الجبهة والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وعينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة

بما كنتم تكفرون بسبب كفركم اياها وجزاء كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون
تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق الذي هي
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحتاج اليه فيظلم بتعطيه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بتعطيله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما
في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة اخرجت
خيريتهم فيما مضى ولم يذكر لها انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم
في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهر بيطهم تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون
بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا
حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما آخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة
على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا واظهارا لدينه واستدل
بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانهم بقتضى كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل
منكر اذا لم فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن
اهل الكتاب ايمانا كايمانكم لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم تمامهم علة نهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهن
الحماقة والتهتك واردفان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتال واثر ثم لا
ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم بتي اضرارهم سوى ما يكون
بقول وقرر ذلك بانهم لو قاتلوا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون

عاقبتهم

عاقبتهم الجزر والخذلان وقرئ لا يضروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة
فيكون عدم الضر مع تقدير بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ
كان كذلك حال قريظة والنظير وبني قينقاع وبهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدرت
النفس والمال وذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس استثناء من اعم تمام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال
الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله وكتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين وبذله
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله والبهود
في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب
عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكبائر والاستمرار
عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستحقاب الغضب في الآخرة
كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي الضيرة لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة قائمة استيناف لبيان تولي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع التجرد ليكون ابين في المدح
في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها كما روي انه عليه
السلام اخرها ذات ليلة فخرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم
بخمسة اوصاف ما كانت في اليهود فانهم مخرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله

ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مدلهسون فى الاحتساب متبا
طئون عن الخيرات واولئك من الصّالحين اى الموصوفون بتلك الصفات متن صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه ومما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع
ولا ينقص ثوابه البتة حتى ذلك كفرانا كما سمّى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين
لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء
والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير حسن
العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا من العذاب ومن الغناء فيكون مصدرا ما اولئك اصحاب النار
ملازمو لها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا ما ينفق الكفرة فيها
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا كمثل ريح فيها صر برد شديد والسائع اطلاق
الريح البارد كالصرصر فعوة الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك
برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان
الاهلاك عن سخط اشدّ والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه نحرث كفار ضربته صرّ فاسناد
صلته ولم يسق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم
يات بالا كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل اهلاك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا
انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يجتدبها وما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم
بالمعاصى التى استحقوا بها العقوبة وقرئ ولكن اى ولكنا انفسهم يظلمون وكان يجوز ان يقدر
ضمير النشأن لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبغى حلوق ذئاب يعيش يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه بطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين
وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم
خبالا لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين

كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودّوا ما عنتم تمنّوا عنتكم وهو
شدّة الضرر والمشقة ومامصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى فى كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر متوقعا لان يبدو
ليس عن رويّة واختيار قد بيّنا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤ
منين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بيّن لكم والجملة الاخيرة جاءت مستأنفة
على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر الاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته
او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون
الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كلّه بجنس الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم والمعنى
انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا
آمنّا نفاقا وتقرّبا واذا خلوا عضّوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسّفا وتحسّرا
حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما فى صد
وركم من البغضاء والخبث وهو يجازيكم ان يكون من المتولّى اى قل لهم انا الله عليم بما هو
اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حدّ
حسد وما نالهم من خير ومنفعة وشماتتهم بما اصابهم من ضر وشدّة والمس تعار
للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا مولاتهم او مخالفة
الله عليكم لا يضرّكم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولان المجانبة الامر المندوب بالاتقاء والصبر يكون قليلا الانتفاع جزما على الحكم وضمّة

الراء للاتباع كضمة ميمه وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فمجازيكم بما تستحقه وقرئ بالتاء اى بما تعملون من عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اى واذكر اذ غدوك من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المومنين تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيد القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو والذين الانصار أقم بنا رسول الله بالمدينة ولا نخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فقام عليه السلام فلبس لامته فلما رأوه قد لبس ندموا على ما صنعوا فقالوا استكرهناك فاقعد ان شئت فقال ما كان لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة وهو يوم السبت لست عشرة مضت من شوال وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفوفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من وراءنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا

تبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في بيتكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فتبعهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فصنع رسوله والطاهر انه ما كانت غزية لقوله والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فانهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المومنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم يبدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير بعض ما افاد هم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من المضمر وانما قال اذلة ولم يقل اذلاء ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في اثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او تعلمون نعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمومنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على اى قولهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن الخلفة فلما لم يصبروا عن الغنايم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين كاية جئ بان اشعارا بانهم كانوا الا قليلا من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر بالف من الملائكة ثم صار ثلثة آلاف ثم صار خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى اى بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا تبقى فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم بمعنى الاسامة وقراء ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به وتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى المدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا

الذي هو الظهر بما استثنى بقوله عليه السلام لاصحابه شوذا فان الملائكة قد شهدت او مرسلين من التسريح

على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يأيسوا عن
تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب فيما قضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغيره
على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم وما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى ليتنقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهو ما كان يوم
بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت
شدة غيظ او وهن يقع في القلب او للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فيما نهم مما تطمع
الآمال ليس لك من الامر شئ اعتراض ويتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله ليكبتهم او يخ
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم وجملة
ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم شئ وليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى
الا اي ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتسرهم او يعذبهم فتشفي
منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يسيح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فنزلت وقيل همّ ان يدعو عليهم فنهاه
الله لعله يأتي فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
لعباده فلا يتادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يزيد الى اجل
ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن
عامر وبيعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على انها النار
بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الكل

بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل
عزة المتوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا وأقبلوا الى مغفرة من ربكم
اي ما يستحق به المغفرة والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض لمبالغة في وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في
السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة
او مضرة اي لا يخلون في حال اليسار بانفاق ما قدروا عليه من قليل والكاظمين الغيظ
المسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت
رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا والعافين عن الناس الناركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان هوازن في فنى قليل الا من عصم منهم فنادى مناد يا معشر
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا الى
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده وحكمه او عظمته فاستغفروا
لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين
المعطوف بين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله
عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من ضمير
اي لم يصروا على قبح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة

لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتكميم جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون
مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين
القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك
لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله
ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصير كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء الاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سُنَنٌ وقايع سنتها الله في الامم الماضية كقوله وقد خلوا قبلكم
سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل ايام قال ما عاين الناس من فضل كفضل يوم
ارى مثاله في سالف الدهر والسنين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا
بما ترون من آثارهم لا كهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله
قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين او الى القصص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان
والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم
احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد مما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وعاقبة امركم على منهم شانا فانكم على الحق وقتلاكم لله وقتلاهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار ولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ولو انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالنهي اى لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب والوثوق على الله
او الاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن
عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف

وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم
يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل كلا الامرين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم ندير الدولة هكذا وهكذا اخرى
كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت بينهم
فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر وندا ولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات
النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوف وقيل اى نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ابنا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمنين فيه من المصالح
ما لا يخلو او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف
فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى الذات عليه تعالى ونقيضه على طريقة
البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم
شهداء وكم نا شاء منكم بالشهادة يريد شهداء احد ويتخذ منكم شهودا معدلين بما صنع
منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين يضعون ذات
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت
عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل الخطاب
الاكار وليعلم الله الذين جاهدوا منكم وليجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض على
الكفاية والفرق بين لما ولما ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان
اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ
بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اى الحرب فانها من اسباب الموت والموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نالوا الشهداء

بد من الكرامة فاختاروا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل وكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها فهربتم ولم تصبروا انهزموا عنها وعلى تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ارتددتم كفارا وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وفيه الغاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما روى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد لم يمت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فانزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى وبإذنه ملابسا الموت فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون عن الاجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخر الاجل كتابا مصدر مؤكد لما دل عليه كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها

تعرض

تعرض بعض شغلهم الغنائم بهم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا يجمعون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ من الجهاد وكأين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والتنوين تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكاين كالعين وقرئ كائن على وزن قائل كقولهم كل رعملى فى لغة فصار كاين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى طاى بيان له فانما معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لقوله وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه وقرئ قاتل كما انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكثر فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر حدهم لما اصابهم من قتل النبى وبعضهم وما ضعفوا عن العدو وفى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة واستكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة ما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون على خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف للاله على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء الى الله النصر

والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بما
لحسن اشعارها بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول نفر من المؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة
والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم وناصركم وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب بريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال
ورجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا
بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اى آلهة ليس على اتخاذها حجة ولم ينزل
عليهم به سلطانا وهو كقوله لا ترجى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط
لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين
اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده
اى وعده اياهم بالنصر شرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا اطاح حسه حتى اذا فشلتم
جبنتم وضعف رأيكم وملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في
الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم قد هزمهم فما موقفنا ههنا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون
وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو
وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم

عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وفي
الاحوال كلها سواء ادبل الهزيمة او عليهم اذا الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا او بعفا عنكم والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعد
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم
كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة فاثابكم في اخريكم
وجها عتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول وفي ازاركم غما بسبب غم اذ قتوم رسول الله صلعم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدايد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فات وضر لا
حق وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من
الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقبل الضمير في فاثابكم للرسول اى فاساكم في الاغتنام فاغتم
غم بما نزل عليكم كما اغتم بما نزل عليه ولم يتركم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل عليكم الامن حتى اخذكم
النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في الصاف حتى كان السيف يسقط من ايدينا فنأخذ
ثم يسقط فنأخذ والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول
والامنة حال منه متقدمة او مفعول له اى امنا من المخاطبين بعجز ذوي منة او على انه جمع
آمن كبازٍ وبزة وقرئ أمنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم وما يهمهم الا هم
انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة
او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله
غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بملة الجاهلية

واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يقولون هل لنا من الامر من شئ هل لنا
متا امرالله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل الخبر بن ابى بقتل بنى الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا شعثنا تدبير انفسنا ونصرتها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل
يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى ان الغلبة الحقيقية
لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون والقضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا
يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مستسلمون طالبون النصر
مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم واذا اخلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون واستيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد واعلم
ويزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نخرج كما كان رأى ابن
ابى وغيره ما هٰهُنَا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه
قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم ليمحص
ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل
ذلك ليبتلى وعطف على محذوف اى ليبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة والابتلاء او على
قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم فليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفيات ما فيها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهارها للمنافقين ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا بعض ان الذين
انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطا
عوه واقترفوا ذنوبا تزلل المركز والحرص على الغنيمة او الحوف لمخالفة النبى فمنعوا التاييد
وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم

فان

فان المعاصى تجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكر
هوا القتل قبل الخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم
وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اذا
فروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لهذا له قالوا لكنه جاء على حكاية
الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كقاض وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله
ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون
لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا كالذين نافقوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاءكم كونكم مثلهم حسرة
فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغيظهم والله يحيى ويميت رد لقولهم
اى هو المؤثر فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله
او متم فى سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر
والغزا ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تينا لون من
المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها ولو لم تموتوا وقرا حفص
بالياء ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاكم لا الى غير الله تحشرون لا الى معبود كم الذى
توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم
وقرا نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة

وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم مما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على
جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يثبتوا اليك فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه امرا
بمعاتبتهم واستظهار برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة
فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو
اصلح لك فانه لا يعلم سواء وقرئ فاذا عزمت على الكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وعنيته
لك فتوكل ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويعديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم
احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وعند
تنبيه على المقتضى للتوكل وتعريض على ما يستحق خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليختصوا
بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنا
يم فان النبوة تنافي الخيانة يقال اغل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا خان في خفية
والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وظن به الرأفة يوم احد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة في النهي للرسول على ما روى انه بعث طلايع فغنم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقسم معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا
تغليظا وسبا لغة تانية وقراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل
على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات
بما غل يوم القيامة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله
واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وافيا وكان الاولى بما قبله ان يقال
ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان

كل كاسب مجزيا بعمله فما لعامل مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي وماويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان
المصير يجب ان تخالف الحالة الاولى ولذلك المرجع هم درجات عند الله يختص بالمؤمنين
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على
من آمن مع الرسول من قومه وخصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدا محذوف مثل منّه وبعثه اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين
على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلم
كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لا يسمعون
الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر ولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتعريج والواو اما طفة الجملة على ما سبق من قصة
احد او محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما تذكروا المصائب التي اصابتكم ببدر حين اصابتكم مصيبة وهي
قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم قتلتم ضعفيها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
اين هنا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم بما اقترفتموه من مخالفة
الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او باختيار الخروج من المدينة
وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر
ومنعه وعلى ان يصيب كلا منكم ما اصابكم يوم التقى الجمعان وليعلم المؤمنين ونيعلم المؤ
منين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله

او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير من اى يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد متاير قع ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يحسن ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء الانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوا ذلك اعتذارا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانحرافهم وكلامهم هذا فانها اقوال امارات ظهرت منهم مؤدية بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخفون به بعضهم الى بعض فانه متعلق بعلم واجب وانتم تعلمونه تجلا بامارات الذين قالوا رفع بدل من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا وخبر بدل الامر الضمير في قولهم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريدون قتلى يوم احد من قاتلهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرا هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عنكم فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه آخرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك فالقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرسول ومن حسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله

من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحجة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الآخر عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بانه لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتاثره والتذاذه وتؤيد ذلك قوله في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الريح الا ريحا وعرضا قال لهم احياء يوم القيامة واما وصفوا به في الحال المتحققة وقوعه او احياء بالذكر وبالايمان وبما حاث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واجتهادا لمن بقي لاخوانه مثل ما انعم عليه وتبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرر للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول حالا اخوانهم وهذا حالا انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتكريرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقراء الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض قال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعرا بان لا ايمان لمحبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لان التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد هموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلع

مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان اصحابه قرحى
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والثواب الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم او
نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
ويمالك الادرع واحدا ولانه انضم اليه ناس بالمدينة واذا اجتمعوا كانوا ناسا قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد
يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فاثر الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب
من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقال
لئن نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فشا له ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في داركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترجعون اذا تخر
جوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا هم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول
او للصدد فان قلت علام عطف وقالوا قلت على قال الذين قيل لهم والمعنى انهم لما ثبطوا
اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدادوا ايمانهم فاظهروا حمية الاسلام وقالوا
حسبنا الله عند وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول
الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالا
لف وكثرة التامل وتتابع الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم المكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية
وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو

مناط

مناط الفوز بخير الدارين بحرائهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم با
لتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار المزية
على العدو والحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة
من الله وفضل وفيه تحريض للمتخلف وتخطئة لرأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به
انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده
بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف
اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا
مع رسولي ان كنتم مؤمنين فالايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين
او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوفهم ان يضروك او يجدوا عليك لقوله انهم
لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب
في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان
كفرهم بلغ الغاية حتى ارادوا حرمان الرحمن ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان
مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب
اليم تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما فتحت على مفعول واحد
لان التحول على البدل وينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول
او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم

او ولا تحسبن حالا الذين كفروا ان الاملاء خيرا لانفسهم وما مصدرية وكان حقها
ان تفصل عن الخط ولكنها وصلت متصلة في الامام فاتبع قراءة ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي
ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن
عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال والاطالة للعمر وفي تخليتهم وشأنهم من املى
لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة
للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر
الاولى ولا يحسبن على الخطاب محمد ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لانفسهم بل للتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خبر عن معناه ان املاءنا لهم خير لان انتهوا وتدارکوا
فيه ما فوتوا منهم وهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا
يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله يختبره بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب وكن الله يجتبي من رسله من يشاء
كم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص وبان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عباد مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا ممن يؤمن منا وممن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام
قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه
يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم

من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق وقرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعوله
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالتاء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عليه السلام
او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا والثاني بخلون عليه اي ولا
يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيدرمون وبال ما بخلوا به الزام
الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له تجاعا في عنقه
يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله فيهما ما تتوارث فما لهؤلاء يتخلون عليه
بماله لو انه يرث منهم ما يمسكون ولا ينفقون في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة
والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه
عليه السلام كتب مع ابي بكر الى يهود قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة واتياء
الزكوة وان تقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانما عاتبهم العقاب عليه سنكتب ما
قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة ونحفظه في علمنا
لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول عليه السلام ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اقل جريمة ارتكبوه وان من اجترأ
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول لهم ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد
والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك المحسوسات والحالات وذكره
ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل وانما لك على المال اذا كان حاجة
الانسان اليه لتحصيل الطعام ومعظم تحمله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل

مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا
وسائر معاصيهم عبر لا يدى عن الانفس لان اكثر افعالها بهن وان الله ليس بظلام
للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل
المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة المسئ الذين قالوا هم كعب بن الاشرف وما لك
وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التي كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب قربانا فيقوم النبي صلى الله عليه
وسلم فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اى تحيله الطبع بالاحراق وهذا من مفترياتهم
وابا طيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات
سواء في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلموهم ان كنتم
صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى معجزات اخر موجبة
للتصديق وعما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان
توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر
واجزاء واعلى منه فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول بن تكذيب قومه واليهود والزمر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن
الشرايع والاحكام ولذا يجاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل
الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وابن ذكوان والكتاب
باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان
او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون
قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر

النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب
بجفاوة وادخل الجنة فقد فاز بالجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلعم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا
متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها
على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون
اى والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات وانفسكم
بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن في الدين واعزاء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم
على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او الحاء عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل
اثبات الراى على الشئ نحو امضائه واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا
الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقراءة ابن
كثير وابى عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لاتهم غيب واللام جواب القسم
نابت عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا
بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم يوم القيامة بلجام من نار وعن علي رضي الله
عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

الخطاب للرسول ومرجع الضمائر جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه
وقراءة ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعول
لا تحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مولك وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة والمفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم
تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه
عليه السلام سال اليهود عن شئ مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم
قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو وتمارعتذروا
بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم
يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولي الالباب للادلة واضحة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكماله
وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوايب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه معترضة لجملة فانه اما ان يكون في ذات الشئ كتغير الليل والنهار
او جزءه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين
وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم كقوله عليه السلام لعمران بن حصين

فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب نوعي آياء فهو حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في ان المريض
يصلي مضطجعا مستقبلا بعقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص
بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه
فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق
من السموات والارض وايهما لا ينافي في معنى المخلوف والمعنى ما خلقته عبثا اضافا تاما من غير حكمة
بالغة خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ومحجة على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية فنجوازك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال
بالظرفية والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بامكانه خلقت السموات
والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الشتاء فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه
تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني قطع
وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم
تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان اوقع
الفعل على المسمع وحذف المسموع للدلالة وصفته وقيه مبالغة ليس في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول
عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى
الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اى فآمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا كبائرها فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرها فانها مستتبعة

ولكن نكفره عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بحسنهم معدودين
في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحتوون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
والابرار جمع برّ وابرار كرباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما
وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما ظهر امتثاله لما امر به سأل لما وعد عليه
لخوف من اخلاف الوعد بالخافة ان لا يكون من الموعود بسوء عاقبة او تصور في الا
متثال الأوّ تعبّدًا واستكانة ويجوز ان يعلق على محذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقد سمعناه على ألسنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا
عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد بامانة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال او للدلالة على استقلال
المطالب وعُلق عنها وفي الآثار من حزبه امرٌ فقال خمس مرّات ربنا انجاه الله مما
يخاف فاستجاب لهم ربّهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدّى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اى اني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من
ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلاهما
من اصل واحد ولفظ الاتصال والاتحاد والاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعاملين روعاة ام سلمة قالت يا رسول الله
انى اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره
تفصيل لاعمال العمال وما اعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك والاوطان والمعاشر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا
في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة
والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل والاول المراد قتل قوم
قاتلوا لبا قتلون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر للتكثير لاكفرنّ عنهم سيئاتهم
لاتحونّها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى ثبتهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب

على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي
والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين ولكل احد والنهي في
المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للتسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا
تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهرها ترى من يستظهر في مكا
سبهم ومتاجرهم ومزارعهم رووي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء
وابن عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل الضمير مدته وفي جنب
ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا في جنب الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماوبهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لا
نفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر
الضبي وكنا اذا الجبار الجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على
الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها
نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله
المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في
قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه
من الجزاء واستغناءه عن المناقشة والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول

فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات ومما يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعداء الله فى الصبر على شدايد
الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا
لشدته ورابطوا انفسكم وخيولكم فى الثغور مترقبين للغزو وانفسكم على الطاعة كما
عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلم من رابط يوما
وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا
لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبرء عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح وانقوا
الفضايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترتصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرء سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم
من قراء السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملايكته حتى
تجب الشمس سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بنى آدم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منها اتكم حوا
من ضلع من اضلاعها او مجموع تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها
وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية توالدهم
منها والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى
بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان تكون الذكور كثيرا لحملا
على الجم وترتيب الامر بالتقوى على هذه الفضلة لما فيها من الدلالة على القدرة الكاملة
هى التى من حقها ان تخشى والنعمة التامة التى توجب طاعة مولاها او كانة المراد
تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبخاصة جنسه على ما دلت عليه الآية

التى

التى بعدها وقرئ وخالق وبات على حذف مبتداء تقديره وهو خالق وبات واتقوا
الله الذى تساءلون به اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية فى السين وقراء عاصم وحمزة والكسائى بحذفها والارحام
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اى اتقوا الله
واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقراء حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو
ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتداء محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اى مما يتقى ويتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وعنه عليه السلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله
ومن قطعنى قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم
اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة
اليتيمة انما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى
او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات لجمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى
والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وو
رود فى الآية انما للبلغ على الاصل والاتساع لقرب عهدهم حثا على ان يدفع اليهم
اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم او ينس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا وليجربهم الحكم مفيدا وكانه قال واتوهم اذا بلغوا وبوتيد الاول
ما روى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير وكانت لوا
الحوبة بالطيبة لا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو
اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل كانوا يأخذون الرفيع من اموالهم ويجعلون
تعلوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها
مضمومة الى اموالكم او لا تنفقوها معا ولا تشوبوا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما
زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما

وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال فيتزوجها ظلما بها رغبة
بجمالها عند منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا ما قدرتم انكحتم لوفاء بحقهم
لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من كلها على ما روى انه تعالى لما عظم امر اليتامى
تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من كثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل
كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء
لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره وما ملكت ايمانكم وقرئ بتقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلث ورباع معدولة عن اعداد مكررة
هي اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفة
وان كانت اصولها للتكرير بين لها وقيل لتكرير العدد فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل واحد من الجمع ان ينكح ما شاء من العدد
المذكور منفقين فيه ومختلفين كيفما شاء لك ان تقسم هذه البدنة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو
اردت كان المعنى مجوزا الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بالواو لذهب مجوز
الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا
او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل يحذوف وخبر تقديره فكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من التسر
وخطوة مؤنثة وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اى التقليل منهن او اختيار الواحدة
او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا
جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر الا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيد قراءة

ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان
التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة الى تزوج
الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة وبضمتين على التوحيد وهو شاذ قياس صدقة كظلمة
في ظلمة نحلة عطية بلا عوض نحلة كالنحلة وتحلا اذا اعطاه ايا عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظرا الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدرية
لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو والصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين او
مفعولة وقيل المعنى نحلة من الله ونفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل
دياثة من قولهم نحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا
من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصدقات حملا على المعنى وتخصيص اسم الاشارة
كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق اردت كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز
الجنس كذلك وقد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكم جعل
العفو طيب نفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والقاء وذوقا لمنه بعنا لهن
على قليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا خذوه وانفقوه حلالا لا تبعة فيه والهنيء والمريء صفتان
من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص قيدتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر
او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذ الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي انه
ناسا تأثموا ان يقبلوا احدهم من زوجته شيئا متاعا ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضافها الى
الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملايم للايات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهي لكل احد ان يعمد الى ماخوله الله من المال فيعطي امرأته او ولده ثم ينظر الى ايديهم وافواههم
السفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على نفسهم وهو وفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول لأنك يا نفس التي من جنس

ما جعل الله لكم قياما حتى به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعوذ
وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم
بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
يطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكر احدهما
وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي
الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكلوا اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان
يدفع اليه ما يتفرغ فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا احدا البلوغ بالاحتلام او
باستكمال خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة
سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وتمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ
النكاح كناية عن البلوغ لانه صح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم
وقرئ احسستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير اخير عن حد البلوغ ونظم
الآية ان الشرطية جواب اذا للتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء كانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة
اذا زادت على ستة البلوغ سبع سنين وهي مدة مضبوطة في تغير الاحوال اذ الطفل تتغير بعدها
ويوصى للعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
مسرفين مبادرين كبرهم او لاشرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف
من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعن النبي عليه السلام انه سئل
ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واقي مالك بماله ولا يتأدى
التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها بذارا على انه نهي للاولياء ان يأخذوا او ينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان فظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه

الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا للاحناف وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخافوا منهم ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد به المتوارثين بالقرآ
مما قل منه او كثر بدل من ما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر
مؤكد لقوله قرينة من الله وحالا اذ المعنى ثبت لهم معروضا نصيب او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا ولجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه
لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات
فزوى ابناء عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية
فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تقربا من ماله شيئا فان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين والباقي لابن العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم
تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب عند الشافعي ومر الوارث وقيل امر وجوب
ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك وما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو
ان يردوهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر الاوصياء بان يخشوا الله وتتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعدوفاتهم او الحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ولهم
او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركون ان ينتزعهم
بصرف المال عنهم والورثة بالشفقة على حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم يقولون لخلفهم ضعافا مثلهم فما يحق ان يفوتهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولوجا في حتين جعل صلة للذين على

وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الرحم وان
يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى الذى هو غاية الخشية بعد ما امرهم برعاية للمبدإ والمنتهى اذ لا ينفع
الاولاد دون الثانى فامرهم ان يقولوا للثانى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب او للمريض ما يصدّه عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او الحاضرين القسمة عند احتضاره وعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه
الظلم انما يأكلون فى بطونهم ملأة بطونهم نارا ما يجر الى النار ويولد اليتها وعن ابى برزة
انه عليه السلام قال سيخرج الله قوما من قبورهم يتأججون افواههم نارا فقيل من هم
وقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم
نارا سيصلون سعيرا سيدخلون نارا اى نارا وقرأ ابن عامر وابن عباش عن عاصم بضم
الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلى النار قاسى حرها وصليته سويته واصليته
وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها يوصيكم الله بأمركم
ويعهد اليكم فى اولادكم فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اى يجعل
كل ذكر اثنين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لا
قتضاء المبيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كما هو للتفضيل فلا يحرم من بالكلية وقد
اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء خلصا
ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على ان المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اى نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك الميت فى سكم ويدل عليه المعنى وان كانت
بنت واحدة اى وان كانت المولودة واحدة وقرئ بالرفع على ان التامة واختلف فى الشرط
فقال ابن عباس حكمها حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمها
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان

فلها النصف وقرأ نافع

اقتضى

اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد
ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امتز حمًا من الاختين وقد
فرض لهما الثلثين بقوله ولهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوى الميت لكل واحد منهما
السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تأكيد لما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا وانثى عيزان الاب يأخذ السدس
مع الانثى الفرضية وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلامه الثلث مما ترك واغا لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعلمت نصيب الام علم ان الباقى للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان
يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث
المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم يأخذون
السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير
التثليث سواء كان من الاخوة والاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث
ما دون الثلثة ولا الاخوات الخاص لحذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين تعلق بما تقدره من قسمة
المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين اوفا
عالا والتفات للاباحة دون الواو والدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان
على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها
مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الذاهل
وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن برّكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم

فتحرّوا فيهم ما وصّيكم الله به ولا تعدلوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد
المولدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يُرفع اليه فيرفع بشفاعته
أو من مورثكم منهم امّن اوصى فرّضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص
فوفّر عليكم ماله فهو اعتراض مولّد لاحد القسمة وتنفيذا الوصية فريضة من الله
مصدر مؤكد اما ومصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما
بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدّر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من بطنها او من صلب بيها
وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها او دين فرض للرجل يحتمل الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا الاولاد الام والمعتق
والمعتقة ويستوي الواحد والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث
اى يُورث منه من وُرِث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير
وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد
والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من أُورِث وكلالة من ليس بوالد ولا
ولد وقرئ على البناء للفاعل فالرجل الميت والكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول
خبر كان والثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال افاله الاعشى فآليت لا ازني لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بـ
بعضية لانها كالة اى ضعيفة اضافتها اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة
كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل او له اى والرجل او التي يحكمه عن حكم المرأة
لكلالة العطف على تشاركهما فيه او اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد
بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر آخر السورة ان الاختين الثلثين والا
خوة الكل وهو لا يليق الا بالام وان ما قدرهنا فرض الام فينبغي ان يكون كذلك

دها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون
ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن خصّت فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى
بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور وفي هذه القراءة
والدلالة عليه بقوله يوصى بها على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم
وصية من الله مصدر مؤكد ومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار
وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة وصية
منه بالاولاد الاسرار في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله شرايعه التي كالحدود المحدودة التي لا تجوز تجاوزها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله
وجمع خالدين للفظ والمعنى وقراءة نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقو
لك مررت برجل معه صقر صيدها بزيدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات وبابه
والاوجب ارادة الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها وركبها اذا فعلها والفاحشة الزنا ز
يادة قبحها وشناعتها فاستشهد واعليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قد فعن اربعة من الرجال
المؤمنين ليشهدوا عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن ملائكة الموت يستوفين ارواحهن او يتوفاهن ملائكة الموت
فيكان ذلك عقوبتهن في اوايل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية
بامساكهن بعد ان يحددن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر
الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص على الحبس



او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتكسين مدة الالف والباقون بالتخفيف من غير تكلين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاطلقوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاعراض والشتم ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية ناسخة على الاولى نزلا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطيين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي انما قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع مرجها الله ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله فلمتاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبة فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في آخر من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين للمتوبين فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ستوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة لما بالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال لو توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين والذين يعملون السيئات المنافقين لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم والذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب عنظم لا يخرج عنه بهم متى شاء والاعتداد التهيئة

من العتاد

من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت التا الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته فقالوا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل الاحجار لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فيرثوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل المضم المشقة وما بفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق بقال عضلت الشاة اذا نشب ولدها في بطنها فماتت وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للا فتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وقرا ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعال والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين واذ في الى اخر وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامها والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج يعني تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احديهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا الا ان الاخذ بسبب مبينا ام

بهتانهم واقترافهم المآثم وقيل كان الرجل منهم اذا اراد حديدة بهت التي تحته
بفاحشة حتى يخلعها الا ان تفتدي منه بما اعطاها فيصرفها الى تزوج الجارية فنهوا عن ذلك
والبهتان الكذب الذي يحصل المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر
ههنا بالكذب الظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاستيرداد المهر
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا
عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة وما يتواثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تتكحوا التي نكحها آباؤ
كم واقتما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول
المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي
وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح حليلة آبائكم الا ما قد سلف او من اللفظ تغليبا
لغة في التحريم والتعميم كقوله ولا تغبد فيهم غيرات سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه
وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه كما انه مقرر
انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي كان نكاحهن كان فاحشة عند الله وخص فيه
لانه من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي
وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت
عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم نعم من ولدنك او ولدت
من ولدك وان علت وبناتكم تناول من ولدته او ولدت من ولدها وان سفلت
واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك البافيات والعمة كل انثى ولدها
من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ والاخت تتناول القريبة والبعيدة وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة تدل انها الرضاعة تنزل منزلة النسب حتى تحل المرضعة انثى والمرضعة اختا
وامتها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درت عليه اللبن فالكل عليه
السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت الجد واخي اخيه من الرضاع
بين هذا الاصل ليتبين صحيح فان حرمتها في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
كم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكرا ولا محرمات النسب
لما الرضاعة لان لها لحلمة تلك النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض
لمخلوقة الزواج والربائب جمع ربيبة والربب وللمرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يربه
ولده وفي غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما والاكثر بصلتها
صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا تجوز تعليقها بالامهات ايضا
لان من اذا علقها بالربائب كانت ابدائية فان علقها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب
ان يكون يا نائنا كم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الاذكياء اللهم
اذا جعلها للاصالة كقوله اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني على
معنى ان سهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلوات الله عليه فرق
بينها فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل
لها ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد
التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف فان قوله
في حجوركم لتقوية العلة وكيلها والمعنى ان الربايب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في
احضانكم وبصدده قوى الشبهة بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والا
تمهات والربايب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن السنر
وهو كناية عن الجماع ويؤثر ما لمس يزنا كالوطء بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة
لمس المنكوحة وغوكا للتحول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تتزوج بعد اشعار

دفعا للقياس وحلايل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج
الذين من اصلابكم احتراز عن الدعي لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما احرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله وما ملكت ايمانكم فرج على التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن كلام المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقراء الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من الاماء سبين وهن ازواج كما حللن للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا يوم اوطاس وهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلالا لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لوسبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجر والرفع اي هذا فرايضه الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عينه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالتعرض في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ومجوز ان لا يقدر مفعولا تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين وبدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال او حتى به الحنفية

على ان المهر لا بد وان يكون مالا لا لاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والتسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه العرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات وفما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فاتوا المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي وفيما تراضيا به من مخففة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه السلام ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها اذا العرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يشرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات ومرفع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداقا حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واجاز ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحل فتياتكم من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حث عليه في قوله المحصنات المؤمنات من حملة ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة على قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكتابية وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وتبتغاضل ما بينكم في الايمان فربما امة تفضل الحرة فيه ودون حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لافضل النسب والمراد تأييسهم بنكاح الاماء ومنعهم

عن الاستكاف منه ويؤتيه بعضكم من بعض اثم وارتكاب كبيرة فلستم كلكم من آدم وحواء سواء فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا استعارة له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يخرج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي اداء والايمان مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى ايمانهن فحذف المضاف للعلم فان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان تؤدى اليه وفاء بملك المهر لا ذمة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرأ ابن بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل الكسر العظم بعد الجبر ستعار لكل مشقة ومضرة ولاضرر اعظم من مواقعة الامر بالخسف القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا يخير لكم اي وصبركم عن نكاح الامة متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام قال الخوض عليكم من مصالح احكامكم ومحاسن اعمالكم وان يهديكم معطوف عليه والام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قوله فيس بن سعد يجله ويهد بكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كررة للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الانتهار لها والمتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لالهها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات

واستحلال

واستحلال المحرمات عليكم بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ند وغير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يحتمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما خمان آيات في سورة النساء من خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه التي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او قصد ولكون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي يحصل بها المال لانها اغلب واو في المأذون والمروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن اكل المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقراء الكوفيون تجارة بالنصب على كان التامة وما ضار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالفتح كما يتعاطاه جهلة الهند وبالقاء النفس الى التهلكة وبه بين ما روى ان عمرو بن العاص تاول قوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او باركاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذل لها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد لا تقتلوا من كان من اهل دينكم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما يستكمل النفوس وتستوفي فضائلها او نهاهم عن قتل انفسهم كقوله تعالى فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم وعد وعيد كقوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما اي متجاوزا عن الحق وآيلا ناله ما يستحقه وقيل الراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلي يفتح النون

149

من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث
انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير بالافراد للجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغايركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب انها كثيرة كما ذهب وترتب
الشرع حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها تسع الاشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل
اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقرئ مدخلا بفتح الميم
وندخلكم بالنون وفتح الخاء والصاد على الاسناد الى الله تعالى او الملايكة بامره ومدخلا بالفتح
على انه مصدر كالمرجع بمعنى الادخال او مكانا كالمنزل والمعنى ندخلكم مكانا كريما الجنة وما وعد
من الثواب او دخولا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمتمنى للمنع كونه
ذريعة الى المحاسدة والتعادي معرية عن عدم الرضاء بما قسم الله له وانه تنشئ لحصول الشيء
له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القادر وتمني ما قدر له كسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا بالجهاد
ونصيب مما اكتسبن بيان لذلك اذ لكل من الرجال والنساء فضل وضيب بسبب ما اكتسب ومن
اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني ولا
المراد نصيب الميراث وتفصيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم
على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله
اي لا تمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزانته التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو

الحسد

الحسد ولا تمنوا واسألوا الله من فضله مما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى انها نزلت سلمة قالت يا رسول الله نغزو
الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث لتمنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا ورثاء يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا ورثاء مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى
الورثاء وفي ترك ضمير لكل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الا
ولاد فان الاقربين لا يلونهم كالابناء والوالدين أو لكل قوم جعلنا هم موالي حظ متاركه
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا
وخبر والذين عقدت ايمانكم مولى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله والاولو الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رحمه الله اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتناصرا ويتواجا ويورث أو الارواج على ان العقد عقد النكاح وهو
مبتدا ضمن معنى الشرط وخبر فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مستأنفة عن الجملة المتقدمة مؤكدة
لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بحذف الالف عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على
كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم
على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية وافامة الشعاير الدينية
وفي مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في
الميراث ولاستيلاء الرجال عادة في العراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكيا فقال عليه السلام لتقتص

موالي

عليه

اليه

منه فنزلت فقال لا ردنا امرا والله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله فائمات حافظات للغيب لواجب الغيب اي يحفظن
في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الآية وقيل اسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب او الحث
عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة
والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها
لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي يحفظ حق الله وطاعته وهو
التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن وانهروهن في المضاجع في المراقد فلا
تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبا
يت اكلا تبايتوهن واضربوهن يغير ضرب غير مبرح كالشتائم والاسود السالمة مترتبة ينبغي
ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه قدير عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه
على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم وانه يتعالى
وكبيران يظلم احدا وتنقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضيف
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف تامالاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام مني اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله والاخر من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وفي هذا وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجا
نب جاز وفيه الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم ولا

ان النصب لاصلاح ذات البين والتبيين الامر وكلمتا ان للجمع والتفريق الآية بادن
الزوجين وقال مالك لهما ان يتحالا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح وقع الله يحسن
سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق
الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اراد الاصلاح و
زوال الشقاق وقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف
يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا
من الاشراك جليا او خفيا والوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبما
حق القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب
البعيد والذي قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلث حقوق حق
الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم
وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل
المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبرا يأنف عن قاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه
اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس
بالبخل به اخفاء بكلمة نافع وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الخاء
وهما لغة ويكتمون ما آتيهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان
كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة

وحق القرابة وحق الاسلام
وجار له خمسان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق
واحد حق الجوار

من اليهود كانوا يقولون للانصار تحفظوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في
الذين كفروا اسفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رياء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والشح الذى
هو الامتناع مما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستحلال المذموم
او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ليتحرزوا بالايمان مما يضيه وثوابه وهم شركوا مكة وقيل المنافقون ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه
لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد بابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن لهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذى عليهم واى تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بكان المنبغية والاعتقاد في الشئ على خلاف
ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بانه من العقايد الجميلة
والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر ضار فيه ينبغي ان يحبب اليه احتياطا فكيف
اذا تضمن المنافع واما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى كان القصد بذكر الى التخصيص
ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من
الاجر ولا يزيد في العقاب صغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال للجزء من اجزاء
الهباء والمثقال ما يعادل من الثقل وفي ذكر ايهاء الى انه وان صغر قدره عظم جزاءه وان
تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر ولاضافة
المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير
ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل
التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما اعطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود

وغيرهم

وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على زناد عقايدهم وقبايح اعمالهم
والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر وهو الامر وتعظيم الشان وكفى بك يا محمد
على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك على عقايدهم واستجماع بعقايدهم
شرعك بجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم تمنيا لان لهم حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الارض
الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا او لا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى
انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم
فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء في السين وحمزة والكسائى تسوى على حذف احدى التاءين يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
كانوا يقربونها اذا قربوا منها وانتم سكارى من نحو نوم وخمر حتى تفهموا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم
روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعى نفرا من الصحابة فيهم كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وحان وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم فصلى
بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهى المساجد وليس
المراد منه نهى السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهى عن الافراط في الشرب والسكر
من السكر وهو الشدة وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى
وانتم قوم سكرى وسكرى تحتمل على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله
وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه مجرى مجرى المصدر الا عابرى سبيل متعلق بقوله

الارض

قوله لانه مجرى مجرى المصدر

قوله لتشبيهها بحروف العلة ولعل وجه الشبه في الخروج عن الحد الخصوص

ولاجنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى عامة الاحوال الا فى التعبر
وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا
غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها
فسر عابرى سبيل المجتازين فيها وجوز الجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رحمه الله وقال ابو حنيفة
رحمه الله لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء والطرق حتى تغتسلوا غاية النهى
عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى ممن يخاف
منعه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد ومرضا يمنعه عن الوصول اليه
او على سفر لا تجدون فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد
السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتن
بذكر تكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقرئ لامستم وجاء معنوه هنا
وفى المائدة وقرأ حمزة والكسائى ههنا لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء بعد فلم يتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا
التقسيم ان المترخص للتيمم اما محدث وجنب والحال المقتضية له فى الغالب الامراض
او سفر والجنب لما سبق ذكره فاقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر لذكره شبابه
ما يحدث بالذات وما بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان
العذر بجملة فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لا
مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على
حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد وان تعلق باليد شئ من التراب لقوله فى المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ
لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض والايدى اسم للعضو الى المنكب وبما روى انه عليه السلم
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى

المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر
الى الذين اوتوا من رؤية البصرى المنتظر اليهم او القلبى وعدى بالى لتضمن معنى
الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون
الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم او حصوله لهم بانكار محمد
عليه السلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوتهم وبما يريدون بكم فاحذ
روهم وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فتثقوا به واكتفوا به
عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى ليوكد الاتصال الاسناد الى بالاتصال الاضافى من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يجتمعهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم
وصلة النصير اى ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منه او خبر محذوف صفته يحرفون
الكلم عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه
التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يتأولونها على ما يشتهون فيميلونه عما
انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت بسمع ومؤت او اسمع غير
مجاب اليما تأتيه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك الآن
اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا
سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا نظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا
للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا اسمعت مكروها او قتلا بها وطعنا مما يظهرون من الدعاء والتوقير لما يضمرون من الثلب
والتحقير نفاقا وطعنا فى الدين استهانة وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل واما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لكونه دليلا عليه ووقوعه موقعه ولكن
لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا

قليلا الا ايمانا قليلا لايجاوزه وهو ايمان بعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي لهمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا وسيموتون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو خطوط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او نشكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطمس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نصرفها فنسلب قواها ادبارها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهو اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ونخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعنا هم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات والوجوه ان اريد بها الوجاهة او عطفه على القلوب في الوجه الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب وكان وقوعه مترقبا بعد ما نهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء وعيده او حكمه به وقضاء مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه يأبى الحكم على خلود عذابه وكون ذنبه لا يمحى عنه انه فلا يستعد العفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا وكبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى من عمومه ونقض لدفعهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

اركبه ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وروي معناه بل هم من زكى نفسه واثنى عليها الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه انما لم يرض بانطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وذكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نمو ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بتجرح فتيلا ادنى ظلم وصغره وهو الخيط الذي في شق النواة ويضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ما ثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لاصنامنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وازكى طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع عنه بشفاعة او غيرها العلامة ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد ما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاعراق في بيان بخلهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا

اذلة متقاقرين وجوزان يكون المعنى انكارانهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية والمعنى لا يؤتون
الناس شيئا واذا ما واقع بعد الواو والفاء لا يتغير معه جاز فيه الالغاء والاعمال كما
قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس الحسد تمنى زوال النعمة والمحاسبة بالعين
العرب والناس جميعا لان من حسد على النبوة فكما حسد الناس كلهم ورشدهم
وتجرهم والكر عليهم الحسد كاذتهم على الخلود وهيما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا
على ما اتيهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي المؤتى
منهم فقد اتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد وابائه عنه الكتاب والحكمة النبوة
واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثلها اتاهم فمنهم من اليهود من امن به
بمحمد وبما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امر محمد
يوهن كفرهم وصدهم امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مستعرة يعذبون بها اي لمن يتحملوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما اعتلهم من سعيرجهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كما بيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك
الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم فرطا اوبان يزاد عدد اثر الاحراق ليعظم
احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل خلق مكان
جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا يعاد ورد
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا دائما لا يحور فيه وداما لا
ينسخه الشمس وهو اشارة الى النعم الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتاكيد كقولهم شمس شامس وليل ألْيَل ويوم أيْوَم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها خطاب بعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار

لما اغلق باب الكعبة واباى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه
فلوى علي يده واخذ منه ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة وامره الله ان يرد اليه فامر عليا
ان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزول الوحي بآية السدانة فاكرده ابدا
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او برضى بحكمكم وكان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة
بيعظكم ومرفوعة موصولة او المخصوص بالمدح محذوف وهو ما المأمور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا بما قالوا لكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم
بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل على الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول ذليل للعلماء
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المقلدين الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فارجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول الى السنة عنه في زمانه
والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه
انما يكون بالقياس والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة
الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يوجب ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة واحسن تاويلا من تاويلكم بالكرة
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون

أن يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر لنا فقال كذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويثور كحاله حتى بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف كلام الفعل عنها طائم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السدود انه غير محسوس والسدود محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق والنقمة من الله عما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا التوفيق بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وفيه جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم وعن قبول معاذيرهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في شانها او خاليا بهم فان النصح في السر اجمع لبلوغ المراد منهم وتوثر فيهم امره بالجد في عرفونهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء

قوله ليبلغهم

وتعليق الظرف بليغا على معنى ليبلغهم في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم للموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقرر ان ارسال الرسل لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو معنى ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى اتتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وحثا على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجده بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فورب ك ولا مزيدة لتاكيد القسم لانتظام ضمن الكلام في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجل فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وانما صدرية او مفسرة لان كتبنا بمعنى امرنا او اخرجوا من دياركم عزموا حين استثيروا من عادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التخلص او اخرجوا بضم الواو والاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو لا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمها اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا نفر قليل وهم المخلصون لما بين ان اباءهم لا يتم الا بان يسلموا

وتعلق

حق التسليم بنية على قصور اكثرهم وهو اظهر اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا
او لاحد مصدري الفعل في قراءة ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا منهم
ثم قالوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه ابعث لتحصيل العلم وتوطن النفس وتثبيتا
لثواب اعمالهم والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي
قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة حاسم زبيرا في شراج ماء عن الخروج كما يسقيان بها
النخل فقال السق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال
عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الجار
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما اذا يكون لهم
بعد التثبيت فقال واذا لو نثبتهم لآتيناهم اجرا لانه جواب وجزاء وهديناهم صراطا مستقيما
يصلهم بسلوكه جناب القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد
ترغيب في الطاعة بالوعد عليها بمرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بيان للذين محل من اما وضمير فيه للضمير في عليهم وحسن
مناظرتهم في العلم والعمل وحث كانه على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال
العلم والعمل المخلوزون حتى الكمال الدرجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
تارة بمراقي النظر في الحج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان
حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على
الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وذلك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاول اما ان يتالوا مع العيان القرب بحيث يكون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء
او فيكون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم

بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين شهد الله في ارضه وامانا ان
يكون اماراب وافقا تطمئن اليها نفوسهم وهم الصلحون وحسن اولئك
رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز والحال ولم يجمع لانه يقال للواحد
والجمع كالصديق ولا يراد وحسن كل واحد منهم رفيقا ويحتمل ان يؤول مؤول رسول
الله صلى الله عليه اتاه يوما وقد تغير وجهه وتحاجسه فسأله عن حاله فقال ما بالي
وجع غير اني اذا لم اراك اكاد ارى انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في
منزل دون منزلك وان لم ادخل فما احسبني ارى اكاد ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم والى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومنهم الفضل صفة مرا لله خبره والفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى
الاشارة وكفى بالله عليما تمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر الحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به
كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة
من ثبيت على فلان ثنية اذا ذكرت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين حذف الجار واوصل
من عجز وا نفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب الا ان
يقتضي اطلاق لفظها وحوق المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوت
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئ من قعد بنفسه وثبطها وقالوا وتخلفوا عن الجهاد من بطاء بمعنى بطأ
وهو لازم وبطئوا غيرهم كما بطأ ابن اتى ناسا يوم احد من بطاء منقول من بطؤ اللازم
الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر وما لتاكيد جواب قسم محذوف والقسم
بجوابه صلة لمن والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضرا فيصيبني اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة
ليقولن الكاف تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى لمن

مبالغة في الحرب وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم
اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى بكاؤا في استنزال الرحمة واستدعاء البلية
وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع ولد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فا
فتح استجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي
وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكير كبيرها
لتذكيرها المسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل
بذكر ويوئث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت لما ذكر مقصد الفريقين امر
اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان توبيخهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان
كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يعبأ به فلا تخافوا اولياءه فا
ن اعتمادهم على ضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله
ان يزل عليهم بأسا فاذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون
خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر اي والحال من فاعل
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه
ان جعلته حالا او جعلته مصدرا فلا لانه فعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من
جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض
اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم حتى حتاء على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشيته وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال لحذر الموت ويحتمل

وبينه مودة اعتراض من الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فأفوز
فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه
وانما يريد ان يكون معكم فيحرز المال والحال عن الضرر في ليقولن او داخلة في المقول اي يقول
المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم
وبين محمد مودة حيث لم يستنفركم فتفوزوا وانما فاز اليتني كنت معهم وقيل الجملة متصلة
بالجملة الاولى وهو ضعيف لذلك تقصلا لبعض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان
مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم
ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف وقيل
يا اطلق للتنبيه على الاستماع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا
افوز في ذلك او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بقاء هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون
والمعنى حثهم على ترك الحكم عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وعدله الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقو
لهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان الحال
لينبغي ان يثبت في المعركة حتى يغلب نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة
وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على سبيل الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وسوئ
على العدو او على التسبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واحقها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم من الجن مستذلين مستحقين وانما ذكر الولدان

انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فمحكى الله عنهم فلا متاع الدنيا قليل سريع التقضى
والاخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا ولا تنقصون اذنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه
او من اجاكم المقدرة وقراء ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا
يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدأ وايا ما متصل بلا يظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور حصينة
مرتفعة والبروج فى الاصل يبوت على اطراف القصر من تشييد الدار اذا طولت وقرئ
مشيدة وصفا لها بوصف فاعليها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من
عندك كالنعم الحسنة والسنة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية
وهما المرادتان فى الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط
اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود مثل ذلك لما دخل محمد المدينة تفاءلت
انارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله ينبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من الله اوحديثا مما كبهائم لا افهام لهم ما وجادا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة
فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا بكا فى نعمة الوجود فكيف
يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل احدا الجنة الا برحمة الله فيل ولا انت
قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاخلالك
بها بالمعاصى وهو لا ينا فى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وابتلاء غير ان الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحق انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر ولا
بيان كاف ترى لا حجة فيها للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال مؤكدة لعامل
علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة

للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا اجار احد من فى زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ
والآمر هو الله روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعتك فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ
عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو مما عن الكاف
ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى مما طاعة او مما طاعة واصلها المصدر
ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيتت طائفة منهم غير الذى
تقول اى زوروا خلاف ما قلت لها وما قالت لك من القبول وخفاء الطاعة والتبييت
اتمام البيوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر
وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته فى صحائفهم للمجازاة او مجملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم
قلل المبالاة بهم وبخاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شانهم وكفى
بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون
فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من عند
غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض
المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته
وبعضها تسهل ومطابقة بعض اخباره للمستقبلة للواقع دون بعض وموافقه العقل
لبعض احكامه دون بعض مما دل عليه الاستقراء لتفاوت القوى البشرية ولعل
ذكر ههنا للتنبيه على ان اختلافا ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف
الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او
الخوف اذاعوا به افشوه كان بعضهم تهم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة

اذا عوا به لعدم جزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء زيدت او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم اى الى رأيه ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور والامراء لعلمه لعلمه على اى وجه يليق الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبير مخبارهم وآثارهم وفيل كانوا يسمعون الاخبار المنافقين فيذيعونها فيعود وبالاعلى المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى يسمعه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر ان يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوا وحده لا تكلف الا نفسك اى فعل نفسك لا بصبرك ومحاربتهم وتثاقعهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روحانية عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فتركت فخرج ومعه الاسبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا تكلف بالنون على نهاية الفاعلين اى لا تكلف الا فعل نفسك لانا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة اى يكن بها حق مسلم او دفع بها عنه ضرا وجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والنسيب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساويها

اساءته في القدر وكان الله على كل شئ مقيتا مقتدرا من اقات على الشئ اذا اقتدر قال الموذي ضغن عنه كففت الضغن وكنت على مسائه مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل عليه وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستيعابه اقسام المطالب السلامة من المضار وحصول المنافع وتمامها ومنه قيل والترديد بين ان يحيي المسلم بعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حيا الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلم وقيل المراد بالتحية العطية او وجب الثواب او الرد على المذهب وهو قوله قديم الشافعي ان الله كان على كل شئ حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مقسمين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تثبتوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو ليجتووا المدينة فلما خرجوا امنوا الوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت

في المنافقين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفتنين حالا عاملها لكم وما عاملها كما تقول مالك قائما وقاعدا وفي المنافقين حالان فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير في فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي اشمام الصاد الزاء والله اركسهم بما كسبوا ردهم الله الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان كفروا كفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم في الضلال وهو عطف على كفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا تتولوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة في سبيل الله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى بعد ما ثبت هم لا سما ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم الا الذين ينتسبون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع حين وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه قبله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلم ينتف عن المعاهدين والذي لرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد او بدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم

اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين ارکسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان خرج الكف كما يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم واستسلاطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطاء فانه على تمرضية ونصبه على الحال او المفعول له اى لكنه قتله في بعض من الاحوال الا حال الخطاء او لانه قتله الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطا وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يتأتى القصد الى الفعل او الشخص وما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وكون نحو غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي الحارث بن يزيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة اى تخليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوما باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته تقسم بينهم كسائر الموارث كقول الضحاك بن سفيان

الكلاعي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مرئ ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي بارض العاقلة فان لم تكن فوق ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية حتى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو منعلق بعليه او بتسمية اي يجب الدية عليه او بتسمية الاهله الاحال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من العاقلة او الاهل او الضمير فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في بلاد عيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفر معاهدين واهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله انما اكتفى في المقتول بما هذا وكان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي تاب الله عليكم توبة او بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ولعنه وغضب الله عليه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد البالغ العظيم قال ابن عباس لا قبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم تثبت لقوله واتى لعفا ربك بات ونحوه وهو عندنا انما مخصوص المستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يعلم قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه فحمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الكلام مسوق في عصاة المسلمين كما يدوم عذابهم ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا فاطلبوا بيان الامر ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا

فان لم يكن فعليه ما على العاقلة

على الموصول

وشاذة هـ

في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وهو اسم السلام اضا لستم مؤمنا انما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعرا بما هو الحامل لهم على المجالة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل انا له لما له كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحقنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم وكان تادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الذين كانوا كافرا مؤمنين عند الله من قتل امرأ مسلم وتكرير الامر للتبيين تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به والغرض منه فلا تتهاونوا فتؤاخذوا بالقتال او بالخطا فيه روي ان سرية لرسول الله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس بن نهيك فلما رآى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما لاحقوا وكبروا وكبر ونزل فقالوا لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت ولا تقولوا الآية فاعتق رسول الله مرداسا وقال له هلا شققت عن قلبه فقال ما حملني على ذلك الا ما رأيت من جزعه من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه فتعلم ما فيه فما زال يكررها حتى تمنيت ان اسلمت يومئذ وحلفت ان لا اقتل احدا شهد ان لا اله الا الله فقتله وقال وقيل لو قرأ ما له وما له وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاءه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الجهاد من المؤمنين في موضع الحال من القاعدون او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم وبدل منه وقراءة نافع وابن عامر بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذي فوقعت لحذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بامولهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته نفي ما

الفواتح

السلام

والكسائي

ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وأنقة عن الحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة جملة مؤخرة
لما نوى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد الثاني ودرجة نصب بنزع الخافض أي بعد
أو على المصدر لأنه تضمن معنى التفضيل ووضع موضع المرتب منه أو الحال بمعنى ذوي درجة كلا
من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقباها
وخلوص نيتهم وإنما في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين التفاوت؟
أجرا عظيما نصب على المصدر لأن تفضيل بمعنى أجرا والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء
كأنه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل
واحد منهما بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطا وأجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لأنها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر بإضمار فعلها كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه إجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الأولى خولهم في
الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانية ما عجل لهم في الآخرة وقيل الدرجة الأولى
ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الأولى
هم الأصحاء والقاعدون الثانية هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء ببعضهم وقيل
المجاهدون الأولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه
السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم
رحيما بما وعدهم إن الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفيهم وتوفاهم
فإنهم على مضارع وقيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها
فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة ومواقفة الكفرة فإنها
نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا أي الملائكة توبيخا
لهم فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر ديننا قالوا كنا مستضعفين في الأرض اعتذروا
منا وتخوفوا بتضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمته قالوا أي الملائكة
تكذيبا لهم وتبكيتا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها إلى قطر آخر كما فعل

المهاجرون

المهاجرون إلى المدينة والحبشة فأولئك مأواهم جهنم لترككم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر إن والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقرئ أيما كنتم كما ما زيدت للملاكة بإضمار قد
أو الخبر قالوا والعائد محذوف أي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستتبعة منه وساءت
مصيرا مصيرهم أو جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة
دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب
له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما السلام إلا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة
إليه وذكر الولدان إن أريد بهم المماليك فظاهر وإن أريد بهم الصبيان فللتغليب أو للغفلة في الأمرين
والاستضعاف بأنهم على صدد وجوب الهجرة فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا يحسبون منهم
وإن قوتهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا صفة للمستضعفين دلا توقيت فيها وحال عنه وعن المستكن فيه واستطاعة الحيلة
وجدان أسباب الهجرة وما يتوقف عليه والاهتداء للسبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل
فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو إيذانا بأن ترك الهجرة أمر
خطير حتى أن المضطر مع حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويتعلق بها قليلة وكان الله عفوا
غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهي التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكها أي يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضا من الرغام وسعة
في الرزق وإظهارا للدين ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت
وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ثم هو يدركه وبالنصب على إضمار أن كقوله ولبئ
بالحجاز فاستريحا فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب مستفادان
والمعنى ثبت أجره عند الله ثبوت الأجر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه
على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شماله فقال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك فمات وإذا ضربتم في الأ
رض سافرتم فليس عليكم جناح أن تقصروا من القصر تنصيف ركعاتها وقرئ تقصروا من

يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وقالت عايشة اعتمر مع
رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة
واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة
اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف
الآية فان صحا فالاول اما قول انه كمال القيام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلاحاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان منقطة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر
قصر ونقصان فستى الاتيان بهما قصرا على خاطرهم ونفى الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل
سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر
ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند
الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كانوا لكم عدوا مبينا شرطية ياعتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جواز اقصر في
حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهذا قتال الكفار
بمكة واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة
الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده
وانهم نوابه عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك ويصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى ليدل عليهم فاذا سجدوا
يعني المصلون فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فتغلب
المخاطب على الغائب ولتات طائفة اخرى لم يصلوا لاستغالهم بالحراسة فليصلوا معك
ظاهر هذه الآية يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل
وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفية ان يصلي بالاولى ركعة
وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو ويأتي الاخرى فيتم بهم الركعة

الغاية

ركعتين

ان الكافرين

ظاهر

الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببطن الرقاع وقالت ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم يذهب هذه ويقف بازاء العدو وتاتي
الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتاتي فتؤدي الركعة الثانية
بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحرز بها الغازي فجمع
بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوأوا الدار والايمان ودوا الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان يبالوا منكم
غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان لما اجملوا امروا باخذ السلاح ولا
جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة
لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر للاخذ
للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم
العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر
بالحزم تقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وقلة عددهم بل لان الواجب
ان يحاطوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الا
حوال او اذا ادى تم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين وقعودا
رعين وقعودا مراميين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمانتم سكنت قلوبكم من
الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا او مكتوبا فرض كل صلوة في وقتها
في شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقالوا ابو حنيفة لا يصلي المحارب
حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء التوجه في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون فان
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزامهم وتقريع على التواني
فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار

الاولى

الذين واستحقاق الثواب مما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر
عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولانهم لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة
النهي من الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بما كلم وضمائركم حكيما فيما
يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما
اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح ويبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل
بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم وانما استعمل
ثلثة مفاعيل لانه لم يكن له بد من ان يعلم انه علمه الله بالوحي او الاجتهاد بالقياس
ولا تكن للخائنين خصيما للبرآء واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان من خان فانما يخون نفسه لان وبال خيانته يعود اليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما لها
والضمير لطعمة وامثاله قوله ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين سعوا في براءته وخاصموا
عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهكا فيه روي ان
طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو احق بان يستحى منه وهو معهم لا يخفى عليه سترهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكا
ن الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم
في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعل موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة امن يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب

الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بالمختص به ولا يتعداه وقيل
المراد بالسوء ما دون الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث للطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن
يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وبال كقوله وان اسأتم فلها وكان الله
عليما حكيما فيعلم ما يكسبه حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا يعمد
فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رموا طعمة زيدا ووجد الصغير الكان
او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رميه البريء وتسريه النفس الخاطئة ولذلك
سوى بينهما وان كان مقترفو احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته
بالعلم ما هم عليه بالوحي لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء
فان الله عصمك وما اجهل بالك كان عتابا منك على ظاهر الامر كما ميلا في الحكم ومن شيء
في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله واذ هم
نجوى ومن تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا
نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض وغائلة المعهود وصدقة التطوع
وسائر المرافيه واصلاح بين الناس واصلاح ذات بينهم ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر وترتب الجزاء على الفعل
ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخلهم وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة
الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا

ووصف الاجر العظيم تنبيها على حقارة ما فات وخسته من اغراض الدنيا قل حقر
وابو عمرو بوتيه بالياء ومن يشاقق الرسول مخالفه من الشق فان كلا من المخالفين في شق
غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل
المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل يوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
او نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على
المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما والجمع
بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر والكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث
لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع
سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد
استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل لما جاء شيخ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك
بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم ار وقع المعاصي جراءة وما
توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة
وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة
اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى النبني على الله ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني
فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قاله وما ذكر ان يتمنون قوانثى تنديدا للذم ليس له
فانه على الفرد وهو ما كان صغيرا مستمرا فراثا فاذا كبر سمي كلمة او لانها كانت جمادات والجماد
تؤنث من حيث انها ناقصات الا نات لا تفاعلها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على
انهم يعبدون ما يسمونه انا ثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل

ليكون دليلا على تباهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم بنات الله وهو
جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى وقرئ اثنا على ان جمع انيث كخيوط وخيط ووثنى
بالتخفيف والتشقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو والفتحة
ضمة وان يدعون وان يعبدون عبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي اغراهم
بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق
بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الذي قرط عداوته
للناس وقد تمرض سبحانه وتعالى على ان الشر والضلال في الغاية على سبيل التعليل وما يشير
كون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك بناء على ان الالوهية غاية المنافاة فان الاله
ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل على انه عبادة الشيطان وهو اقطع الضلال
لثلاثة اوجه الاول انه يريد منهم ما يهلك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية المعاداة والشقي في اهلاكهم وموالاة من هذا
شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم
فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول البقاء وان لا بعث
ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام تشقونها تحريما لما احله الله وهو عبادة عتاكا
العرب تفعل ذلك بالبحائر والسوائب واشارة الى التحريم كل ما احل وتقصر كل ما حلوه كالملابس
او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء
عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والتحنث وغير ذلك وعبادة الشمس والقمر
وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح فيما يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها
من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة
والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا

من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى
طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل الجنة بالنار ومن
النار بعدهم ما لا يخرج وعيتهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اطماع النفس فيما
فيه الضرر وهذا الوعد اما للخواطر الفاسدة او لسان اوليائه او ليك ماويهم جهنم ولا
يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها الى غيره وليس صلة لانه
اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يتعدى ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعدهم
وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لانه مضمون الجملة الاسمية التي قبله والثاني
مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى وعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة للقرآنية الموعد
الله الصادق وليائه والمبالغة في توكيد ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا
اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب بتالي اياميكم ايها المسلمون ولا باماني اهل
الكتاب وانما يتالي الايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه قوله
ذكرهم اي ليس الامر بامانيكم المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما
يزعم محمد لنكونن خيرا منهم واحسن حالا كما في اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا واجلا ما روي انه لما نزل قال ابو بكر فمن يسلم مع هذا
يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك الاذى قال بلى يا رسول
الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله

ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشائعها
فاذكرا احدا لا يمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكرا وانثى في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقترن
العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد بدونه وفيه فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص نحو من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد
عقاب العاصي كان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكر عقيب الثواب
قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون
بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل
بذل وجهه له في التوجه وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية
وهو محسن آت الحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المنتفي
على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما
اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه وتخللا النفوس
لطفها وقيل من الخلل فان كلا واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخلة وهو الطريق في الرمل فانها
تمتوا فقان في الحسان والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في
الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمنة اضاقت
الناس يمتار منه فقال الخليل له لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف فقال
اضايا ما اصاب الناس فاختار لهم ما يتخاف ليسنة فهلكت فيها مواشيهم الغرا بر حياء من الناس فلما
اخبر بما ساءه الخبر فعلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت خوارى واحسنت
فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال
بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منها
ما يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر الخلة لما تقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكالة قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان

عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن او سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عليه السلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف واما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد يسند الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اعطاني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم ويختص على القسم كانه قيل والله اقسم ما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا فيد لمن فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهو من الاضافة بمعنى من كانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ يتامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن واذا كانوا بعكس ذلك رغبوا عن نكاحهن طمعا في ميراثهن والوا ويحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذا لم يلزم من الرغبة في نكاحها جواز العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ماكانوا يورثون لهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعل في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى وياموركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم والقوام بالقسط في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان

امراة خافت من بعلها نشوزا توقعت منه لما ظهر لها من الخايل وامرأة فاعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان قل محادثتها لسنها او دمامتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط بعض المرأة او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقراء الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا يجوز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصالحا من اصالح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة وبجوز ان يراد به التفضيل كما بيان انه من الخيور كالخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك عثر على عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضارها ان النفس جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي او اكرههما او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وتفعلوا الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك وان حرصتم على تحري ذلك والغنم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع من الامور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اى وان تفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر

بيده الوسع من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا
في افعاله واحكامه وله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقد
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او اوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر
بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون
ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم وكلم ان تكفروا فان الله ما لك الملك كله لا يضر
بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقوكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم
قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد
ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع
المخلوقات بدلالتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص
والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغنى الله كلا من سعته فانه
تعالى توكل كفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس
بفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب وياتِ بآخرين ويوجد قوما آخرين
مكانكم وخلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف
امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعنى قوله وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل اضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
مجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فالله يطلب اختهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما
فان من جاهد فيها لصالة لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله
ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريد كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية

وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاعراض فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين شهداء لله بالحق تقيمون شهادتكم
لوجه الله وهو خير ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان
تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منهم ومن المشهود له غنيا
او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوزوا فيها ميلا او زحما فالله اولى بهما
بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة عليهما او لهما اصلاحا لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة اللي
او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي وان تلوا باسكان
اللام وبعدها واو ان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقراء حمزة وابن عامر وان
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين والمنا فقين والمؤمنى اهل
الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله والكتاب الذى نزل على رسوله
والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك او داوموا عليه او آمنوا به
بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا خاليا عن شوائب الكتب والرسل فان الايمان ببعض كالا
ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر اى ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى الطريقه ان الذين آمنوا يعنى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا
بعد عودهم اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بتحديد صلوات الله عليه او
قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغى لم يكن الله

169

ليغفرلهم ولا ليهديهم سبيلا اذ استبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد صرّيت بالكفر وصارت وهم عميت عن الحق لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل عليه الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافسادا لامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤتيهم عزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني في القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وسمي المخففة والمعنى انها اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما للتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى الذي هو حرام الشرط بما اذا كان من مجالسة هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا يدل بالاشارة على ان من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفران رضتم بذلك وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا منصوبة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثلما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امركم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب

فانها بحالها قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فما بقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال الاستحاذ يستحيذ استحاذ فجاء على الاصل وشذ منهم من المؤمنين بان اخذنا لهم تخييلا ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما استظهر المسلمين فتحا وظهر الكافرين نصيبا لخشة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الاسلام قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى كالمكره على ما هو مثنا فليه الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس يحاولهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى من يراائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد المتلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراؤن كقوله ولا يذكرون الله اي يراائي بهم غير ذاكرين مذبذبين اوو لا يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم اي يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذ وانتزع في ذبة وبارة في ذبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وذنبهم فلا تشتهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم

بهم دليلا على النفاق او سلطانا بينا عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار هو الطبقة التي في قعرها ثم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا
الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها
تهامت داركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر
والسطر والنهر والنهر لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا وامن سرائرهم واحوالهم واحالهم النفاق واعتصموا
بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه بطاعته
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيشاهدون فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفي به غيظا او يجر نفعا
او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان
اصراره وكسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال الايمان والشكر ونفى عنه نفسه تخلص
من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر
حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بمن يستحق
شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا الجهر من ظلم
بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فغوث
عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم
يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا اطاعة
وبرا او تخفوه او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر
ابداء الخير واخفاءه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون

بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر وهو اسطة اذ الحق لا يختلف فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما لم نعوا عنه تفصيلا واجمالا فاما
الكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لاعترافهم بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد
لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد بدهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث
انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصدير بسوف
لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم وعن يعقوب بالياء
على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم
يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا
ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا بخط
سماوي على الواح كما كانت التوراة وكتابا بمعاينة حين ينزل او كتابا الينا عيانا بانك
رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر كان استكبرت ما سألوه
منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم
لانهم كانوا الحاذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان غرضهم راسخ في ذلك
وان ما اقترحوا عليك ليس واردا جزافا لانهم وحيا لانهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت
من السماء فاصلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسوالهم ما يستحيل
في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفوها ايضا او ابلهم والبينات

المعجزات وكحجرنحلها على التوراة اذلم يأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت
ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقراءة ورش عن نافع لا تعدوا على ان
اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو
قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا فنعكسنا بهم ما نطقنا
بنقضهم ومامزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف وبجوز ان يتعلق بحرمنا
عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه صلة وقولهم المعطوف
على المجرور فلا يعمل في محل وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم وفي كتبة تأتوعنا اليه
بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وحفظها ومنعها التوفيق للتدبر
في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واياما
قليلا لاعبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على كفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف بمجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما
قبله ويكون تكرير ذكر الكفر اذانا لتكرر كفرهم بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما بعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره قوله
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استيناقا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان
رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل

وتراءا قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والقصر عند باقي الاسكان

الى قوله فبظلم لا عاد له على قوله بل طبع الله عليها متعلق بقوله لعنهم او بقوله فبظلم قولهم قلوبنا غلف فيكون ردا لقولهم قلوبنا غلف

فانهم كفروا به

ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل
كان رجلا يقال له فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل
طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج طوطانوس
عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا يستبعد في زمان النبوة واعتمادهم
الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة
وتجرئهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسندا الى الجار والمجرور وكانه
قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل
احد ولكن رجح بقتله فتاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم
مقتولا وان الذين اختلفوا في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وقال آخرون فعال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع
منه انه يرفعني الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت الى السماء
لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق الرد ودونه وعلى ما يقابل العلم وله
الشك كله بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يمكن ان لا يكون جزما كان وجه
فصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح اذ
متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذا للتخبر عنها بالعالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلك حجرا من قولهم قتلت الشيء علما وتحريته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله
اليه رد واكذاب لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريد حكيما
فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين يزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ

فلما خرج ظن انه عيسى

انه رفع الى السماء

الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان الحذف في معنى الجمع وهذا كما لو عاينهم والخبر يحض على المعاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات وتلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دلالة على ان النهي عن التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم ومن المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر او لئك وعطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه كاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا اختصهم بالذكر مع

اشتمال

اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقرأ حمزة زبورا بالضم جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كما ارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلوات الله عليه بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت برجل صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيتبعها ونعلنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصورهم عن ادراك الجزئيات المصالح والاكثر عن ادراك الكليات بها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبرها للناس وعلى الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وفرض على نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استئناف لا عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه بسوال الكتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقولهما انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون وكن الله يشهد وانتم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بانه فيه على نظم معجز عند كل بليغ وقال من يستعد للنبوة ويتأهل لنزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك وما سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها

كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد
عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا بتجاوزهم الحد بالكفر بنبوته والناس بصدهم عما
فيه صلاحهم وخلاصهم واعظم من ذلك والآية بدل على ان الكفار مخاطبون بل
لفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان
من مات على كفره فهو فى النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا
لكم اى يكن الايمان خيرا لكم وائتوا خيرا لكم فآمنوا خيرا لكم وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم
ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط
وجوابه وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا
يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وبتوبته على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو غنى
بهم ما اشتملت عليه وما تركبت منه وكان الله عليما بأحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى حتى رموه
بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه روى
فى الحديث ان لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى
بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها
وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى
روحا لانه كان يحيى الاموات والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اى الآلهة
ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله ع أأنت قلت للناس اتخذونى وامى

الهين من دون الله أى الله ثلثة ادعى انهم يقولون الله ثالث اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه لما سبق تأتوا الله الها واحدا اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما
سبحانه ان يكون له ولد استجحد تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعاد له مثل
وينقرض اليه فناء له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك
فيتخذ ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كان فى ذلك مستغن عمن يخلفه
او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا تحينته باصبعك
كيلا يرى ان عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف
يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روعان وقد تجرأ ان قالوا الزائر
سول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ أقول
قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا
الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا
عبيدا ولا يحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال السماكة لزم النصارى
فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى
درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية
للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا حجة ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله
اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين
هم حول العرش ومن اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا
يستلزم تفضيل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبا
دته ويستكبر يرفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما
يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا

فجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للجازات العامة المدلول عليها من فحوى
الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا ليوم يحشر العباد للجازاة فاما الذين
امنوا بالله وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اى جزاء اعمالهم ويزيدهم
مقابلها تفضلا واحسانا اليهم تعذيبا لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن
اى جاءكم ما لا مزيد عليه من العقل والنقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الذين
او رسول الله والقرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة
منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا اقتضاء لحق واجب وفضل احسان الله
عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام او الطريق
فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال انى كلالة فكيف اصنع فى
مالى فنزلت وهى آخر ما نزل فى الاحكام قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها فى اوائل
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل
يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل
الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانها جعلت اخوها عصبة وابن
الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء
غير ابن عباس انها لا ترث النصف وهو يرثها اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بهما جميع ما لهما والا فالمراد به الذكر اذ
البنت لا يحجب الاخ والآية كالمدل على سقوط الاخوة بغير الولد لدلالتها على عدم سقوطهم
به وقد ثبت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله ان امرؤ هلك يفتيكم فى الكلالة
ان فسرت بمن لا ولد له فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضميران يرث الاخوة
وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنهما بالتثنية التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد

ونساءهم

دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم
ضلالكم الذى من شانكم اذا خليتم وطبعكم لتحترزوا عنه وقيل لئلا تضلوا او
يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا عنه او هو قول
الكوفيين والله بكل شئ عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قراء سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا
واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله من الذين يجاوز
عنهم سورة المائدة مدنية وهى مائة واثنتان وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق فالحليفة قوم اذا عقدوا عقدا جازهم شدوا العنايح وشدوا فوقه
الكرى واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التى عقدها الله على عباده والتى عقدها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوها ثم امر بالجاب الوفاء به او بحسن ان الله الامر على الاشراك
بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حى
لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والوحشى بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هنا المراد بالبهيمة ونحوها مما لم يحل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها
الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقولك حرمت
عليكم الميتة والا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم
وقيل من واو اوفوا وقيل الاستثناء وفيه تعسف والصيد المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد
من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع شعيرة

ويحى اسمها اشعارا بجعل شعائرا ستى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات آلمنسك واعلام النسك وقلايد دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرايضه التى تعبد بها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او الاشهر الحرم ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى وجمع جدية السرج ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى من احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفاقا وربما استشكل تعرض من هذا شانه والتنبيه على الخايف لو قيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان بينهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد اشتار فى سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ يبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد زوال المحرم ولا يلزم من زوال المحرم زوال اباحة ما اباحه المحرم بل الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على الفاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم لا يحملنكم ولا يكسبنكم شناءن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول والفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كالكتابين وقيل بمعنى بغيض قوم وشغلان فى النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية فقراء ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اثنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعتدى الى واحد والى اثنين كسب ومن قراء يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعولين الى المفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على

الاثم والعدوان للتشفى والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه لمن حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير التذكية والدم اى الدم المسفوح كقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة اى التى ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى ماتت من وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من علو او فى بئر فماتت والنطيحة التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت منه لم تحل الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة فى الشرع تقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهى حجارة كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل جمع الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مستعنى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما قسم لغيرهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالقداح على الانصباء المعلومة واحد الازلام زلم كجمل وزلم كرجل ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلالا لاعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد به ما يعم سائر المحرمات اليوم لتعدد به يوما بعينه وانما اريد الى حاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل الى يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بغلبة الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون ولخلوص الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم

بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوفيق على
اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق واكمال
الدين وبفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا
من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما
اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهوان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من المحرمات هذه
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مايل اليه بان يأكلها تلذذا
او مجاوزا لحد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله
يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
في ماذا وانما قالوا لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك لفظ الغيبة وكلا الامرين
سائغ في مقالهم والمسؤول احل لهم من المطاعم كانهم لما علموا انهم محرم عليهم
سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة وانشفر
عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يرد نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما
علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اصلها
جمع جارحة من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اباة الصيد والكلب مؤدب الجوارح
ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون الزمه وآثر اولان كل سبع
يسمى كلبا كقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال ممن علمتم
وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية واستيناف مما علمكم الله
من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله ومكتسب بالعقل الذي هو منح
منه وما علمكم ان تعلموهن من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل
منه كقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه

والمحصنات من المومنات
الحراير العفائف وخصصن
بعثت على ما هو الاولى ح

والى ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير ولما امسكن
بمعنى تمسكوا عليه اذا ادركتم ذكوتموه واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما
جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم تناول المذبوح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رد نصارى بني تغلب
وقالوا ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يحل بما الجوس في ذلك وان
الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير اكلي
ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وكما
ابن عباس كنحاة الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتانها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مستترين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرايع الاسلام والكفر به انكارها والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا
قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر
اليها بحيث لا يشغله الفعل عن الارادة واذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام
اليه قصده لها وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على
خلافه لما روى انه عليه السلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه
السلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا
الماء عليه وكاحتياجه الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره

والى

وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يتّق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق
اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا
دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها للحكم بوجوبها
احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية لقوله
فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية
وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين
قولك مسحت المنديل والمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الا
لصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو
قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقولك واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب
فاوجب الشافعي رضي الله عنه ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضي الله عنه ربع الرأس
لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضي الله عنه الكل اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والجر بدا ذا المسح لم يحد وجره الباء
قرن على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور عين بالجر
في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدة التنبيه
على انه ينبغي ان يقصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه
وبين اخويه اياء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا
فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم
ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفر للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوز كالتطهير
بالماء فمفعولا يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد

الله

الله ان يجعل عليكم من حرج حتى يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان
ان لا يفقد بعد المزية وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهر لابدانكم ومكفر لذنوبكم
نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه اتمامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية
مشتملة على سبعة امور كلها مثنى لها ان اصل اليد والرجل ان يستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل المحدود وغير المحدود وان كلتيهما مأمور
وحامد وموجبها حدث اصغر واكبر وان الماء للحدث الاصغر والاكبر والبدل التراب او سفر وان الموجود
عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وتزيدكم
في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ليلة
العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في اثناء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات
الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعداء بعلى لتضمنه معنى الحمل
والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو
اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى فجرح لهم الامر بالعدل وبين بما كان من
التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وكرر
هذا الحكم تأكيدا لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثانيا في مفعول وعد استغناء بقولهم مغفرة
فانها استئناف يبين به وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد يضارع من القول وكانه
قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا
من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء لحق الدعوة وفيه مزيد حث

للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا
رسول الله واصحابه بعسفان فاموا ان يقوموا عليهم صفا فاصلوا بهم صلاة الظهر معا فقالوا لو كنا حملنا عليهم
ان يواقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرقة الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى
ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الحلفاء الا ربعة
يستعرضهم لدية قتيلين قتلهما عمرو بن امية الضمري تحسبهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه واهموا بقتله فهم عمرو بن جحاش الرحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل تبدد رسول الله منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال لم تخافني فقال الله
فاسقط جبريل من يدي واخذ الرسول وقال من يمنعك مني فقال كل احد اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل
والاهلاك بقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم
عنكم منعها ان تمتد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فانه الكافي لاصالة التوكل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا شاهدا من كل سبط يتقبب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم
بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان ينكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا
وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاتى نادي موسى ان يأخذ من كل سبط
كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسارهم
فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتحسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وقالا لله اني معكم بالنصرة
لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
وأصله المنع ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير

وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر
بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا اشتباه فيه ولا عذر معه لمخالف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة
وشوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تتفعل عن الآيات والنذر
وقراءة حمزة والكسائي قسية وهما لغتان كالعربية والعروبية او بمعنى ردية من قولهم
درهم قسي اذا كان مغشوشا او هو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية بابتاع القاف للتسيين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة
قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول
لعناهم او من القلوب اذ الضمير فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من
التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما
روي ان ابن مسعود قال قد نسي المرء بعض العلم والمعصية ولا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عاداتهم وعادة اسلافهم لا تزال تجدد لك منهم الا قليلا منهم لم يحولوا
وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم
ان تابوا واسلموا وعاهدوا والتوا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الجاني احسان
فضلا عن العفو عن ضربه ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي اخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا
نصارى قوم اخذنا ميثاقهم فالقوا الخ وقيل على انهم سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشيء اذا لصق به

بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وخاطب الكتاب كالجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم
في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يجر به
اذا لم تضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا تؤاخذ بجرمه قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير
لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل
السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور
من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته وتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا آلهة الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله
شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور ومقهور
قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو معزل عن الالوهية ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير اذ احاطة
ملكه وقدرته بما عرضهم من الشبهة في امر المسيح والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما
خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل البين من جنسه كآدم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر واحد كحوا او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه

اشياع

اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع الزبير الخبيبون او مقربون عنده
قرب الاولاد من الوالد ومن الدين وقد سبق ليخ ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم
يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل
ما يوجب تعذيبه وقد عذبتم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من
آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر
الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه
خلقا وملكا اليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف للظهور او الجملة تمم حذف لتقدم ذكره ويجوز
ان لا يقدر مفعول على معنى وبين لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
او بيان حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير متعلق بمحذوف اي كراهة
ان تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال متتابعا فعل بين
موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال
على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون
سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل واحد من العرب خالد بن سنان العنبسي وفي
الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون
اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فانر
شدكم ونشر فكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم
ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد كان فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى
قتلوا بحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
وجعلهم ملاكين لانفسهم وامورهم تسامهم ملوكا واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتيهم وقيل المراد العالمين

عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حواليه وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا
لكم ولكن ان آمنتم واطعتم فلو لهم جعلها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم
ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قبل لما سمعوا احالهم من النقباء بكوا وقالوا
ليتنا متنا بمصر تمنوا الموت بغتة لما رأوا ما يتضرف بنا الى مصر ولا ترتدوا في دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على
العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبون لا يتأتى لنا
مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو ولبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى
المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير ويخوفهم الوعيد
انعم الله عليهما بالايمان والتهيب وهو صفة ثانية لرجلين واعترض ادخلوا عليهم الباب
باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاستطراد فاذا دخلتموه فانكم
غالبون لتعذر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها وكثر
ان يكون علمها بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او تعالما من عادته تعالى في نصر
رسله ومعاهدا من صنيعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولها على التأبيد
كيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقدير
اذهب انت وربك يعينك قال رب لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه

وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يثق معه موافق يثق به غير هرون
والرجلان المذكوران وانما كانا يوافقانه لما رتب عليهما لما كابد من تلون قومه ومحوران يراد
باخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويجوز نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه
عطفا على الضمير في لا املك وعلى اي واسمها وجر عندا لكوفيين عطفا على الضمير في
نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا ما نستحقه وتحكم عليهم
بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة
يتيهون في الارض عاملا للظرف لما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا خلاف
قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه والما احتضر اخبرهم
بما يفتح يوشع بعده بنحو واق الله اثرهم بقتال الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل
وأما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل
لم يبطل الارض المقدسة احد من قال ان ندخلها بل هلكوا في التيه واما قائل
الجبابرة او لادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من
الصباح الى المساء فاذا هم حيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود
من نور يظلهم بالليل فمضى لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماءهم من الحجر الذي يحملونه
والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انكان ذلك زوجا لهما وزيادة في
درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعد بسنة ثم دخل يوشع اريحا
بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل او يحيى الله آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر
فسخطه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن يتقبل قربانه فله ترزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد

بهما ابنا آدم لصلبه واتما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل الخ
صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اى ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل على
حذف مضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب بها الى
الله من ذبيحة او غيرها كالحلوان اسم ما يحلى اى يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك
لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قبل كان قابيل صاحب زرع وقرب
اردأ ما عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى خسيس ما عنده قال لاقتلنك
يوعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
في جوابه اى انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة
الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في ازالة حظه فانه ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من متق لئن
بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب
العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم لخوفه من الله
لان الدفع لم يبح بعد او تحرجا لما هو الافضل فاسلك انت المسلك الاحسن كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد نفسك القاتل وانما قال ما انا باسط في جواب لئن بسطت لتتبرى عن هذا
الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل
لامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحتمل اثمي
لو بسطت اليك يدي وانت بسط الي يدك الى ان تبوء اثمي مما فعلا او فعلي الباري مما لم
يعتد المظلوم وقيل معناه اني اريد ان تبوء باثمي قتلي واثمك الذي لم تتقبل من اجله قربانك وكلاهما
في موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصيته اخيه وشقاوته لما قصد بهذا
فطوعت له نفسه قتل اخيه فشجعته له ووسعته من طاع له

الكلام الى ان ذلك اذا كان لا محالة
واقعا فاريد ان يكون لا لاني اريد
بالذات ان لا يكون له الا ان يكون
لاخيه ويجوز ان يكون المراد
بالاثم عقوبته وارادة عقاب
المعاصي جائز ه ح ح ح

المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على الاصل فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاة
الا قدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين
حيث من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو
ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في مواضع المسجد الاعظم فبعث
الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في
امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او
للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه
جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف
فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلاكة
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا هتدي الى ما اهتدى
اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالنصب على فاني اواري وعلى تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابده من التحير في امره وحمله على دفنه ستة واكثر على ما قيل وتلافي
الغراب واسوءتاه ولويله وتراءا ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله آدم عن
اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وشاربي عنه
ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه
استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جرائك فعلت اي من ان جررتها اي جنيته ثم
اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاءه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا
من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجراء الناس عليه او من حيث ان قتل

الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع عن القتل واستنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما تعاطى ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم النفس
وتحريمها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اى
ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثالك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل الآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كيما عنها كثير منهم يسرفون
في الارض القتل والايذاء به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف اتباعه
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد
به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالسوصية وان كانت في مصر ويسعون في
الارض فسادا اى مفسدين ومحوز نصبه على العلة والمصدر لان سعيهم كان فسادا
كانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اى من غير صلب او فردوا القتل
او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذ والمال وللقتل خلاف في انه يقتل
ويصلب او يصلب حيا ويترك ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
بقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض
ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع اذا قصدوا على الاخافة وفسر
ابو حنيفة النفي بالحبس وانى في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير
بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم
في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله
غفور رحيم ما القتل قصاصا فان الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان

اسقطت

اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة
قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اى
ما تتوسلون به الى نواله والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى
كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله حثا
على محاربة اعداء الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة
بمحذوف يستدعيه لو اذا التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به
والمذكور شيآن اما لاجراء مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان
الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة
تمثيل لزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح
بالمفهوم منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدلا
وما يخرجون للبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد
الفاء للسببية دخلت الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ
بالنصب وهو المختار في مثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار او نويا والسرقة اخذ
مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما
يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاد
وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي
الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك شاع وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بثنية المضاف اليه والايدي اسم تمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتى بسارق

فمن شاء فليطلب منه

فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبا على المفعول له والمصدر
ودل على فعلها فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
اى سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات والعزم ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند
الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب
للنبى ولكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير
قدم التعذيب على المغفرة آيئا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم
او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى
الكفر اى صنع الذين يتعاطون فى الكفر سريعا فى اظهاره اذا وجد وا منه فرصة من
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحالية والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن الذين هادوا قوم سماعون واللام فى للكذب لتا
كيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفترونه للاخبار واللعلة و
المفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيما سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى
على الوصفين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللاتهاء اليهم
ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لا ان سماعون الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم
آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يبدلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها
اما لفظا باهمالها او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير موردها والجملة
صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع لها وفى توسيط
الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون الكلم ذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا
المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم توتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا

قبول

قبولها افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوا مع قومهم الى نفر يقرظة ليسألوا رسول الله عنه وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجاء ابن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له اننشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور واغرق آل فرعون والمذكرك عليك كتابه حلاله وحرامه هل تجد فيه
الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
من الله ضلالته او فضيحته فلن تملك له شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كالتوى نص على فساد قول المعتزلة لهم
فى الدنيا خزى هو ان الجزية والطوف من المؤمنين ولهم فى الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استئنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين
سماعون للكذب كرر للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته
اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب فى
المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض وهذا قبل ان يوتحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم
وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لالتزامه الذمة
ودفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا بان يعاد وك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امرك الله به ان الله يحب المقسطين
فيعظمهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله يتعجب
من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم

وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كمئاة ودواة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف به ما اشتبه عليهم من الاحكام يحكم بها النبيون بعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ ويهدن الاية تمثك القائلين الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او يحكم اي يحكمون بها في محاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياءهم والربانيون والاحبار رؤساءهم وعلماءهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والرابع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يثبتون ما يخفى منه كما نعلان بصوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون تكفرهم لانكارهم وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم تمحنه وبجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع من الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لانصافها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا عليهم في التورية فيها في التورية ان النفس بالنفس ان كان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها

جملة معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تفعان على الجمل كما تقول وجعل يستأنفه ومعناها فكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن وعلى ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور وحال مبتدئة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمالي للحكم بعد التفصيل فمن تصدق به من المستحقين بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل الجاني يسقط عنه ما لزمه فهو كفارة له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعنا هم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم منصوبان عدي الى المفعول بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاولين اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ ان يحكم على ان ان موصولة بالامر كقولهم امرتك بان قم وامرنا بان نحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه وعن الايمان ان كان مشبها به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة بعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحمله على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فان اللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على ما نزل الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى والحقاظ

فلكل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما
جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا
تنحرف وحال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها
الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء يشبه بها الدين لانه طريق الى ما
هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من
نهج الامر اذا وضح واستدل به على انكار غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ
وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء لالجأكم
عكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتيكم من الشرايع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين بانها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكم الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اى انزل اليك ملتبسا بالحق وبان احكم وبحوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اى ان يصدوك ويصرفوك عنه وان صلته بدل الاشتمال من هم بدل الاحذر فتنتهم
او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان اخبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى
محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا اخبار اليهود واتا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم فتقضى لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل اليك
واردوا به غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى بحكم الله

فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة كعبر وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قوله لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
منها وان كثيرا من الناس لفاسقون لتمردون فى الكفر المعتدون فيه افحكم الجاهلية
يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة التى هى
متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان
يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ بالتاء على الخطاب وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ وبيغون
خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف
ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حكم الحكام الجاهليه يحكم بحسب
شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء باطاريفها فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض اما بالعلة
النهى فانهم متفقون على خلافكم تولى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على
معاداتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن الامم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد
فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما اولان الموالى لهم كانوا
منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المومنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى
واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان يقلب الامر
ويكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من
ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابراء من ولاية

مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يو
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقاتلهم الوحشي قاتل
حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث الله رسوله عليه السلام خالدا فهزمهم بعد القتال الى
الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي مصداق بكر رضي الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان
قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل
بالبحرين قوم الحطم وكفى الله تعالى اصبغ على يده وفي اسرارة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر
وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم من اليمن لما روي انه عليه السلام
اشار الى ابي موسى وقال هم قومك هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب عليه السلام
يده على عاتق سلمان وقال وذويه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الغاث من النخع و
خمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس والواجع الى من يحذون تقديره
فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا
وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد لله تعالى ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على
المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذليل فان جمعه ذلل واستعمالهم على
انه للتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبعهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم او للمقابلة اغرة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب
على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اغرة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون يعني انهم الجماعون بين الجهاد في سبيل الله والتصلب في
دينه او حال يعني انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون وتبين
المسلمين خائفين ملامة اولياءهم من اليهود فلا يعلون شيئا يلحق به لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما يعقبه تقدم
من الاوصاف فضل الله يوتيه من يشاء بمحضه ويوفقه والله واسع كثير الفضل

كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتدبر

من لوم اللوامين اللوام

مولاي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسوله الله على اعدائه واظهار المسلمين
او امر من عنده يقطع غائلة اليهود من القتل والاجلاء والامر باظهار اسرارهم
ففين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه تمايتحسر على ما فاتهم ويقول الذين امنوا
بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على الكلام مبتدا ويؤيده قراءة ابن كثير وابي
وابن عامر مرفوعا بغير واو على الجواب كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حين ترى ذلك بالنصب قراءة
ابن عمر ويعقوب عطفا على ان يأتي اعتبارا للمعنى وكانه قال عسى ان يأتي بالفتح ويقول
الذين امنوا او بجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر عما ضمنه من الحدث
او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان يأتي به
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون
بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتخطئة بما سترت الله عليهم من الاخلاص
او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم
لنكونن معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال
على تقدير واقسموا بالله مجتهدين في ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة وعلى المصدر كانه بمعنى اقسموا احبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين اتما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
امنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل مع وابن عامر وهو كذلك في الامام
والشاميون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها
وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق
مذحج وكان رئيسهم ذا الخمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله
فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول
في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب

علم من هو ناصره انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهاهم عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بموالاتهم وليكم وما يقوم مقامه ليأتي ثم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله و للمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون مخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بتوتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعته اليه وانما ذكرت في عليّ حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان الراد بالولي المتولي للامور المستحق للتصرف فيهم وظاهره ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله حينئذ بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيستحقوا ما استحق وعلى هذا يكون دليلا على الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتولهم فهو لا محالة منهم لان حزب الله هم الغالبون وتنويهما بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يتولى غيرهم ولا بد من نزول الشيطان واصل الكلام لقوم يجتمعون لامر خطير يهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزل في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا واعلى ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى فحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المعاصي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة ولا

والذين امنوا

المعاداة

المعاداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب ودخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يودي الى الجهل بالحق والمروءة والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون بقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقادان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او علما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امتنا قليلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي و لا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب لليهود او نسأل وا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به فقال ومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المذكور مثوبة عند الله جزاء اتانا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانتهاكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وايم اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صله من اه وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بحذف صار معبودا

483

فيكون الراجح محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على الاضافة
كقطن ويقظ وعبد الطاغوت على انه جمع كخدم آوان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرأ وعُبّد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت الجبت
وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا وأضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا المشاركة
الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاءوكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله
او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا
لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا او بالكفر وبه حالان من فاعل
دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقرب الماضى من الحال يبعد ان يقع حالا افادت ايضا لما
فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال تجا
والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر ونيته وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود
او المنافقين يسارعون فى الاثم اى المحرم وقيل الكذب لقولهم الاثم والعدوان الظلم او
مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى
الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا يعلوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تخصيص لعلمائهم على الزجر عن ذلك فان لولا اذا دخل
الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون المعنى من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحرّى اجادة و
لذلك ذمّ بخواصهم ولان تركه الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وقيل
البئما ولا كذلك تركه لانكاره عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة
اى هو ممتنع بقدر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود والمقصد فيه الى اثبات
وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الجواد بسط اليدين نوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازاة المركبة شابت له الليل وقيل معناه

فقير

فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلّت ايديهم ولعنوا
بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلّلون
اسارى فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك ستبنى سبت الله دابر بل يداه مبسوطتان تثنية اليد مبالغة فى الرد ونفى
البخل اثبات لغاية الجود فان غاية ما يبذل السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على
منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد
لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته
لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر
لانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرها لذلك والاية نزلت
فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة
بشوم تلذيبهم محمدا ع واشراك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا
منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا
وكفرا اتما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا توافق قلوبهم ولا تطابق اقوالهم
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما اراد واحرب الرسول وانارة شر عليه
رد هم الله تعالى بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما اراد واحرب احد
غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط
عليهم فسطوس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون فى الارض فسادا اى
للفساد او واضعا دهم فى الكيد وانارة الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب
المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد ع وما جاء به واتقوا
ما عددنا من معاصيهم ونحو لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وتقييده فيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم

فطرس ع

189

وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انه
اقام التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلوة والسلام والقيام
وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة فانها مرجعية انهم مكلفون بالايمان
بها كما نزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اوسع عليهم ارزاقهم
بان يفرض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او
يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجرة ويلتقطونها ساقطة على الارض
بيد ذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا
ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة
متوسطة فى عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اى بئس ما يعملونه وفيه مزيد التعجب
اى ما اسوأ اعمالهم وهو المعاندة وتحريف الحق واعراض عنه او الافراط فى العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا
خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته قط
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا
من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع
وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى والراحة لمعاذيره ان الله لا يهدى
القوم الكافرين لا يمكنهم ما يريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بعثنى الله برسالة فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى انك ان لم تبلغ رسالتى عذبتك
وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى
الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به

مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شئ اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه
باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان بحكمه فان الكتب الالهية بأسرها
آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها ومالم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا بتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك
عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما فى حيز ان
والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
كقوله فانى وقيارها لغريب وقوله والا فاعلموا انما انتم بغاة ما بقينا فى شقاق
اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كما عترض دل به على انه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يثبت عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح
كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرها
وخبر ان محذوف دل عليه ما بعده كقولك من عندنا وانت بماء عندك راض والرأى
مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا
لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
فى موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز
بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن
منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو ظاهر

190

والصابئون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها مصبيا بدل الهمزة الفا ومصبون لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا الشرع ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل واوسلنا اليهم
رسلا ليذكروهم ويبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم
من الشرايع وشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا
والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف واما جيء
بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
على ان ذلك دينهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الاى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ
ابو عمرو وحمزة والكاء وبعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون فخففت وحذف ضمير الشان واد خال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق
تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان وأن بما في حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عن الدين
او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم
اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا مرة اخرى وقرأ بالضم فيهما على ان الله عاملهم
وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل
من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف
اى العمى والصمم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع
والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفي اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اى اعبدوه مربوبي مثلكم فاعبدوا خالقي
وخالقكم انه من يشرك بالله اى في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد
حرم الله عليه الجنة بمنع مزد خولها كما يمنع المحرم عليه من الحرم فانها دار الموحدين ومأواه
النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم
من النار فوضع الظالمون موضع الضمير تسجيلا عليهم انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق
الحق وهو يجوز ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى تقريرا

على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاريهم بذلك ومخاصمهم فيه
فاطنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلثة وهو حكاية بما
قالته النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية
القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة
من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قولي الشركة ومن
من بدع للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع
ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب حاق من دام على الكفر ولم ينقطع عنه
فلذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن
تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول
بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم وينجيهم من فضله ان تابوا وفي هذا
الاستفهام تعجيب من سكوتهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فلا داعي للغلو في امره فقد اجري العصا حية
تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب والله خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير
اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق ويصدقن
الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا افصح بالهام الكمال
ودل على انه لا يوجب لها اولوهية لان كثيرا من الناس يشاركها في مثله ثم نبه على نقصها
وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكون من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب من يدعي الربوبية
لها مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت بين العجبين اى بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى والله ملك ذلك
بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة

عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة فقبل المجانسة والمشاركة فيعزل
عن الالوهية وانما قدم الضلال التحرز عنه اذهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم
بالاقوال والعقايد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فتفرطوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا
انه غير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في شريعتهم
واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل
الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه ونبغوا عليه وقيل الاولان اشارة
الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاءهم به الشرع لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله في الزبور والانجيل على انهما
وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة
واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خاسئين كذلك
خنازير وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر الف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اى لا ينهى بعضهم بعضا عادة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر اراده وافعله
وتهيؤا له او لا ينهون عنه من قولهم تناهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين
كفروا يوالون المشركين بعضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت
لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي
العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط والخلود ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي يعنى نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام
وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون

خارجون

خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن يا اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتمادى غيهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى
التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة
اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او بتواضعهم ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل واعراضه عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
هو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض
انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا والتبعيض
فان بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا
امنا بذلك اى بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق
او بنبوته او من امته الذين هم شهداء الله على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفاء الامرين مع قيام الداعي وهو الطمع في الاخر اط مع الصالحين
والدخول في صلاحهم وجواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن من حال من الضمير والعامل ما في اللام
من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعليلا ونطمع عطف
على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا
بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقادهم قولك هذا قول فلان اى معتقده
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روى انها نزلت

مثلثين بيع

192

في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي
طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف للتكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه كانه
لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات
عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم
داعية الى المقصد بينها روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه
يوما وما بالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان
لا يزالوا صائمين وان لا ينامو على الفرش وان لا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم امر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم
والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اى وكلوا مما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا لا مفعولا لكلوا مما رزقكم
الله حالا من الضمير تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
ويجوز ان يكون مفعولا لكلوا وحلالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة
لمصدر محذوف وعلى الوجوه اولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة

واتقوا

واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم كما وعد وامن المرء بالقصد
كقول الرجل لا والله وبلى والله والية ذهب الشافعي رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك
ولم يكن والية ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لا مصدر او حال
منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر في رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اى الفعلة التي تدانيه اثمه وتستره والمستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال
قبل الحنث وهو عندنا خلاف الحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو عند لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ
اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط
ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع كقميص او رداء وازار وقرئ
بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم
اسرافا وتقتيرا تأسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق امرئ وشرط الشافعي رحمه الله
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا
وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اى واحد منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته
صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم يرد سنة ذلك اى المذكور كفارة
ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل احد

او بان تبرؤا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا اشتهتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها اول السورة رجس اى قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه للخمر وغير المعطوفات محذوف او المضاف المحذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه سبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او للاخير او للتعاطى لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان جعلهما بانفسهما رجسا وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما يجب اوغالب واضربالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم فرد لذلك بانين مافيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد لتعظيمها والايذان بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او فى الفتيهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحات ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا واثبتوا

على اتقاء المعاصى واحسنوا وخصوا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الاولى التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى المرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما ينبغى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشئ وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محبوبا ومن صار محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى شئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او نعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اى محرمون جمع حرام كرداح ورداح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من تنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلحق حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والا كثر على ان ذكره

ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واجب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قرأة الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء بمثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يستوف بها وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء بمثل ما قتل او فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي بخير بين ان يهدي ما قيمته فيهمه وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ بخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول او فوق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضمير في جزاء ومنه اذا اضيفته او وصفته ورفعته بجزاء قدر لمن وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد فحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او جزاء وان لون للتخصيص بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بالغ الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة بذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء وان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي ان يكفر باطعام مساكين ما كان قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما يراه من الصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطعم للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصيامها تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بجزاء اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم

ليذوق

ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام او ثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه الكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسياراتكم تتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سوغ تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم فيعلم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر الرسول الى بما امر به

من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين
الردئي من الأشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك
كثرة الخبيث فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان الجيد القليل خير من الرديء
الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم
الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تظهر لكم تفكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وها كفعلتين تتباينان
ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه والشياء اسم جمع كطرفاء وغيرانه قلبت
لامه فجعلت لفعاء وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت
ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونا ما تركتكم
فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون
عنه مما لا يعنيهم فقال لا تسألوني عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار
وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغير فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة
التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
ليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا لها ولا خبرا عنها ثم اضمحوا بها

كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ورد انكارا لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة
خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب
وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا
وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن
حرموا ظهره ولم يمنعوه ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل
ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون
اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من النهي ولكنهم يقلدون ولذلك اتبعوهم فيه
ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا
به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصورعقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اليه والحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل
على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى
الانكار على الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار
المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك انفسكم وقرأ بالرفع على الابتداء لا يضركم ضلال
اذا اهتديتم يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يحزنون على الكفرة
ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له اسفهت آباءك فنزلت ولا موه
ولا يضركم بجزم الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرأ لا يضيركم والجزم على الجواب

او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قرأة
من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا
يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد
بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف للاتساع وقرأ شهادة بالنصب
والتنوين على ايقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت امارته وهو ظرف للشهادة
حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف
حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم
ومن المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير
باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادتهم على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض
اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعترض
فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كان في السفر فمن غيركم
او استئناف كانه قيل كيف نعمل اذا ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة
صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل ان
صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا نقسم
عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان
المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اى
الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ بالله بالمد على
حذف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا قرئ للآثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام واتمام
النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف

فآخران

فآخران شاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم
وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقربهما
ومعرفتهما وهو جمع محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل
منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر من عاصم الاولين على انه
صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية
وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اصدق منهما واولى بان تقبل وما اعتدينا اى وما تجاوزنا فيها الحق
انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق والظالمين انفسهم اذا اعتدينا
ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او
دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم
ثم ان وقع نزاع او ارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان
الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصدق بقول الوصي باليمين
لامانته او لتغليبا للدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام فتجرا
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه لم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا
متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وحلى سبيلهما ثم وجدوا الاناء
في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا اقد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقر به فرفعوها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان عثر
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد

ولا يعارض يمينه

لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهدين ان يأتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لان حكم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى لا يلطف بهم لتوغلهم فى الفسق او لا يهديهم الى الجنة فقولوا تعالى يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا
بدل اشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب
باضمار اذكر فيقول اى لرسل ماذا اجبتم اى اجابة ايجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر
او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال للتوبيخ لقومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ
الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب
فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم
وورد الامر لهم على ما كابدوا منهم وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا رأسا حقوا
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قدم بقوله انك انت اى لذلك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة
الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة وناديا اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال
الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون
فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه
وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس بحياة
ابدية وتعلم من الاسلام ويؤيد قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا
والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاصل حال فى الطفولة بحال الكهولة
فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سيعيش لانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتابة
والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون

طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره فى سورة آل عمران
وقرأ نافع ويعقوب طائرة بحذف الالف والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك بعنى اليهود حين
هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه
السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يحتمل
ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون مخلصون او قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على الداعى هل الا
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء بعد عن تحقيق واحكام معرفة وقيل
هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى
سؤال ربك والمعنى هل تسئله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام فاذا
لم يكن عليه طعام فهى سفرة وهى من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليها وتظرها قولهم شجرة مطعمة
قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوة او صوتم
فى ادعاء كم الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو
ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين او من الشاهدين للعين دون السامعين الخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى انهم غرضا صحيحا فى ذلك
او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكرامتها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد
او قرئ تكن على جواب الامر لنا واخرنا بدل من لنا باعادة الجار اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذ النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا واخرنا وقرئ
لاولنا واخرنا بحذف الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك
والمنة على الكافة رزقا وصحة نبوة وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين اى خير من

يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا غرض قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا وجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب اى انى اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم او لعالمين مطلقا فانهم مسخ قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس وشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال الشمعون يا روح الله امن طعام الدنيا او من طعام الاخرة فقال لم تنشأ هما ولكنه شئ اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا تزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغراء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مع عرة ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اجعل مائدتى للفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فنسخ منهم ثلاثمائة وثمانون رجلا وقيل لما وعدالله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعضهم الصورة المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها لاغذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا النفوس حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوافه قال لا جرا قترحوهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمل

مطلب كيفية المائدة

ليس بصحيح

ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة المدعو عبادة غيره كلا عبادة فمن عبد مع عبادتها فكأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عز وجل وكانه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك تعلم ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقيل فى نفسك للمشاكلة او المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتنى به مفسر بحيث ينفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او جر المضمر ومفعوله مثل هو او اعنى ويجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بالجملة تحكى بعد الا ان يؤول القول بالامر فكان ما امرتهم الا مثل ما امرتنى به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم تمنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتنى بالرفع الى السماء او بقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شئ شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما

مطلب بيان معنى التوفى

199

بفضل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وانك تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وجر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان الفتحة اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقالوا وما فيهن انتباعا لهم غيرا ولى العقلاء فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة لهم وتنبيها على الجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعد دكل يهودى ونصرانى يتنفس الدنيا

سورة الانعام مكية الا ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا الى قوله ما كانوا وهى مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق على هذا النعم الجسام حمدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلها فى ان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدم لها الشرف وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأها والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضيين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وافرد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها

وافرد النور وجمع الظلمات بيان

اولان المراد

اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديم النقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كما لا يخفى ليس صرف العدم حتى يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكونون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكوينهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفروا وعلى قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والآباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى بسببها به هو الذى خلقكم من طين اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق ابا كم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لمبدئها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الجار والاستثناء به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير واجزم عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداء الحياة فيها وابقائها ما شاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى واستخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير له والجملة خبر فى السموات والارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة جزءان او هى الخبر والله بدل ويجوز فى الظرفية كونه المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بعد

كما تعبدون

انه تعالى للكمال علما بما فيها كانه فيها وبعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالشر الجهر
ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالكتب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من
المعجزات او اية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم يعنى القرآن وهو كالعلة لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن
الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو
اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزئون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة
او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من زمان والقرن
مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق
في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقرارا
فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لهم ما لم نجعل
لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوى والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا
معزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فما شوقوا الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدا تا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى
انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين بعجز بهم بلا ده قدر ان يفعل
ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورقة فلمسوه بايديهم فرأوه وتحققوه
للدليل المزيل لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا نبقدمه الا بصار
حيث لا مانع ومقيده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يجوز به للتخيل كقولهم انا لمسنا السماء فقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا
انه نبي كقوله تعالى لولا انزل اليه فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم

وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا
لحق الهلاك بهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعلوا الباء للطلب والتحليل
للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقترحون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء
ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلناه قرينا لك ملكا بعينك او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل
جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته
وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم السلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا
بشر مثلكم وحيث لم يكن لهم بد من اللبس بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون فاحاط بهم الذى كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى
تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثارها لكن قل لمن ما في السموات والارض
خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والارسال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واخلالهم النظر اى ليجمعنكم في
القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شركم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من
الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين
نصب على الذم او رفع على الجزاء وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة
على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في

التقليد واغفال النظر اى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع على الايمان وله عطف على الله ما سكن
فى الليل والنهار من السكنى و نعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما
اشتمل عليه اومن السكون فيهما او يتحرك باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم واعمالهم قل اغير الله
اتخذ وليا انكار لان يتخذ غير الله وليا لان اتخاذ الولى فلذلك قدم واؤلى الهمزة والمراد بالولى
المعبود لانه رد لدعاء الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها
وجوه على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب وهو يطعم ولا
يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشرف الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض مالكهما انزه عن رتبة تليق بها
وبنائها للفاعل على انه الثانى من اطعم بمن استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على فلا قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم هو يوم القيامة او يوم بدر فى قطع اطماعهم وتعريض الرسل بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ
حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ بالوجهين والمفعول
محذوف او يومئذ مجرور المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة
وان يمسسك الله بضر بلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير
بنعمة الصحة وغنى فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على حفظك وادامته فلا يقدر غيره على ازالته كقوله
فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره
وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة عن ابن حنين قال قريش يا محمد
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس بايدينا ذكر ولا صفة فاخبرنا من يشهد لك انك
رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة

وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة

ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر
شئ شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن
بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من
الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لازم يؤاخذ بها من لم يبلغه انكم لتشهدون ان مع
الله آلهة اخرى تقريرا لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اكبل اشهد ان لا اله الا هو وانني برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب
بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكروا وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على
ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه الضير لا ينجح الظالمون فضلا
ممن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهو بلا امرتم تقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب نحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم
تزعمونهم اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم و
انهم حينئذ ليعتقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهد وهم ولكن
لم يفعلوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم يكن فتنتهم الا انه قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التى ينوهون ان يتخلصوا بها من فتن الذهب اذا خلصته وقبل جوابهم واضافته
فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمر وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم
ان قالوا وان ثنيت للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا
ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون
ربنا اخرجنا منها وقد يقضوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله

انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها حملة على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم
ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب
على النداء او المدح وصل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن
والمراد ابوسفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابوجهل واحبارهم اجتمعوا فسمعوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما
ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم
اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا ثقلا يمنع
من استماعه وقد تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستكبارهم المتقدم فيهم حتى اذا جاءوك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاءوك
يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل التى لا محل لها والجملة اذا وجوابها وهو يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين قال جعلها اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال المجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاءوك موضع الجر ويجادلونك جواب ولو يقول اتقيد ولا اساطير
الا باطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابو طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جواب محذوف اى ولو ترى حين يوقفون على النار رجح بعاينوها او يطلعون عليها او يمرون عليها
فيعرفون مقدارها بما لا يدرى امرا شنيعا وفرعا وقفوا على البناء للمفعول وقف عليه ووقفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم ربنا واعودا اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد
او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقولهم راجع الى نفس المتمنى من الوعد ونصبه بما بعد الواو
ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاخبار عن ارادة الايمان

وقد تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة

المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا مما
على انهم لو ردوا لا عادوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر
والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او
على ابتدا واستئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا عالمين قضاء ربهم
او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم
حينئذ والفجرة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب
قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لا بخلا والامر غاية الايضاح قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كفروا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا للخسران خسرانهم لا غاية له
بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فان بغتها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعال فهذا اوانك
على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة بعد فى شانها والباء
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاكتسابهم آصار الاثام الاساءة ما يزرون بئس
شيئا وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا ولا الدار
الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقرأ للذين يتقون بتنبيه
على ما يسر من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر والدار الآخرة افلا يعقلون
اى الامر بين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين
به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والباء فى الكتاب وقرئ ليحزنك من احزن فاعلم انه يكذبونك
فى الحقيقة وقرأ نافع والكتاب لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا ونسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم

ظلما بجحودهم او جحودا لتوبيخهم على الظلم والباء للتعدية لجحد معنى التكذيب روى ان اباجهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد الصبر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعزّ الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا بتنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل لهم آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة سلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها جاء بها ايمانهم ولو شاء الله جمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى لا يأتوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلن تتهالك عليه والمعتزلة اولوه صح بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من زيّ الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقولك اوالقى السمع وهو شهيد وهو لا كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل اية من ربه اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما نزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كتنفق الجبال وآية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها سيجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل عنده وجه عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة

ويخفضها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفي الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون لا يغير الامم كما فيتصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تنتفع به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات جمع ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الجار من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعدية الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال ارأيتوكم لان الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ ثانيا ارأيتكم وارأيتم وارايتم وافرايتم وافرأيتم وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة الخ بعد الراء والكشائي يحذفها اصلا والباقون يحققونها وجمزة اذا وقفوا فيقولون ارايت فما ان اتاكم عذاب الله كالآية من قبلكم او اتتكم الساعة وهو لها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو شبكت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء الا لحكمة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لان كثرة العقوبات توجب ان القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك

ومن ازائغ فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
العرو الآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع
وانه لا مانع لهم الا قوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ من انواع
النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين لوتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم
ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن واختلف يعقوب فيما عدا هذا
والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال
بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحيرون آيسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا
اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من المخلوقين
لاهل الارض من شؤم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ
الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان غطى عليها ماءين ولبه عقلكم
وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات
انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم
لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة
او جهرة بمقدماته امارة لوقوعه وقيل ليلا او نهارا وقيل بغتة وجهرة اصلا يهلك اى
ما يهلك به الا هلاك بحظ وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار فلم
نرسلهم ليقترح عليهم ويتهكموا بهم فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم مما يجب اصلاحه عليه ما شرع لهم

فلا خوف

فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا
تبيين العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم والمستغنى بتعريفه عن
التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن
الله معدة لرزقه او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليلا وهو من جملة
المقول ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او اقدر على ما لا يقدرون عليه انا اتبع الا
ما يوحى الى تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر رد الاستبعادهم
ودعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى او الجاهل
والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا
او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير للوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المقرون فى العلم او
المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مرتدا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الغارقين
الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا فان الخوف
هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى
بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية
لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وبلال
وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فعلنا نبتدئ ونقوم حتى نعرف ما تقول فانزل الله
فالنهى ورد ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وعلى
رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغداة هنا وفى الهف يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه الشعار بانه يقتضى اكرامهم
وتنبيها على ان اجارهم ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ اى ليس عليك
حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسببه لهم طمعا فى ايمانهم
لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما انتسبوا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن

غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحاربهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليهم
لا يتعداك اليهم وكما ما عليك من حسابهم من شيء فتطردهم جوابا للمشركين والمعنى لا تؤاخذ
بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطردهم ايذانا بانهم فطردهم فتصيد هم
وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب فيجيء
نظير كذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور
الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقد من اهدوا لاء الضعفاء على الاشراف قد سبقنا
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء ممن انعم الله عليهم بالهداية
والتوفيق لا يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار
لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اللام
للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى حزنا ليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه ويمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم ويبلغ سلام الله
اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون للفضيلة العلم
والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة
في الآخرة وقيل ان عمر قال جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عظاما
عليه شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتقرير الرحمة وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بالفتح على البدل منها بجعلها في موضع المثال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المفاسد كعمر رضي الله تعالى عنه فجاء شاريهم او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى العزم راجع افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعد العمل والسوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فحمة من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبرا اي فامره او فعله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع

بالتاء ونصب السبيل عاصم ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا
التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم
والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي
نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بالغلب لما من الادلة وانزال
علم الآيات في امر التوحيد ان الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما يعبدون من دون
الله او ما عندونها آلهة او تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب
للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهالهم وبيان لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس
بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة الى تفصيل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي والحجج العقلية او
ما يعمها من وحدة موقعة انه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذب به الضمير لربي
اي كذبتم به بحيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي تستعجلونه بقولكم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله
في تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويديره من قولهم قص الدرع
اذا صنعها فيما يقضيه من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع
الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقض من قض الاثر او القضاء وهو خير الفاصلين اي القاضين
قل لو ان عندي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم
وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفاتيح التي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيد ان قرئ مفاتح والمعنى
انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها او تاخيرها

من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم
الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف الاخبار عن تعلق علمه تعالى
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاصه العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها
مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب
المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة
او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من الشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان
اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم فيه يوقظكم لطلق البعث ترشيحا للتوفي
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المنقطع آخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه وقيل الاية خطاب
للكفرة والمعنى انكم ملقون كالطيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى يطلع
على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل
وكسب الاثام بالنهار ليقضي اجله الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة يحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم
ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمة المطلعين
عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرئ توفاه بالف مالة وهم
لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او انقصان
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق
وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين

يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمات للشدة لما شاركتها في الهول وانبطال الابصار فيقال
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم
بتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او علانا وسرا
وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون
لئن انجيتنا وقرئ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وعدل الشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها وشدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم
انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا تفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون
تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده ولم يعرفه قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما غرق
فرعون وخسف بقارون وقتيل من فوقكم كابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفذت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض
يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به
قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر وانا لا احفظ
لكل نبأ خبر يريد به اما العذاب والايعاد به مستقر وقت استقراره ووقوع وكونه تعلمون
عنه وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد
الضمير على معنى الايات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين

يفقهون بيان

من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شئ شئ مما يحاسبون
عليه من قبايح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى و
يمنعوهم عن الخوض وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر
والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم بايا ما ولا على شئ
من ذلك ولان من للتراد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تتثلم بمجالستهم
روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد
ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهي وتتبعوا
بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب واتخذوا
دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم
زمان لهوهم ولعب والمعنى اعرض ولا تبال باقصائهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ثم ومن جعله منسوخا بآية السيف حملا على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال
والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من
قرنه وبهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب و
ان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وبهنا الفداء
وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسندا الى منها ولا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ
منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب
اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تأكيد
وتفصيل لذلك والمعنى بهم بين ماء مغلى يتحرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب
كفرهم قل انعبد من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا مالا يقدر على نفعنا وضرنا
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فاقتدنا منه ورزقنا الاسلام

كالذى

استهوته الشياطين كالذى

كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ
حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى
استهوته او على المصدر اى رد امثاله الذى استهوته فى الارض حيران متحيرا ضالا عن
الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا فلان ان
هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العلمين
من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك وقيل هى بمعنى
الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اى لان نسلم
واقامة الصلاة او على وجهه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن
بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه و
اظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق
جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه
الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على
السموات او على الهاء واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر وفاعل
يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
وجدها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحيائها وله الملك يوم
ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو
عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالذى لكمة للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف
بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج والعلم منع صرفه لانه اعجمى جعل علما موازنا او
نعت مشتق من الازر او الوزر والاوزب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم

صنم بعبده فلقب به لملزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد بالصنم وبنصبه
بفعل مضمر بفسر ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تقريرا وتقريرا
او بدل عليه ان قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرئ يعقوب
بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر
الضلالة ولذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير تبصرة وهو حكاية حال ماضية
وقرئ نرى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه
للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او نفعلنا ذلك ليكون فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك
نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم
على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره
فابصر كوكبا فان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل
على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالابطال او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله لمن هو حديث عهد بالنظر او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الآفلين
فضلا عن عباد منهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى
الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى
ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستمكن بره فى درك الحق فانه لا يتدرج
اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية
وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة
لتذكير الخبر وصيانة للدليل عن شبهة التانيث هذا اكبر بكره استدلالا او اظهارا للشبهة
للخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث
يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى
دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما

من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته
ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه
وخاصموه فى التوحيد قالوا تحاجوني فى الله فى وحدانيته وقرئ نافع وابن عامر تخفيف
النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم
فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها
ولعل جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدهم بعذابها الا وسع ربى كل شئ علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يجئ فى مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر
ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشرك لم يصنع بالصانع
وتسوية بين المقدور والعاجز بالقادر القاهر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل به شيئا
كتابا او ولم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما يظهر
ايضا اما لهم احراز لمن تركبة نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه عليه السلام او من الله بالجواب عما
استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى انه لما نزلت شق ذلك على الصحابة فقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان بان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخطئ بهذه الفضيعة
الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها او علمناه
اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبحجتنا وقف ان جعل بدلا اى اتيناها ابراهيم
حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرئ الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هديا من قبل اى من قبل ابراهيم عد هذه نعمة
على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم

ذا الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم
اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثانية تعطف عليها نوحا
داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى
وهرون كذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع
درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل
على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح عليهما السلام
فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما السلام
كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع ابن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي واللبسع على الفرآنين على العجمي ادخل
عليه اللام كما ادخلها اليزيدي في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا سماه باسم العبادة كاهله *
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو لوط بن هاران ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل على افضليتهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على
كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم
من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا واهديناهم الى صراط
مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه وذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به مهدى به من يشاء
من عباده دليل على انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع
فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا لغيرهم في هبوط اعمالهم بسقوط
ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر
على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا
فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة عليهم
السلام اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم

فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من اصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا بكل التأسي
بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها فله في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل
مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ
او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسألهم من قبلي وثم البيتين وهذا من جملة ما امر
بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او العرض الا ذكرى للعالمين الا
تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم
رحمته وجلائل نعمه أو انكروا التسخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه
المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس *
وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانا قراءة الياء ابن كثير
وابو عمرو وحلا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء حالهم للتوراة وذمهم
على تجزئتها بابداء بعض وتخبؤ وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعضها كما يشهد له روي
ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهور ان الاقلعة عندهم وذلك كما يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم
زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
قل الله اي انزله الله والله انزله امره بان يجيب عنهم استعارا بان الجواب متعين لا يمكن
غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في الباطل

فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة بالعبوث حال من مرهم الاول والظرف صلة اذ هم
اول العبوث او حال من المفعول او قائما على العبوث او من هم الثاني والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى علة لما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر
او علة محذوف اي فلتنذروا ولام القرى انزلناه ولما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل
القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقبلة الارض دحيت من تحتها او لانها
كانت اول ما وضع من الارض وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي ليتذر الكتاب ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم
يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتفكر
حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد
الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة
والاسود العنسي واختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي
ولم يوح اليه شئ كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد
لله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلم
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي
اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول للدلالة الظرف عليه اي ولو ترى
الظالمين في غمرات الموت شدايده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي للفظا او العذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها
الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم واخرجوها من العذاب وخلصوها من
ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب
الهون اي الهوان يريد العذاب المختص لشدته واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه

وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كدعاء الشريك والولد او دعوى النبوة والوحي
كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تنقادون لها ولقد جئتمونا فرادى للحساب
والجزاء منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان
التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث كسكارى وقرئ فرادى كرخال وفراد
كذلك وقرئ كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدلا مما جاءونا على الهيئة التي ولدتهم عليها في الانفراد
او حالا ثانية ان جوز التعدد فيها او حالا من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة
حفاة غرلا او بتأويل ما وصفة مصدر محذوفا اي مجيئا كخلقنا كم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتموه منه شيئا ولم تحملوا
نفيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع
التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
للاسم قابلة عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم
ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي بريد به ما يعم
من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت ما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت الحي
ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم جريا على فالق الحب فان قولك يحيي الحي واقع
موقع البيان لفعله ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار
او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح
حتى سمي به الوقت وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
يسكن اليه لتعب النهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به
او يسكن فيه الخلق كما قال تعالى ومنه وتصبهم بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي

211

وبه قرأ علیه قراءة الکوفیین وجعل اللیل محلا علی معنی المعطوف علیه فان فالق بمعنی فلق ولذلک قرئ بها وبه علی ان المراد منه جعل مستمر فی الازمنة المختلفة وعلی هذا یجوز ان یکون والشمس والقمر عطفا علی محل اللیل وینبغی فواتحها بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع علی الابتداء والخبر محذوف ای مجعولان حسبانا ای علی ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات ویکونان علی الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح کالغفران بالکسر مصدر حسب بالکسر وقیل جمع حساب کشهاب ومنه یقال ذلک اعارة الجمع لها حسبانا ای ذلک التسییر الحساب العلوم تقدیر العزیز الذی قهر هما وسیرهما علی الوجه المخصوص العلیم بتدبیر ما لا نفع من التدویر الممکنة لهما وهو التفسیر الاکمل النجوم خلقها لکم لتهتدوا بها فی ظلمات البر والبحر فی تلمات اللیل فی البر والبحر واضافتها الیهما للملابسة او فی مشتبهات الطرق وشبهها ظلمات علی الاستعارة وهو او فاید لبعض منافعها بالذکر بعد ما اجملها بقوله لکم قد فصلنا الآیات بیناها تفصیلا لقوم یعلمون فانهم المنتفعون وهو الذی انشأکم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع ای فلکم استقرار فی الاصلاب او فوق الارض واستیداع فی الارحام او فی الارض او موضع استقرار واستیداع وقرأ ابن کثیر والبصریان بکسر القاف علی انه اسم فاعل والمستودع مفعول ای فمنکم قار ومنکم مستودع لان الاستقرار متأخر عن الاستیداع قد فصلنا الآیات لقوم یفقهون ذکر مع ذکر النجوم یعلمون لان امرها ظاهر وقع ذکر تخلیق بنی آدم یفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصریفهم بین احوال مختلفة دقیق فامعن یحتاج الی استعمال فطنة وتدقیق نظر وهو الذی انزل من السماء ماء من السحاب ومن جانب السماء فاخرجنا علی تلوین الخطاب به بالماء نبات کل شیء نبت کل صنف من النبات والمعنی اظهار القدرة فی نبات الانواع المختلفة بماء واحد کما فی قوله تسقی بماء واحد ونفضل بعضها علی بعض فی الاکل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شیئا اخضر یقال للاخضر وخضیر کما یقال للاسود حالک وحلیک وهو الخارج من الحبة المنتشب تخرج منه من الخضر حبا متراکبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اای واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل ینبت من طلعها قنوان ویجوز ان یکون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه

والمعنی وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاغذاق جمع قنو کصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف کذئب وذؤبان وبفتحها علی انها اسم جمع اذ لیس فعلان من ابنیة الجمع دانیة قریبة من المتناول او ملتفة قریب بعضها من بعض او انها اقتصر علی ذکرها عن مقابلها لانها علیها وزیادة النعمة فیها وجنات من اعناب عطف علی نبات کأنه قیل فاخرجنا به نبات کل شیء وقرئ بالرفع علی الابتداء ای ولکم او ثم جنات او من الکرم جنات ولا یجوز عطفه علی قنوان اذ العنب لا یخرج من النخل والزیتون والرمان ایضا عطف علی نبات او نصب علی الاختصاص لغرابة هذین الصنفین عندهم مشتبها وغیر متشابه حال من الرمان او من الجمیع ای بعض ذلک متشابه وبعضه غیر متشابه فی الهیئة والقدر واللون والطعم انظروا الی ثمره کل واحد من ذلک وقرأ حمزة والکسائی بضم الثاء والمیم وهو جمع ثمر کخشب وخشب وثمار کالتاء وکتب وکتاب اذا اثمر ای اخرج ثمره کیف یدبر امره قلیلا قلیلا الی ان ینتفع به وینعه والحال النضج او الی ان یصیر صالحا کیف یعود ذا نفع ولذة وهو فی الاصل مصدر ینعت الثمرة اذا ادرکت وقیل جمع یانع کتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فیه وینعه ان فی ذلک لآیات لقوم یؤمنون ای آیات علی وجود القادر الحکیم وتوحیده فان حدوث الاجناس المختلفة المتضادة من اصل واحد ونقلها من حال الی حال لا یکون الا بإحداث قادر یعلم تفاصیلها ویرجح ما یقتضیه حکمته مما یمکن من حولها ولا یعوقه عن فعله تدابر بعضه او ضد یعانده ولذلک عقبه بتوبیخ من اشرک به والرد علیه فقال وجعلوا لله شرکاء الجن ای الملائکة بان عبدوهم وقالوا الملائکة بنات الله وتسامهم جنا لاجتنانهم بحقیر الشأن لهم والشیاطین لانهم اطاعوهم کما یطاع الله وعبدوا الاوثان بتسویلهم وتحریضهم وقالوا الله خالق الخیر وکذا نافع والشیطان خالق الشر وکذا ضار کما هو رأی الثنویة ومفعولا جعل لله شرکاء والجن بدل من شرکاء او شرکاء الجن ولله متعلق بشرکاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع کأنه قیل من هم فقیل الجن بالجر علی الاضافة للتبیین وخلقهم حال بتقدیر وقد والمعنی وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن ولیس من یخلق کمن لا یخلق وقرئ وخلقهم عطفا علی الجبلة ای وما یجلقونه من الاصنام وعلی شرکاء ای وجعلوا له اختلاقهم للافک حیث نسبوه الیه وخرقوا له افتعلوا وافترؤا والوقف ثابت وقرأ نافع بتشدید الراء

للتكثير وقوى وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو والمصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو اول دليل اى مبتدعهما من غير احتذاء على مثال سبق بدع الشيء وابدعه احدثه لا على مثال يتبع والله تعالى بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثمت الغدير بمعنى انه عديم النظير فيها وقيل معناه المبتدع وقد سبق الكلام فيه وورد على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضم لله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل له لنظر في التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعات السموات والارض وبين مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فما ظنك بمن تعالى عنها او ان ولد الشيء يطير ولا يطير فلا ولد والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو لمن وجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق فلا كفاية والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى النجاح ما أبعد ربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار محيط علما بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار

لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالجساسة ولا يطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت به لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى انتفع الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وبالوبال عليها وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من النقيض وهو نقل الشيء من حال الى حال ليقولوا درست اى ليقولوا اتيتنا واتانا الاديان العاتقة والمدارس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر وحمزة وعاصم درست من الدرس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم ساطرا لاولين وقوى درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرس اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات او ذات درس كقولهم عيشة راضية ولنبينه اللام على اصلها لان التبيين مقصود التصريف والتصريف للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدبر به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع وحمل على الملتفت من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تتعرض لقولهم ولا تلتفت الى اذاهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا بفتحتين كالعدا فالعدو والعدوان والعداء وعدوا نادر وعلى انه جمع عدو كالكلم

كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يستبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة من امم الخير والشر اعمالهم كما زينا لهم عمله من الخير والشر احببنا ذلك منهم وحملناهم عليه توفيقا وتخذيلا وجوز تخصيص العمل بالشر وكلامه بالكفر لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سببه لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقارها وانها منهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها ينظم منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي والاقتراح وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآيات المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على ان الله تعالى انما لم يرض لها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل الآية بمعنى لعل اذ قرئ انها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبر عنهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم تمنوه بحسب امنيتهم طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعركم انها اذا جاءت فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حين لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بها اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونتركهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد للآمرة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فنرى ربنا او ياتي بالله والملائكة قبيلا قبيلا قبلا جمع قبيل اي كفلا كفلا عيانا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حالة من الاحوال الا حالة مشيئة الله ايمانهم وقيل متصل ومعناه لا يؤمنون بمشيئة ملجئة وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقترحون بالله جهدا يمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لان اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزولها طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كما جعلنا عدوك لك نبي سبقت عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا واول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي جعلنا لكل نبي عدوا مثل جعلنا عدوك لك يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الانس والجن الى بعض ويلقي بعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء والايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف والغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا او على محل يوحي علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما اليها كما فعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير الى الزخرف فعلوه ولير ضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق مني من المبطل وغير مفعول الابتغي وحكما حال منه ومحكما عكسه وكما ابلغ من حاكم فذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن بإعجازه وتقرير يغني عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاكيد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه

وانذروا الجميع فيدل الذين هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبيلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا الا بمشيئة الله القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حالة من الاحوال الا حالة مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهدا يمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لان اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزولها طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كما جعلنا عدوك لك نبي سبقت عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا واول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي جعلنا لكل نبي عدوا مثل جعلنا عدوك لك يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الانس والجن الى بعض ويلقي بعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء والايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف والغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا او على محل يوحي علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما اليها كما فعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير الى الزخرف فعلوه ولير ضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق مني من المبطل وغير مفعول الابتغي وحكما حال منه ومحكما عكسه وكما ابلغ من حاكم فذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن بإعجازه وتقرير يغني عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاكيد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه

ما عنده مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم
لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو ممكن منه اذ قد ثاقل وقال المراد مؤمنوا اهل الكتاب
وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزلا بالتشديد فلا تكونن من الممترين ذا نهم يعلمون ذلك
او ذا انه منزل تحقيقا لكثيرهم وكفرهم فيكون من باب التهييج كقولك لا تكونن من المشركين او خطاب
الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخبارا واحكاما صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما على التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر ان يجيء فيها بما هو
ناسخ لها كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له
لحافظون او لا بتي والكتاب بعضها ينسخها ويبدل احكامها وقراء الكوفيون ويعقوب
كلمة ربك اي ما تكلم به والقرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يخفى عليهم وان تطع
اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار والجهال واتباع الهوى وقيل الاكثر الخرص
منك يضلوك عن سبيل الله اي عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر يأمر الا بما فيه
ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق وجهلهم انهم وآراءهم
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة البحيرة وتحليل الميتة وتحريم البحائر ويقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اي بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل
عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك واستغنى بمتعلقه مرفوعة بالابتداء
والخبر صلة او الجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضل الله فيكون من منصوبة
بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قولهم من يضل الله ومن اضللت
انا وجدته ضالا والتفضيل في العلم او لحاظه بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه ولو
بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون

الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او ما حذف
انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احل الله واجتناب
ما حرم وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم ان تحرجوا عن اكله وما يمنعكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم بما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما
اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه يباح حينئذ لحاجة الاضطرار وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا
في المحانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا ونسيانا واليه
ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي خلافا لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان وانه لفسق وانه ليوحون
وانها ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله والضمير للاكل ويجوز ان يكون
للاكل المذكى على البناء للمفعول والشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وتحرمون ما قتله الله وهو بين التأويل
بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله لطاعة
غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به وانما حسن حذف العائد فيه لان الشرط بلفظ الماضي
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثلا من هداه الله ووفقه
من الضلال وجعل له نور الحق والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق
والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ وخبره في
الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل
وهو مثل لمن بقي على الضلالة ولا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين

مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عُمَر وعَمّار وابي جهل ۝ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيّرنا ومفعولاه اكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر مجرميها بدل ومجرميها بدل مضاف اليه
ان فسّر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الامران والمطابقة ولذلك قرئ
اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر بهم قوي على استتباع الناس والمكر بهم ۝ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ
لان وبال المكر يحيق بهم ۝ وَمَا يَشْعُرُونَ ذلك ۝ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ
مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ بعني كفار قريش لما رووا لنا اباجهل قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في حق
اذا مرا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه
فنزلت اللّٰه اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب المالي
وانما هي بفضل نفساني يختص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم
انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص من عاصم رسالته
سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ وهو الذل والحقارة بعد كبرهم عِندَ اللَّهِ يوم القيامة وقيل
في الدنيا بالقتل والسبي ۝ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ بسبب مكرهم ويمكر الله فمن يرد الله
أَن يَهْدِيَهُ يرد ان يوفقه للايمان يَشْرَحْ صَدْرَهُ للاسلام فيتسع له ويفسح
لمعارفه وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مستعارة مما يمنعه ويتأبى عليه
ومنه قولهم شرح الله صدره للخير ۝ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء
شبهة في مباينة الغاية فيما يحاوله ويمتنع عليه فان صعود السماء مما يمتنع
عن الاستطاعة وبنبه بر على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما

يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا لهرب منه واصل يصعد يتصعد وقرئ به
وقراءة ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصّاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره
ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم ووضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل ۝ وَهَٰذَا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او الى ما سبق من
التوفيق والخذلان ۝ صِرَاطُ رَبِّكَ الطريق الذي ارتضاه وعادته وطريقة الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة ۝ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ فيعلمون انها لقادر حكيم
وان كل ما يحدث من خير وشر فبقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما
يفعل بهم ۝ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ دار الله اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام ۝ عِندَ رَبِّهِمْ في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره ۝ وَهُوَ وَلِيُّهُم مواليهم وناصرهم ۝ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بسبب اعمالهم او متولّيهم بجزائها
فيتولى ايصال اليهم ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا انصب باضمار اذكروا او يقول الضمير للمحشر من الثقلين
وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء ۝ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ يعني الشياطين ۝ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم
من الانس اي ممن اغواهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم كما يجعل الجن متبوعكم كقولهم
استكثر الامير من الجنود ۝ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ الذين اطاعوهم ۝ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ اي انتفع الانس بالجن بان دلّوهم على الشهوات وما يتوسل به اليها والجن
بالانس ان اطاعوهم وحصلوا مرادهم ۝ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا الى البعث او الموت او الوقت الذي سميتموه لنا
بهم في المغفرة وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على
اجارتهم ۝ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا الى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسّر على ما لهم ۝ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ منزلكم وذات متويكم
خَالِدِينَ فِيهَا حال والعامل فيها مثويكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا او زمانا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ الا اوقات التي يقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء ربك قبل
الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما أهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال

واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض ونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او نولي بعض قرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الطاعة صح ذلك وتظهر يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الكل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ولانهم لم يعاينوا عيسى ولا محمدا عليهما السلام يقصون عليكم آياتي ويندرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستحقاق العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فدم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم اهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء ربوبية الله وظلم الانسان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او بلتبسين ظلما وظلما وهم غافلون لم ينبهوا برسول وبدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد وعبادته ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وناسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اى يهلكم اليكم حاجة ان يبقيكم لعبادتها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اى قرنا بعد قرن لكنه انشأكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبين بكم فيفوتكم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال لكل من بلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر

عن عاصم مكانتكم بالجمع وكل القرآن وهو امر تهديد ويدل عليه المعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ايا كنت على من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد ان يزيد تجشما عليه فيحمله بالامر على ما يقضي اليه وتعجيبا ان المهدد لا باق منه الا البتر كالمأمور الذي لا يفيدان يفتضح عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فحالها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وفور المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانهم اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يجعلون شيئا من الحرث والنتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويحبون عند هلاكه ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بها لآلهتهم وان راوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حتما لآلهتهم وفي قوله ما ذرأ تنبيه على فرط جهلهم فانهم انكروا الخالق في خلقه جادا لا يقدر على شيء ثم يحكمون عليه بان جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اختروه لهم برأيهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد حا فيه الكسر ايضا كالوزن ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك وامثال ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحوه شركائهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم ويخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه

او ما وجب عليهم ان يتدثروا واللام للتعليل ان كان التزين من الشياطين والعافية
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زينوا لهم او الشركاء المزينون
والفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم وما يفترونه من الاباطيل وقالوا
هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح بمعنى المذبوح فيه لا يستوى فيه
والكثير والذكر والانثى وقرئ بضم الحاء وفتح الجيم وضم الجيم اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم
خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها بمعنى الحام
والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح او عند الركوب اسماء الاصنام
عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول عليه
الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة لهم او على الحال او المفعول له والجار متعلق
او المحذوف سيجزيهم ما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون
اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا دون الاناث
ان ولدت حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة
للمعنى فان ما في معنى الاجنة وكذا الساقط في عاصم في رواية ابى بكر وابن عامر في نكن بالتاء
وخالفهم هو وابن كثير في ميتة فنصب كثير هم والتاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر
هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على المصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لكان من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل
المعنوي وهل صاحبه المجرور وقرئ خالص الرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة
الى ضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد بهما ان حيا والتذكير في فيه لان المراد
بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب
على الله في التحريم والتحليل لاقواله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم فدخر الذين
قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ
ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد لمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
لا رزق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال والمصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر

وغيرها

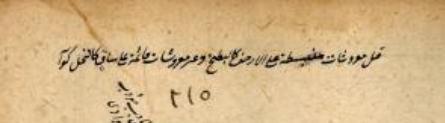

ومثله

وغيرها افترا يحتمل الوجوه المذكورة قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب
وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات متلفيا
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات كالوحشيات
في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والصغر
للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكم الكون معطوفا عليه او للجميع
على تقدير كل ذلك اوكلا واحد منها ومختلفا حاله مقدرة لان لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه
بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينته بعد وقيل فائدة
رخصة المالك في الاكل منه قبل ادآء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان
يتصدق به يوم الحصاد الا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل
الزكوة والاية مدنية والامر اياتها بوم الحصاد ليهتم به بح حتى لا يؤخر عن وقت الاداء
ويعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط
انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ
من الانعام ما يحمل الاثقال كالابل وما يفرش للمنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما
رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا
تتبعوا معترض بينهما او بفعل آخر حال مما بعني مختلفة او متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع منهما والمراد الافراد من الضان اثنين وزوجين اثنين الكبش
والنجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين وهو فعيل مثل غاز وغزى وحكى عنهم ان بعضهم كان يسكن الهمزة ومعز جمع ماعز كتاجر
وتجر وقرئ بفتح العين وهو لغة فيه ومن المعزاتين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو

وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب أو ماعز وحرس وحرس وقرئ بهما قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم أم الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ملحات انات الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر تعلمون به دلّ على ان الله حرم شيئا من ذلك او كنتم شاهدين فذ وعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امّا اشتملت عليه ارحام الانثيين والمعنى كما ترى ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى وما حملت انات هذه الاجناس فانهم كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارة وانا تها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل كنتم حاضرين حتى شاهدتم الله يحرم هذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ لم تؤمنوا بنبي فلا طريق لكم الى معرفة استحالة ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراء هم المقررون لذلك وعمرو بن لحي الموتسن لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن وفيما اوحي الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقولا او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق كما الكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير اولحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او حيث نجست او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا لاجله وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في به يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد فذ الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يواخذه والآية تحكم لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما لا اصبع له كالابل والنعام والطير وقيل كل ذي ظفر اي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاطباء لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما والحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية وحاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما او معنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار والوعيد والتعريض فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة عامة لكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل الوذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الاملاء على اية لا يرد بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل وقوع مخبره يدل على الاخبار لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لعلمه ومشيته ذلك خلاف ما تقتضاه الحكمة لقولهم فلو شاء الله منكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا اراد وا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى يرد عليهم بما يرد ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك نفى الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه من كذبه من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما تزعمون فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن حيث ذم من اتباع الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك لتعارضه قاطع ذلك الآية فيه قل فلله الحجة البالغة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة

وهي من الحج بمعنى القصد كما تقدم اثبات الحكم وتطليبه فلو شاء لهداكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلالة آخرين فاصلح شهداءكم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وتميم يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله
عند البصريين هاؤم من لم اذا صلحت حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل
وعند الكوفيين هلم اصله فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو يعين لان هلا لا يدخل
الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقولهم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعني قربوهم الينا واستحضروهم ليدلوا بمعلم الحجة ويظهروا بقطاعهم ضلالتهم وانه لا مستند لهم
كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهدة بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا لمن وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم كذبوا
متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله
من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم أتل أقرأ ما حرم ربكم منصوب بأتل
وما محتملة الحيرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل
لا بمعنى اقرأ أي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا بالبيع
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المنفي بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحله النصب بعليكم على الاغراء او البدلية
ما او من عائد المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام والرفع على تقدير المتلو ان
لا تشركوا او التحريم ان تشركوا شيئا محتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهم احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ترك الاساءة
في شتاتها غير كما في تخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم وإياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج
عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب والزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله

ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم
المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا ووصيكم به اي بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون
فان كلا من العقل هو الرشد حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كسقف واسقف
وفيه دليل على ان للولي ان يتجر لمال اليتيم لا التي بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكر عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعلتكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في خصومة وشهادة فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرباكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل
وتأدية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باشرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرأ حمزة والكسائي وان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقراءة ابن عامر صراطي بفتح
الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراطربك وهذا صراطربك ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة والطرق الباطلة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطباع والعادات فتفرق بكم فتقرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار وللتفاوت في
كان قبل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به وبوئيده ان قرئ على الذين احسنوا اي على
الذي احسن بتبليغه وهو موسى وتماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة
على علمها تماما مالا يوصف وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب
وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما او نصبه بآتينا
بمحذوف اي فصلنا كل شيء تفصيلا او على الحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون

اى بلغاته للجزاء وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص بهما لان الباقى المشهور حتى من الكتب السماوية لم يكن عن كثيرهم وان كانا هى المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبرها اى وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم من تكلم بينة حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعلم به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدفا عرض او صد عنها فضل واضل سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اى ما ينظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائى بالياء او ياتى ربك اى امره بالعذاب وكل آياته يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقولهم او ياتى بعض آيات ربك يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان وقاتة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا تخرج من عدن يوم يات بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدرة ايمانها او مقدرة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهودة ليكمل من لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل والمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت

عنها ايمانها والعطف على لم تكن معنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز ولعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بتبدوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين وفرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وكانوا شيعا فرقا يتبع كل فرقة امامها لست منهم فى شئ اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم ومن عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر امثال بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا تقييد وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحق دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فعيل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قووما كعوص فاعل لا علال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا قل ان صلوتى ونسكى عبادتى كلها او قربانى واحجى ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حيوتى واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوان والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير والحيوة والممات انفسها وقرا نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيرا وبذلك القول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا فاشركه

في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو ربت كل شيء حالة توقع
العلة للانكار والدليل اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ثم كسب كل نفس
الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون بتبين الرشد من الغي وتميز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف
الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام
او خلفاء الامم السالفة على الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب
لمن عاند وآب قريبا او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب بسرعته
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام
الموكدة تنبيها على انه تعالى غفور لذات معاقب بالعرض كثير الرحمة بالغ فيها قليل
العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى
عليه واستغفر له اولئك التسعون الفا ملك بعدد كل آية يوما وليلة سورة
الاعراف مكية الا ثمان آيات منها واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم وهي مائتان
وست آيات وست كلمات وثلثمائة وست وعشرون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو اي
المتلو المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه
اي شك فان الشاك حرج الصدر ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه وتقصر
في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب
وكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر متعلق بانزل او بلا يكن
لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا تذكر بها وعلم انه موفق للقيام بتبليغه
وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير

والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه
اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في دونه للاصنام اي لا تتبعوا من دون الله
اولياء وقرئ ولا يتبعوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم تنصب قليلا
يتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر
تذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها
اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالمخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا
كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال وهم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار
كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف
استعيرت للوصل لاكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بن مبالغة في غفلتهم وامنهم
عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما
اظلم فما كان دعوهم اي دعاء هم واستغاثتهم او ما كانوا يدعون من دينهم اذ جاءهم
بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اي لا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي قوله
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام والاول موقف الحساب وهذا
عند خصومهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا بك
انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فنخفى علينا شيء من احوالهم والوزن
اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة كما يشاء الله
عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم ويشهد بها جوارحهم وبويده ما روي ان الرجل يؤتى به

الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه قال ليوزن العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته وجوز فيه ان يعرب ومعناه العدل المتوسط فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها فاقترافهم ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكنا كم من سكناها وزرع فيها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وقرئ انه همز من تشبيهها بما البناء فيه زائد كصحائف قليلا ما تشكرون فما صنعتم اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم اي آدم طينا غير مصور ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم خلقه وتصويره مسببة عن خلق ابيه وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم صوركم بان خلقنا آدم ثم صورناه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين من يسجد لآدم قال ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموقع عليه ترك السجود وقيل لا نافية والممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والعزم قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال الما نع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين او لما خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل للفضل عليه وقد غلط فيه بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه

من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملائكة ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم اذا علم منهم وانه الخواص ليسلم غيره والا فهو دليل الكون والفساد وان الشاطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى ناظره واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني او لا تمتهم عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الحكمة اجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله انتهاء اجله فيه وفي اشعاره اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بحسب لفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية وحملا على المحو وتكليفا بما عرفت لاجلوا لباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بافعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا كما يفعله قطاع الطريق لاسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام وضبه على الظرف كقولك ما عالى الطريق الثعلب وقيل تقدير على صراطك كقولك ضرب زيدا الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات فحذف المضاف اياهم للتسويل والاضلال من اتى وجهه يمكنه ما يأتي العدو من جهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيآتهم وحتملا ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث ييسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منها

ستوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاورة فان الآتي منهما كالمختص عنهم المار كلٌ على حِدتهم
وتظيره قولهم جلست عن يمينه **وكلا منهما** كما تريد **رغدا** واسعا لا حجر فيه **حيث شئتما**
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء **فتكونا من الظالمين** فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم
فتكونا مجزوما عطفا على الجواب او منصوبا على جواب النهي بالفاء **فوسوس لهما الشيطان** اى فعل الوسوسة
لاجلهما او من الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومسه وسوس الحلي وقرئ
سيوئ في البقرة كيفية وسوسته **ليبدي لهما** ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد ايضا بانه يسوءهما بانكشاف عوراتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **ما ووري**
عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة الهمزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف همزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا
وادغام الواو الساكنة فيها **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا** الآن كما كنتما
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يحلدون في الجنة واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء وجوابه ان كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصلا لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشرية
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا **وقاسمهما** اى اقسم لهما على ذلك
انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على انى ناصح لهما او اظهر لهما ذلك بالقسم

واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله
انهما لمن الناصحين فاقسم لهما فجاذبهما ذلك مقاسمة **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة بما
به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشيء من اعلى الى اسفل **بغرور** بما غرتهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
او ملتبسين بغرور **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما** اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها
اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما وانخلع
فؤادا الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا **وطفقا يخصفان**
عليهما من ورق الجنة اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة **قبلكان** ورقا التين وقرئ يخصفان من خصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من
يخصفان واصله يختصفان **وناداهما ربهما** الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول
العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** ضررناها بالمعصية
والتعرض للاخراج عن الجنة **وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع
اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انها قد لا تذكر على عادة المقربين في استعظام الصغير
من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات **قال اهبطوا** الخطاب لآدم وحوا وذريتهما
اولها ولابليس كرر الامر تبعا ليعلم انهم قرناء واخبر عنهما قال لهم مفرقا **بعضكم لبعض**
عدو في موضع الحال اى متعادين **ولكم في الارض مستقر** استقرار او موضع استقرار
ومتاع وتمتع **الى حين** الى تقضي اجالكم **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**
للجزاء **يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا** اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد **يواري سوآتكم** التي تقصد
الشيطان ابداءها ويغيكم عن خصف الورق وروى انه العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تمهيدا

لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوءات الانسان من الشيطان وانه اغواهم
في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل ما لا منه
ترتيش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء
وخبره ذلك خير او خبره وذلك صفته كما نقيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزل اللباس من آيات الله
الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتوقون عن القبائح
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يحدثنكم بان يمنعكم من دخول الجنة باغوائكم والنهي
في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به كما اخرج ابويكم من الجنة
كما نحن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب امر بريكم هو وقبيله من حيث لا
ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورد بهم ابا ان حث
لانزالهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون بما وجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من حثكم
وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن
الاول للظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر
بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب
الذم عليه آجلا وعقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه
العقل المستقيم وقيل هي ما جاوا به سوآتين مترتبين كما نرى قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا قيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما

تعلمون انكار وتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المنحاز عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
اليها غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه
وهو الصلوة او ائتوا مسجدا حضرتم الصلوة ولا توخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشاكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على عما كم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم وتحقيق
لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم والفارق بحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم التي توارى عورتكم
عند كل مسجد لصلوة او طواف ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي ان بني
عامر في ايام حجهم كانوا يحرمون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فنهى
المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب
وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف
والجلود كذا لدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل
على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها تبعا خالصة

يوم القيامة لانكارهم فيها عن يمين وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر مبتدا
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم
قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل الخمر والبغي الظلم
او الكبر افرده بالذكر لشدة الغائلة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل لحليته برهان وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة
اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم
او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون ولا يتقدمون ابدا قصر
وقت الا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما طلبه اهل التعليم وضمت اليها ما التأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا آياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني -
للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وفي الكتاب اللوح
المحفوظ مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية ينالهم وسمي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا
اين ما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت
باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا

اى قال الله لهم يوم القيامة ادخلوا في جملة من مضى من قبلكم في امم قد خلت من قبلكم اى كائنين
في جملة امم صاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضين من النوعين في النار
متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى
اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا ولاحق في النار قالت اخراهم اى دخولا ومنزلة
وهم الاتباع لاولاهم لاجلهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا استؤنا
الضلال فاقدنا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم
لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوا عليه
اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا واذا لا يكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قولكم للقادة او من قولهم للفريقين ان الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين واعمالهم اذا
صعدت بها الملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمر بالتخفيف وحمزة والكسائي بالياء لان
التأنيث غير حقيقي والفعل متقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اى حتى
يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل
كالخب والجمل كالجبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم الخياط
والكسر فيهما لغة المخيط وهو ما يخاط به كالزمام والمخرز وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين للبدل
عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الاصل المحذوف وكذلك
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا

بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجزم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انها اعظم الاجرام الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى فان يتبع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب العلم المقيد بما يسعه طاقة فهم وبيد الله عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اخرجنا من قلوبهم اسباب الغل ونظهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر وما كنا بغير واو على نية الاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتحقيقا بان ما عاملوا به في الدنيا صار لهم في الآخرة عيانا ونودوا ان تلكم الجنة اقاموا فيها من بعيد وبعد دخولها والمنادي له الملائكة او ربه اورثتموها بما كنتم اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة لتلكم وان في الوقائع الخمسة من المخففة والمفسرة لان المنادى والمنادين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اذ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تحقيقا لحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقولوا وعدكم كما قالوا لانا وعدنا الاثار ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره محسوسا وعند بعضهم ما كان بعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقراءة الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقراءة ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي تخان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين

كقوله فضرب بينهم بسور وبين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي عاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهور اعرف من غيره رجال طائفة من المؤمنين قصرت درجاتهم عن التجاوز بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء وخيار المؤمنين وعلماؤهم وملائكة يرونهم في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده وقيل من سام اذا سرسلها فانها ترسل في الدنيا علامة لما يصير اليه امر كل احد على القلب كالجباه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الضمير على الوجهين واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم وتعززكم بالمال وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قول الرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة تحقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو في الوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى انتصروا للفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما اغنى عنكم الخ وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليدل على انها فاضلة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعا عنهم منع المحرم عن المحلف الذين اتخذوا

دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت والتهويش في الحمر بالايحسن ان
يشرع به واللعب طلب الفرح بما لايحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم
ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا
فلم يخطروا ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين لها
من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام
والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء محكما وفيه على الله تعالى عالما
بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فصلنا على سائر الكتب عالمين بانه
حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون
الا تأويله الا ما يؤل اليه من تبين صدقه بظهور ما ينطق من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله
يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم
جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل يرد الى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا او بمعنى الا ان نعمل الاول المسئول احد الامرين وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما الاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم
في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون يغيب عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة أيام اي في ستة اوقات لقوله ومن يوم الى يوم يدبر
اوفي مقدار ستة أيام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ
ولخلق الاشياء مدتجامع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار والاعتبار للناظرين ثم
على الثاني ثم استوى على العرش استوى امر او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على
العرش صفة لله بلا كيف والمعقول منه الاستواء على الوجه الذي يمتنع منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي بذلك لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك
فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر
عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملها ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع

النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد
للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يطلب كل واحد منهما صاحبه سريعا كالطالب لا يفصل بينهما شيء والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف وحالا من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتدبيره وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك تقوبت العالمين تعالى الله بالوحدانية في الالوهية وتعظم
بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا يتخذون ربابا فبين لهم ان
المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات
في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة
ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال والاشارة اليه بقوله خلق الارض في يومين
اي ما في جهة التسفل في يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلثة تركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعده ثم استوى الى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات
فيهما وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره
كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير وتتميمه فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوهم متذللين مخلصين فقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي في تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وعنه ﷺ على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما
لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاعتداء فيه
وعن النبي ﷺ عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول
اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب

من قول وعمل لمن قرأه انه لا يجب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد
اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لتقصيركم
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان
الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف او اجرى او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول والذي
هو مصدر كالنقيض والفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل
الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة بشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقراءة
ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
او للباشرة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملته واستقاقه من
القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه الى السحاب او افراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحياء او لسقيه
وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او السحاب او بالسوق او الريح وكذلك فاخرجنا به
ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء اذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني
واذا كان لغيره فهو للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى اشارة
فيه الى اخراج الثمرات والى احياء البلد الميت او كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بالورق نخرج الموتى من الاجداث ونحييها بردّ النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها ونظرتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلموا ان من قدر
على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته
وتيسيره عبر عن كثرة النبات والثمرات وحسنه وغزارة نفعه لانها وقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحزة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال

وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا معمولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد
ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية سيقت لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع
اليها راسا ولم يرتب بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف وكذلك يطلق
هذا اللام الامع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدرت به ونوح
بن لمك بن متوشلخ بن ادريس او لغير بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره
بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم
تؤمنوا وهو يصدق بيان للداعي اذ عبادة الله واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال
الملا من قومه اي الاشراف فانهم يملأون العيون رواء انا لنريك في ضلال
مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النقيض كما يعرف الاثبات
وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار لازم نفيه وهو كونه على
هدى كانه قال ولكني على هدى غاية لان رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول واستيناف ومسافة في التوضيح
لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء
قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على اختصاص النصح لهم وفي اعلم الله
تقريبا لما وعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهتي بالوحي اشياء
لا علم لكم بها وعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم
من ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم رسالة او موعظة على لسان رجل منكم
من جنسكم ومن جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب
الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب

والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه
فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين امراة وقيل تسعة
وهو بنو سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمحذوف اي انجيناه حالة
من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين
غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لانه على النباب والثاني
عادا اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف لحاله وارغب في اتباعه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم فلا
تتقون عذاب الله وكانوا قومه كانوا اقرب من قوم نوح وكذلك قال الملا الذين
كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة
متمكنا في خفة عقل او اختلافها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا
لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره
وردّ اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم المحكية بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كالنصح والشفقة
وضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه
على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم
من رمل عالج الى بحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد من ملك
الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة وهو تعميم بعد تخصيص اذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي ينفعكم ذكر النعم الى
شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشركت به آباؤهم اكما في التقليد

وخيبة الامل الفوز ومعنى الجثوم اجثتنا اما الجثو من كان اعتز لبه عن قومه او من التثاقل على
التهكم او القصد على التجارك كقولهم ذهب يستبني فاتتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه
بقوله فاتنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم غضب
او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد
للكل وانتم لا شتحقاقها بجعله تعالى اما بالآيات او بنصب حجة بين ان منتهى
حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واستناد الاطلاق
الى من لا يؤبه بقوله اظهار لغاية جهالتهم وقوة عنادهم واستدل به على ان الاسم هو
المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يرجحه الذم ولا بطلانها اسما بمختر
لم ينزل الله سلطانا فيهم فانتظروا ما وعد الحق واتم مقهورون على العناد منزلون
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا
عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
بمن آمن منهم وتنبيه على ان العارف بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم
كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازداد واعتوا فامسك الله
القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان التاجر منهم يسلم ومتجرهم اذا نزل بهم
توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجمعوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد
في ستين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العالقة الاد عملين بن لاوذ بن سام وبيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخوالة وأصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لهذيل اذ هلكوا فاهمه
لما اهمته ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يفطنوا به فتل مقامهم فعلم القبيلتين
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماثا فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
ما يبينون الكلام حتى غمثاب فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان

نسخة

اطعنكم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لا لحاوية اخبسه عنا لا يقدر من معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك دينا ثم دخلوا مكة فقالوا اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادا مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اختار السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم سهاريع عقيم فاهلكتهم وبخا هود والمؤمنون معه

والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء وقرئ مصدرا بالواو والخا واعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى اخاهم صلحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الهة غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية او لها الناقة الله لتعظيمها لانها جاءت من عند الله بلا واسطة اب او فحل معهودة ولذلك كانت فذروها تاكل فى ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر والزجر للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها اى فى سهول الارض بما تعلمون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول به على ان التقدير من الجبال او تنحتون بمعنى تجعلون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه اى على الذين استضعفوا الذين آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب

السوى تنبيها على ان ارساله ظاهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى راى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر به فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم موضع ارسل رد الما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فخروها اسند الى جميعهم لفعل بعضهم للملابسة او لانهم كانوا برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو مما لهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين خامدين تنبيه روى انهم بعد عاد عمروا البلاد مدة وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا كانوا ينحتون بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام بعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة بقال لها الكاثبة وقال ائتنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبرا فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صلح موا ثيقهم لئن فعلت ذلك لتومنن فقال نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبرا كما وصفوا وهم ينظرون ثم تحركت فولدت مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذوءاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورئاب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء عبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تنفج فيحلبون ما شاءوا حتى تملا اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتوى ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وثبت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المحتار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال لهم صالح اذركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه واذ نقرت الصخرة بعد رغاته فدخلها فقال لهم تمتعوا فى داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فاتاهم فى اليوم الاول وجوههم مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان محقوق اليوم الرابع تخطوا وتكفنوا
بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهر ان توليه عنهم
كان بعد ان ابصر ثم جاءتهم وانعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل
التحسر عليهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم واذكر لوطا
واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك النعلة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد فقط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفي
والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كأنه وتفهم او كالبيان
الفاحشة ثم اخترعها فانها سوء اتنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان
لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار
المستأنف وشهوة منصوب له او مصدر في موقع الحال او التعليل بها وصفهم بالبهيمية
الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون داعيه الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم تجهلون اضرب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت
بهم الى ارتكاب امثالها وسوء عيادة الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع
معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم تحيلوا
بنصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم
اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من آمن به الا امرأته واهله
فانها تسترت بالكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوطا لما هاجر مع
عمه ابرهيم عليه السلام الى الشام نزل الاردن فارسله الله الى اهل سدوم

ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله
عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على سافر
فريهم والى مدين اخاهم شعيبا وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم
شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روى من محاربة عصاه موسى
التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم عليه في المرات التسع متأخرة عن هذه المقاولة فحقها ان تكون
كرامة لموسى واردها صا النبوة فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل
على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل
ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا
مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحها فيها والاضافة كما في بل مكر الليل والنهار
ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرة اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان ومراطه الحق
وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا واحدا ابسى
في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطرق وتصدون
عن سبيل الله يعني الذين قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر يا نا لكال مراط
ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتفيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به

اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعوله تصدون على اعما الاقرب ولو كان
مفعولا لتوعدون لقال تصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال اى تصدون
فتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالفاء الشبه او وصفها
للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عدد كم فكثركم بالبركة
فى النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم
وان كان طائفة منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه
قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية
او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها تعود فيها ونحن
كارهون لها او تعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه
ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرطوا بعد ذوف دليله قد افترينا
وهو معنى المستقبل لم يقع لكنه جعل كالواقع لان المبالغة واد خل عليه قد لتقريبه
من الحال اى قد افترينا الآن ان همممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان
لله تعالى انه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما ادعوه علينا حق وقيل انه جواب
قسم محذوف وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته وقيل
اراد بحثهم طبعهم فى العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شى علما
اى احاط علمه بكل شى تما كان وتما يكون منا ومنكم على الله توكلنا فى ان تثبتنا على
الايمان وتخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا

والفتاح القاضى والفاتحة الحاكمة او اظهر امرنا حتى ننكشف ما بيننا وبينهم
وتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال
الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون
لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما تحصلون لكم بالبخس والتطفيف وهو
سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
فى ديارهم جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دونه
كأن الذين صدقوه واتبعوه كان زعموا فانتهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا
والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهلا حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاستقاء فلم تصدقوا فلو تولى فكيف
آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى يا مالئين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا
اهلها بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كى يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة
السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا واعدادا وعددا ويقال عفا
النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما زانا النعمة
الله ونسيانا للذكر واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول
العذاب ولو ان اهل القرى يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى
وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل

فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي فامن اهل القرى عطف على
قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن
اهل القرى ان يأتيهم باسنا ليلا وقت بيات او مبيتين وهو
في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالتلام بمعنى التسليم وهم
نائمون حال من ضميرهم البارز والمستتر في بياتا او بين اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر اوامن بالتكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في اول
ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من غير الغفلة او يتغلون بما
لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله فامن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اي خلفوهم من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه
بمعنى يتبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بحراء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو على ما دل عليه يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا
ونطبع على قلوبهم عطف على مادل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية ونسقط
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقة
جواب لو لانقضائه الى قوله الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الامم الماضية ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون
افادته بالتقييد بها وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي
نقص بعض انبائها او لها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل ما كذبوا به من قبل الرسل بل
كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اول حين
جاءهم الرسل ولم يؤمنوا بعد تواتر دعوتهم فقادعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتاكيد
النفي والدلالة انهم ما صلحوا للايمان لمنافاة حالهم في التصميم على الكفر والطبع

على قلوبهم

على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يلين تسكينهم بالآيات
والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض لاكثر الامم المذكورين من عهد
وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات
وتصديق الحق وما عهدوا الى صحة ما كانوا يدعونه ويخافونه من مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمنا هم لفاسقين من وجدت زيدا
اذا الفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم
موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم واللام آياتنا يعني المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها الوضوح بها وهذا اللعن
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر كقيصر للملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقرا حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لتكذيب اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لكالة قوله فظلموا بها عليه
وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لما من الالباس كقوله وتشتهي انفسكم
بالضياطرة الخبر والاتان ما لزمك فقد لزمته والاغراء في وصف نفسه بالصدق
والمعنى انا حقيق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمن هو ملابسه او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال
حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق بان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم
فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم
وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك
فات بها واخبر بها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره من غير تلبيس لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاها بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل

على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واخذت الرهز
الناس من دحين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انسد الطريق
ارسل خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذ فعاد عصا ونزع يده من جيبه
اومن تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اى بياضها كان بياضا خارجا عن العادة
يجتمع عليه النظارة او بيضاء المنظر لان كالها كانت بيضاء وقيل انها روى انه كان آدم شديد
الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلبت شعاعها
شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم تبا قالوه واشرافه
قومه على سبيل التشاور في امر فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن
حاشرين ياتوك بكل سحار عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والاخ
الناخير اى اخر امره واصله ارجيه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات
وكذلك ارجئه ولي قراءة ابن كثير على الاصل في الضم وارجهي من ارجيت كما قرأ نافع وورش واسمعيل والكسائي واما قراءة حمزة في رواية فالوقف ارجه بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
عنها وقراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل حمزة وكا
بابه في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا تركيبه الهاء
فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب
ياء اجريت مجراه وقرأ حمزة والكسائي بكل تحاريفه وفي يونس وبوبه اتفاقهم عليه
في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ائن لاجرا ان
كنا نحن الغالبين استانف بكما تجواب سائل قال لما قالوا اذا جاؤا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحفص ائن لنا على الاخبار واجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسد نعم وزيادة
على الجواب لتحرضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا
موسى مراعاة للادب واظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فبنوا

عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المنفصل
بالمنفصل فلذلك قال بل القوا كرما وتسامحا لوثوق بارادتهم وورودا على غاية فلما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما ليس بالحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم
ازهبا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روى انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اى ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل
بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باشرها اقبلت على الحاضرين
فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم فاخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين
او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم لتبادرهم الى السجود بحيث لم يتمكنوا من جعل شيء
تحتها لان الله الهمهم ذلك وجعلهم عليه حتى يكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موحى
ويتقلب الامر عليه او ما لغة في حر وهو دويبة خرور وهم دويبة قال فرعون آمنتم به
بالله او بموسى الاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح
عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان اذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا منها اهلها بتعريضكم للهلاك لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحكم وتنكيلا لامتكم قبل انه
اول من سن ذلك فسنة الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رخته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي

انا المنقلبون الى ربنا وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس منا ما يأتي العدو اعنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا أفض علينا صبرا انجرنا كما يفرغ الماء وصب عليه ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قبل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقبل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتقمنا منهم واغرقناهم الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا وجواب للاستفهام بالواو كقولك الحطيئة المراكب جاركم ويكون بمعنى وينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف وحال وقرئ بالنون كانه قيل ليفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم ان المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده من قبل وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعدلهم بالنصرة وتذكيرا لما وعدهم من اصلاح القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك

عدوكم ويستخلفكم في الارض نصر بخلاص منه او كلما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمان داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيريد تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان لجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام الجدب لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا اجدبوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا لشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا بما نزل من الخسف والسنة فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه يتشاءموا ويقولوا ما اصابنا بشؤمهم الا شؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان التذلل ترقق القلوب وتذلل العرائب وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وسبي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات وذكر السنة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم الفصل الا بالنبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل موحد ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مهما من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع والنصب بفعل يفسره تأتنا اي ايا شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وضمير بها آية على زعم موسى لا اعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحرنا عينا وتشبه علينا والضمير في به وبها للمأتي به قيل التبيين باعتبار اللفظ وأنث بعد باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وعنى ما كانهم وحروثهم من مطر وسيل

256

وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان
وقيل كالجراد قبلت اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام
فى ظلمة شديدة لا يبصر احدا حدا ولا يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم
وكانت بيوت بنى اسرائيل بيوتهم ولم يدخلها قطرة وركد على ارضيهم فمنعهم من الحرث
والحفر فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم فلم تدع لهم الا الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه هو فزع فيهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر فمر ربك يكشف عنا الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تبلى منها مصاجعهم وتنتن
الى قدورهم وبينما تغلى والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم
العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد فقال رسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء
وشرب الماء من فم اسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الزعاف آيات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على العاقل انها آيات الله ونعت عليهم او مفصلات
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها وكان امتداد كل واحد اسبوعا وقيل ان
موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعنى العذاب المفصل
او الطاعون قال الله عليه بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجاب دعوة آبائك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فى بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد او متعلق بادع
محذوف دل عليه التماسهم منه لان السؤال انما تطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز

مشبكة

وخرج

ثما ياند عالفوج الى الصحرا واتاهم
نحو المشرق والمغرب فوجعت الى
النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا
فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
الجراد وكان يقع فى طعامهم ويدخل
بين ثيابهم وجلودهم فيمصها
ففزعوا اليه

شهر

الى اجل

الى اجل هم بالغوه الوحد من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا
عنهم فاجأوا النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فاغرقناهم
فى اليم اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل النيل انهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الآباء ومن مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتملكوا فى نواحيها التى باركنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدة بأنهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد باصبروا بسبب صبرهم على الشدائد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والبيعات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يبنون فرعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون
بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وما بعده ذكر
ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام وآرائهم
من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى ما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا
عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء
بعد هلاك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فرأوا عليهم يعكفون على
اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم
كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى
يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وآكده لتقدمه ما صدر عنهم بعد ما رأوا من
الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه

هنا ورقة الخلل

شالا نعبدك؟

يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحظم اصنامهم ويجعلهم رضاضا وباطلا
منحلا ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا
الكلام بايقاع هو كذا اسم ان والاخبار عنهم فيه بالتبار وعما نعلوا بالبطلان وتقديم
الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة
وان الاحباط الكلي لا بد منه عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم
الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم تخطر غيرها ببالكم
وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من اساتهم بالاستخفاف
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به احس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا
صنيعته معكم في هذا الوقت وقرئ انجاكم وسوموكم سوء العذاب استيناف
لبيان ما انجيناهم او حال من المخاطبين او آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم يذبحونهم ويتركون الاناث احياء او يستخدمونهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين
روعي فيه كلام موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل يعني انهم بعد مهلك فرعون يكتاب
من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأله ربه فامره بصوم ثلثين فلما
اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدت
بالتسوك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امر بان يتحلى بالصوم والعبادة
فنزل عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما جب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع
سبيل المفسدين ولا تطع من سلك الافساد ولا تقطع من دعا اليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيه دليل على ان موسى عليه السلام كان يسمع
ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدث

قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك وتجلي لي فانظر
اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله قال لن تراني ولن ارى ولن
اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد قوي للرائي ولم يوجد
فيه بعد وجعل استواء التمكين قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا
الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب
على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان الجواب ابدا
وان كان عينه اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة
اوجهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني استدراك يريد ان يبين ان الله لا يطيقه وفي تعليق الرؤية به ايضاح لدليل الجواز
ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قد يقال جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتدار وامر وقيل اعلى له حيوة ورؤية وراه جعله
دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقراء حمزة والكسائي
دكاء اي رضا مسنوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا
جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال
تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن
وانا اول المؤمنين من قومي وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون
وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التوراة وقراءة ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وتكليمي اياك فخذ ما
آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان
سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبناله في الالواح

من كل شئ مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا لكل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخر صماء بيضاء انشقها الله تعالى فقطعها بيده او سقفها باصابعه وكان فيها التوراة وغيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذها آتيتك والهاء للالواح او للكل حتى فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا بأحسنها باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والانتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقولك اتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف اجر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا امثالهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند اذا قدحت نارها سأوركم ويؤيده قوله او ورثنا القوم سأصرف عن آياتى المنصوبة فى الآفاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها واعلاكهم بغير الحق متعلق بيتكبرون اى يتكبرون بالباطل وهو دينهم الباطل وحالهم فى فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشقاوة عليهم وقرأ حمزة والكسائى بفتحتين وقرئ الرشاد ولغتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى صرفهم ذلك الصرف بسبب ما والذين كذبوا بآياتنا

بآياتنا ولقاء الآخرة اى ولقائهم الدار الآخرة وما وعد الله فى الآخرة واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم الذى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر لاتباع كدلى ويعقوب بالافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم وجسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فيه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيه خلل الريح يخرج منه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وفعله انما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذ هذا الها وقرئ حوار اى صياح ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى المرئى حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كما حاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء فى غير موضعها فلما لم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط فى ايديهم كناية عمن اشتد ندمه فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين قرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما نهيتكم عنه اعجلتم امر ربكم انزكتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى

تعدته او اعجلتم وعدَ ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقد تم موتي وغيّر تم
بعدي كما غيّرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجر حميّة للدين روي انّ التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيها
المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصّر في كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا ليّنا ولذلك كان احبّ الى بني اسرائيل
قال يا ابن ام ذكر الام ليرقّقه عليه وكانا من اب وام وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي محذوف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا
كالمنادى المضاف الى الياء وقراء الباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني لتوبيخ التقصير في حقه الاهمة
والمعنى بذلك وسوء ثنائهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي
الاعداء فلا تفعل بي ما يتشمتون لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا
في عدادهم بالمواخذة او بسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي
ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه
وادخلنا في رحمتك بزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على
انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امروا به
من قتل انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية
وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الحكم وآله موسى ولعله
لم يفرّق بينهم احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واستغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم
الذنب كجريمة عبدة العجل وكثرتهم غير مانع من قبول التوبة عن موسى قدم
الغضب باعتذار هرون او ثبوتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه

جعل

جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبّر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت وأسكت على ان المسكت هو الله او اخوه والذين تابوا اخذ الالواح التي
القاها وفي نسختها وفيما سطر فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ
منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين
هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول
واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه
فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روي انه تعالى امر ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن تعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام
بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل
فصعقوا منها فلما رات لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تتمنى هلاكهم وهلاكه قبل
ان يرى ما رآى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك تحمّل فرعون
على اهلاكهم واغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منهم فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل
السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى عليه السلام لميقات التوبة
عنها فاخذتهم هيبة تلفوا منها ورجعوا حتى كادت تبين سفاسلهم واشرفوا
على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى فدعا فكشف الله عنهم ان هي الا فتنتك
حين سمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية واوجدت في العجل خواره فاغواه به تضل
بها من تشاء ضلاله بالعجل وعن حده او باتباع المحال وتهدي من تشاء هداه فتقوى
بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما فارقنا وارحمنا وانت خير الغافرين

تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي حسن عيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا التلا من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بالكسر من هاد يهيد اذا اماله وصح ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى
انفسنا واملنا اليك وجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول على لغة من يقول
عود فاء عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شئ
في الدنيا المؤمن والكافر المكلف وغيره فسأكتبها فساثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة
خاصة متكلمون باسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة
خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشئ منها الذين يتبعون الرسول النبي الامي مبتدأ وخبر يأمرهم اخبر
مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن
منهم بمحمد عليه السلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد
والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كماله مع حاله احد معجزاته الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم
الخبائث كالدم ولحم الخنزير وكالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص
في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه واتبعوا النور الذي
انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه بإعجازه ظاهر امره مظهر غيره
او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى فلما انها الناس

انى رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا
الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة لله وان حيل بينهما بما تعلق بالمضاف اليه لانه كالمتقدم عليه وصح
منصوبا ومرفوعا ومبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو الاله غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه
وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن الكلم الى الغيبة
لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامر به تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة
يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون ينهم
في الحكم والمراد بهم الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم
قطعا متميز بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير
او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز
على ان كل واحد من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر
السين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست انفجرت بضرب فانبجست وحذف للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال
وان ضربه لم يكن مؤثرا بتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس

كل سبط مشرهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
باضمار اذكروا والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا مثلما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض
له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا ثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
وعدنا مروابه وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو وخطاكم فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو على وهم
الذي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع
باهلها اذ كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود
الله يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل
الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الامداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد
نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويؤيده الا وقرئ ويوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدخلون في السبت
وشرعا حال من الحيتان معناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم

وقيل كذلك متعلق بما قبله اي كما ابتليناهم بترك العدوان نبتليهم بوم السبت والباء متعلقة بيعدون
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية صلحاؤهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى يسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخربهم او معذبهم عذابا
شديدا في الآخرة لتمادیهم في العصيان قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال عن موعظتهم انما عذرنا الى الله حتى لا نتسبب الى
او سوالا عن علة الوعظ بقبحه وكانه تقال لهم لم تعظون قوما مرادهم عوى عن الوعظ لمن
يرجى منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتكذيبا لهم
معذرة اي موعظتنا معذرة تقربا الى الله حتى لا نتسبب الى
تقريظ في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي عذرنا به
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذا اليأس لا يحصل الا بالهلاك
فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد من بؤس
يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون
الهمزة على تخفيف فعيل كنذر وقرئ بخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء فكبد وناقع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيس كريس على قلب الهمزة يا، وادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا كقوله
وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقولنا له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان تكون الآية العاتية تقريرا وتفصيلا روي ان الناهين لما يئسوا عن ارتقاط
المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم
يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم
ولكن القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسباءها منهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية فنهانوا بعد
ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تنفعل من الايذان

بعناه كالتوعد والايعاد وعزم لان العازم على الشئ يوطن نفسه بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
والمعنى واذ قدر ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فقتل مقاتليهم
وخرب ديارهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل ما فعل فضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاجلهم في الدنيا وانه لغفور رحيم
لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تمثيلا لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون
اولا بد منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظرائهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم
ناس دون ذلك فحذف لدلالة ما قبله عليه وكنى بالصلاح وضده عن الايمان والكفر
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون يتوبون فيرجعون عما كانوا عليه
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل اشتمال مصدر نعت به ولذلك يقع على
الواحد والجمع وقيل هو جمع وهو نائم في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين
كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة من اسلافهم
يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى
يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى
تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز
عنه وهو محتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اى يريدون المغفرة مصرين على
الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على البت من حيث المعنى فانه تقرير لما وعلى ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة

خير للذين يتقون مما يأخذه هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى
الموبق الدنى الى العقاب بالنعيم المخلد وقراءة نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلون
والذين يمسكون بالكتاب وافاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله فلا
يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقراءة ابو بكر يمسكون بالتخفيف
واذ نتقنا الاقامة كانها فتق فيها على سبيل التمثيل الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهو كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه
واقع بهم سائط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق
الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوبة لثقلها فرفع الله
الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا يقعن عليكم خذوا ما اتيناكم
وقلنا خذوا وافالين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل ميثاقه
وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون
فتابعوا الاعمال ورد ثانيا الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهور هم بدل من بنى آدم
بدل البعض وقراءة نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى نزلنا تمكينهم من العلم بها
وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه بدليل وتقولوا عطف على ان تقولوا وقراءة ابو عمرو وكلتاهما
بالياء الان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم بطلان لا يصلح عذرا فتهلكنا
بما فعل المبطلون يعنى آباءهم المبطلون بتأسيس الشرك وتبل لما خلق الله آدم

اخرج من ظهر ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والفهم ذلك خلاصة
رواه رضي الله عنه وقد حققت الكلام في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا
الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم
والاحتجاج بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل والضلال
عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل واميته بن ابي
الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان
يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به افلم يحم بن باعوراء من الكنعانيين
عين او رقم علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فالحوا عليه حتى دعا عليهم فتحولوا الى شيء ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا والى الاستمتاع
واتبع هواه في ايثار واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه
الله تعالى استدراك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو
المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان
المشية تعلقت بذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه
اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة
فمثله فصفته التي هي مثل في الحسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله
وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات تضعف فوادي اللهث اي الاعياء اللسان
من النفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالين والتمثيل واقع
التنفس

موقع

الذي اظن السفارة
اعلم ان سبب عدم تذكرنا وتدبرنا لما عهد ومثاق بذلك ان
والد الجمع اصلاب الآباء وارحام الامهات والغفلات
الكثيرة والاطوار من العلقة والمضغة والنطفة والعظم موضعه
نسيان وقد رد ان عهدكم الله وجهاني لاذكر
العهد الذي عهدا الى ربي ٥ سماع القبول

على اليهود

وظلمهم

سماع

اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة

موقع

موضع لا يتم التركيب الذي هو تلو الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقبل لما دعا
على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكور فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا
يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم الذين اي مثل القوم وقرئ ساء مثلا القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانتهم
كانوا يظلمون اما ان يكون داخلة الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب
الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا الا انفسهم فان وباله
لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض
دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والا فراد في الاول والجمع في الثاني كاعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والالتفات في
الاخبار عن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كامل
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل الا عين لكفاه وان المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان
لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه
لهم قلوب لا يفقهون بها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا
يبصرون بها آيات الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ
تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر وفرط
سماعهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك
ما يمكن لها ان يتدارك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم
ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى لانها دالة
على معان هي محاسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه
بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمون
بالاوثان فيه او عابوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او كانبا لوا

بانكارهم ما ينبئ به نفسه كقولهم ما نعرف الا الرحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاقا اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا تواقفوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون بما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومتن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر الله تعالى انه خلق جما بين انه خلق للنار طائفة صالحين يهدون الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عاملين به والاستدلال على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفات كقوله عليه السلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او عين لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج استصعادا والاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتوالى عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله فيزدادوا بطرا وانهماكا في الهوى حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم واملهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان او لم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال لهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين فيم انذار بحيث لا يخفى على ناظر او لم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ متناول عليه الشئ من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدخل فيه كل مقدور صانعها ووحدته مبدعها وعظم شانه مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم حجة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى او لم ينظروا في اقراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى الطلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وما ذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد ويذرهم غير ويذرهم حال انهم يعمهون متحيرون يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل ورسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض آوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها الا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها بغتة واللام للتاكيد كالام في لوقوفها الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا يأتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة كما كان لا يعلم عليه السلم الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل ينفق سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها عالم فعيل من حفي عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه فلذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة كانك حفي بها لا يكون الا من الغيب الذي استأثره الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما يظهر به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لعزوبة احد من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوقفني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لما الفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب

حتى لا يستحى بسوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم
يؤمنون فانهم المنتفعون بهما وجوز ان يكون متعلقا بالبشير ويتعلق النذير بمحذوف
هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جنسها من ضلع من اضلاعه
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعلها حواء ليسكن اليها ليأنس بها
ويطمئن اليها اطمئنان النحى الى جزئه وجنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى لمناسب فلما
تغشيها جامعها حملت حملا خفيفا خفت عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل اما لقلته
ذى ومجوز خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وتعدت وقرئ فمرت بالتخفيف
وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به
فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما اى جعل اولادهما له شركاء
فيما آتى اولادهما فتسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه ويدل عليه قوله تعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال اما ترين
من اين يخرج فعافت من ذلك وذكرت لآدم فهمّا منه ثم عاد اليهما وقال انى من الله بمنزلة
فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسمه
حارثا فى الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحرث واتاهما لانه لا يليق بالانبياء ويحتمل
ان يكون الخطاب لآدم وحواء من قريش فانهم خلقوا من قصى وكان له زوج من جنسه عربية
قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة فسميا ثم عبد مناف وعبد العزى وعبد قصى
وعبد الدار ويكون فى بشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى ذا شركة
بان اشركا فيه اوذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جاء على تسميتهم آلهة
ولا يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل

الخطاب
للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واغا عبر بفعيل المبالغة فى عدم
افادة الايجاد من حيث انه مشتق بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعون الحى الجهم
فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عبادا امثالكم من حيث انها مملوكة محقرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى
قال لهم ان ضمار امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض لتر عاد عليه بالنقص فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عمل عمل ما الحجازية لوجود مثله
ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان فادعوا شركاءكم واستعينوا
بهم فى عداوتى فلا تنظرون فبادروا بما تقدرون عليه من مكروه وانتم وشركاءكم
فلا تنظرون فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى
نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا
انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اى خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد الى خذ العفو
من المذنبين او الفضل وتسهل من صدقاتهم قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف
المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تقابلهم وان نهكوا حرماتهم بمثل
افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك
من الشيطان نزغ يخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به

كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والخمس الغرز شبّهه وسوسته للناس اغراءً لهم على المعاصي واذعاجًا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع باستعاذتك عليم بعلم ما فيه صلاح امرك فيجعلك تحليه واسمع بما قال من اذاك عليهم باعماله فيجازيه عليها معينًا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهواسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفًا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي وبعقوب بطيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء وكيد الشيطان فيحترزون عنها وكانوا يتبعونه فيها والآية كالبيان والتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان الشياطين الذين لا تقوى همتهم الا على متابعة الشياطين في الغي يمدونهم الشياطين بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امده وامده كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهو كما يعينهم بالاتباع والاستمالة ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريًا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها تقوّلًا من نفسك كسائر ما تقترحه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمخلق للآيات اقترحتموها او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ تقتضي وجوبهما حيث جاء القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما وامر المأموم بالقراءة سرًا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه تضرعًا وخيفة

بصال

متضرعًا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلامًا فوق السر ودون الجهر فانه اذ خلى فالخشوع والاخلاص بالغدو والآصال اوقات الغدة والعشيات وقرئ والآصال وهو مصدر كآزال اذا دخل في الاصيل مطابق للغدة ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترًا وكان آدم شفيعًا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآياتها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال اى الغنائم يعني حكمها واما حيث الغنيمة نفلًا لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي ما يشترطه الامام لمقتضى خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر اتها كيف تقسم ومن يقسم لها جروا منهم او الانصار وقد شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فطلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفيئة تحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول للشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله سالتني السيف

وليس لي وانه قد صار لي فاذهب وخذه وقرئ يسألونك عن الانفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك اصحابك ما شرط لهم
فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمسا
فيما رزقكم الله وتسليم امر الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يهون الكلفة طاعة الاوامر
والانتهاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون
في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله
وقيل هو الرجل يريد ان يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرق اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة نور
اليقين وطمأنينة النفس وروح اليقين بتظاهر الادلة وتعاضدها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان جمعوا
اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال
الجوارح التي العبادة عليها الصلوة والصدقة وحقا منصوب بصفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقون بها بحسب اعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعدلهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال التي ذكرناها حال اخراجك للحرب
وكراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك من بيتك يعني المدينة لانها
مهاجره ومسكنه وبيته وفيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عيرا قرشيا اقبلت من الشام فيها

تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم لتيقنها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب
ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه
حجر منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى
تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب
تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه بوادي ذفران
فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه
فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال
ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام
سعد بن عبادة فقال انظر امرنا فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت
لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عدد هم وقد شرطوا حين
بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فخافوا ان لا يروا نصرته
الا على عدو هجم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا

وانا لضرب عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك مناما يقر به عينك فسر بنا
فسر بنا على بركة الله فلخصه قوله ثم قال سيروا على بركات الله وابشروا فان الله قد
وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ
من بدر قيل له عليك بالعير فانها كانت العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال
لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثار الجهاد باظهار الحق لا يثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون
انما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه اماء الى ان مجادلتهم
كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ بعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى
ثانى مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا او لذلك يتهيأ لها
وكرهوا لملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من احدة
السلاح ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال
او اوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته وليقطع دابر الكافرين وينتثر اصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي ما فعل وليس تكرير
الاول لبيان المراد وما بينه وبين مراده من التفاوت والثاني لبيان
الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصر عليها ولو كره المجرمون ذلك
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر
واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي ربنا انصرنا
على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه ينادي ربه اللهم انجز لي

ما وعدتني ان تمثلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم
بالتخفيف حذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او لاجراء
استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين الموحدين
او بعضهم بعضا من ارداف بعضهم اذا جيئ بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم
المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متتابعين
او متبعين بعضهم بعضا او متبعين معنى انهم كانوا مقدمة الجيش وساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وهي لغة
واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ بالآف وقرئ ممدكم في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله
الله اي الامداد او البشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما يساورها من الوجل
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم واما امداد الملائكة وكثرة
العدد والعدد ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها
اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم او اظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في
عند الله من معنى الفعل او بجعله او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من غشيته النوم
اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس متضمن معنى تنعسون وينعسكم ويغشاكم معناه والامنة فعل الفاعل ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون نعتا للمفعول وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابها او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت لامنة
من الله لاجلهم فغشيهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا هابت فهو نقار شر ورد وقرئ
امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب

عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش
روي انهم نزلوا في كثيب اعفر فسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فشربوا وتطهروا واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضؤا وابتلد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام
وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام
اي بالمطر حتى تسوخ في الرمل وبالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة
اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم بالنصر اذا لقيتموهم
وقوي بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير
سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير
لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع
المؤمنين اتماما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يقولون
للمؤمنين بدليل قوله فاضربوا فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح والرؤس
واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب
او الاسر والخطاب للرسول او لكل واحد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله
بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق
الآخر كالمعاداة من العدوة والمحاصة من الحص وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل ووعيد باعتدادهم في الآخرة بعد ما حاق بهم
في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات وتحله الرفع اي الامر
ذلكم او ذوقوا لكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون
الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة

على ان الكفر هو سبب العذاب الآجل والجمع بينهما وقرئ ان بالكسر على الاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى الكثرة بهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا استعير وجمع على زحوف
والنصب على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثليكم او اقل منكم
كما هو الاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان ينتصب
حالا من ضمائر الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم ويدبون
اليهم فلا تنهزموا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر
بعد الفر وتعرض العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم وهو منهم من لم يعتبر القرب لما روي ان عمر رأى كان
في سرية فجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانا متحيزكم وانتصاب متحرفا او متحيزا على الحال
والا لعد عملا له والاستثناء من المولين اي الا مجلا متحرفا او متحيزا ودون متحيز منتصبا
لاشتغاله والا لكان متحرف الا من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية
وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقتلكم
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما
طلعت قريش من العقنقل اي عليه الكلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم انا لك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
ثم لما اشتغلوا بالتفاخر فيما قتل كل منهم قال الرجل قتلت فنزلت والقاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخر تم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها
الى اعينهم

ولم تقدر عليه اذ رميت اى اثبت صورة الرمى ولكن الله رمى اى بما هو غاية الرمى
واوصلها الى عينهم حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ
يطلق على المسبّبى وعلى ما هو كالة والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى
بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور خوران او رمية سهم رماه يوم حنين
وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا اى ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
عليم بنيّاتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن والقتل والرمى ومحله الرفع
اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود
ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
الخطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين اراد والخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خيرا لكم لنفسه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصره ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء
او المضارة ولو كثرت فيئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وانّ بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كاين ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن النكاث فى القتال والرغبة
عما يستاثر به الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو
ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم
ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى كما تتولوا عن الرسول فان
المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه

على ان طاعة الله فى طاعة الرسول كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد والامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم
وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم
لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله شر
ما يدبّ على الارض وشرّ البهائم الصمّ عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عندهم
من البهائم لتوطين انفسهم شرها لابطالهم ما فيه ثوابه وفضله لاجله ولو علم الله فيهم خيرا
سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهيم ولو اسمعهم وقد علم
انه لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او لتولوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقبل كانوا يقولون للنبى أحى لنا قصيّا فانه كان شيخا مباركا حتى نشهد
له ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصىّ يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم بالطاعة وعدّ الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام
مرّ على ابىّ وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت فى
الصلوة قال الم تخبر بما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا الا اجابته
لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم
الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته وانه لا يتجبن الجهول احلنه فانه ميت
وتوبيخ كئن او معاتبة لحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال الا ومن الجهاد
فانه سبب بقاء كرامة لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة كقوله تعالى بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قرب من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل
عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه
وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نواياه
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرء

بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة
من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكرين بين اظهرهم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط مترتب
فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذان النون لا تدخل المنفي في غير القسم
او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جاءوا ظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون
نفيا بعد الامر بانتفاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه وممن في منكم على الوجهين الاولين للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا
اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب
للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا
معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة وجعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار ونظاهر الانصار وامدادا الملائكة يوم بدر ورزقكم
من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول
في المغانم وروي انه عليه السلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح
كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من الشام فابى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد

فاختار الحلقة انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب
الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحلف نفسه فقال لا والله لا اطلقها حتى يكون رسول
الله هو الذي يحلني بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل
الخون النقص كالوفاء التام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا
اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم
تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله
ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر
رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانظروا صنيعكم بما يوديكم اليه يا ايها الذين آمنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عاجلا تنجذرون في الدارين او ظهورا يشتهر امركم ويبقى صيتكم من قولهم للصبح
كذا حتى يسلخ الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويستر عليها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر
لاحقا في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعد
لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد
عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليستكر
نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يكرون بك ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا جراحا به ولا يقتلوك
بسيوفهم او يخرجوك
ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك

من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار وثبا يعتهم فريقوا فاجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امر فدخلها ابليس عليهم في صورة شيخ وقالوا من انت سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال
الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد
قومًا غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل لا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلامًا وتعطوه
سيفًا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على ذلك فاتى جبريل
النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت علي كرم الله وجهه على مضجعه
وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برة مكر بهم عليهم
او مجازاتهم عليه او سماه الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يوبه بمكرهم ودونه
مكر واسناده مثل لهذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام
الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قولهم
النضر بن الحرث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قائمهم
او قولهم الذين ايتمروا في امره عليه السلم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو
استطاعوا ذلك فما منعهم ان يتاولوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عن سنين نفر
قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استكانتهم ان يغلبوا خصوصًا
في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذات الفال البالغ في المحود روي انه لما قال النضر هذا
الا اساطير الاولين قاله النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك واعظم

ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة عقوبة على الكفر او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه هو
مبتدا غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه
النبي وهو تنزيله الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم
في قضائه والمراد باستغفارهم اتاا استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا لقوله وما كان ربك مهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه ايذاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه
غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه كما نبه على
ان منهم من يعلم وبعاند او اراد بالكل الكثير او اراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم
عند البيت اي دعاءهم وما يسمونه صلوة وما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد
او من الصدى كالبكي لان الصدى يحدر في التصفيق بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
وما قبله الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن
هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشتبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون
عليه ويروون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب

فالملام يجوز ان يكون للعهد والمعهود انتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور وقيل اعطى سفيان اتاجر
ليوم احد الفين من العرب سوى من اجتاش من العرب واتفق عليهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانها اصيب قريش بيدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
تماما ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في ذلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن
انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول
لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم
حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تحسرا وبين عاقبة انفاقا
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين
كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او العاصي من الصالح
واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون
عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من التمز
ويجعل الخبيث بعضه فوق بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكموا
لفرط ازدحامهم ويضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابا كما ال الكانزين فيجعل
في جهنم كلها اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل
للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة
الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالياء والكاف
على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت

سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين
كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وائتلامهم وعن يعقوب تعملون بالتا
على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اتيانهم
للمأثور يستدعي اتيانه مقاتلتهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بعداوتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخماس به وحكم بقي اقسامهم الرسول صلوات الله عليه يصرف الى
ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل
الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر مفوض الى راي الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة
اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلم كان ياخذ من قبضة
فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل
هو مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه السلم
قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم اراءيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم

وحرّضهنّ فإنّما نحن وهم بمنزلة قال عليه السلام انهم لن يفارقوا في جاهلية ولا في اسلام وشبّك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقر فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل للرسول والمراد بالايتامي والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دلّ عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلّموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا اثمر لم يرد منه العلم المجرّد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا

والنصر وقرئ عبيدنا بفتحتين اى الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان هم محمد من الآيات والملائكة المسلمون والكفار والله على كل شئ قدير فيقدر على نصركم على القليل العدد الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شطّ الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو الكثير استعمالا من القصيا والركب اى العير وقوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتباين بين الفريقين واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدة الدنيا كانت رقوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى ولكنا قولو لو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال من الله خارقا للعادة فيزداد والايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد

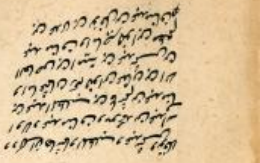



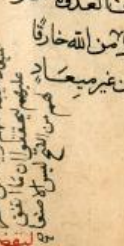

ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقًا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بيّنة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها فلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بيّنة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حيّ الكفار والهلاك والحيوة او من هذا حاله فيعلم الله وقضائه وقرئ ليهلك الفك وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيّ بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدرا دكرا وبدلا ثانيا من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك ولو اراكهم كثيرا فشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر ولتفرقت آراءكم بين الثبات والفرار واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حالا من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال لا بل هم مائة تثبيتًا لهم وتصديقًا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انهم اكلة جزور فلا تهتموا لها واصحابه اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم فتركبهم حتى يروهم مثليهم ليتفاجأهم الكثرة فيبهتهم ويكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى في الشروط ليقضى الله امرا كان مفعولا كرّر لاختلاف الفعل المعلل او لان المراد بالامر ثمّ الالتقاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يأتيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال

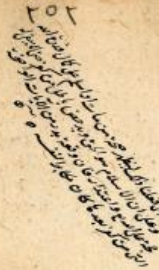

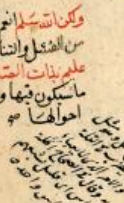



فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
متقربين للنصر لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدايد يقبل
عليه بسر خاشع وقارغ البال واثق بان لطفه لا ينفك عنه في شئ من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر والحد فتفشلوا
جواب النهي وفيه عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد
بها الحقيقة فان النصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء
الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا
ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كاس المنايا واحتفت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم
بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشئ امر
بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه
واذ زين لهم الشيطان مقدرا اذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
انه ألقى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعدتهم
وأوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات يجيرهم حتى قالوا اللهم انصر
اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبرا لغالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اى تلاقى الفريقان نكص على عقبيه

رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد مخذولا خيل اليهم انه بحير هم سبب هلاكهم وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم
لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة
تنزل الكفر وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال
اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني
اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والذين لم يظهروا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل
هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا للاياي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى بدر فاهلكهم الف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجاره وان قل حكيم
يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويعجز عن دراكه ولو ترى ولو رايت فان
لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى
والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا اخبره يضربون
وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول
حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين واذبارهم ظهورهم واستا
ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق

عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه
للدلالة على ان سببيّة مقيّدة بانضمام اليه اذ لولاه لامكن ان يعذّبهم بغير ذنوبهم
لا ان تعذيبهم بذنوبهم فان تركه التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعًا ولا عقلًا
حتى يقتضى نفى الظلم سببًا للتعظيم وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون
اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عبارة عن طريقتهم الذى دأبوا فيه اى داموا
عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير
لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كاخذهؤلاء ان الله قوى شديد العقاب
لا يغلبه فى دفعه شئ ذلك اشارة الى ما حاق بهم بان الله بسبب ان الله لم يك
مغيرا نعمة انعم بها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا
ما بهم من الحال الجميلة الحال السوء كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض
الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى ازالة دعائهم
والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما اخذوا به بعد المبعث وليس سبب
عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا احوالهم واصل يك يكون نحذفت الحركة للجزم
ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان
الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد
ولما يحيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذه آل
فرعون وقيل الاولى للتشبيه الكفر والاخذ والثانى للتغيير فى النعمة بسبب
تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة اى ومن غرق فى القبط وقتل قريش
كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا

امتروا

امتروا على الكفر وسكنوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار
عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق
المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
فى كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة
عاهدهم رسول الله ان لا يعاونوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم
عاهدهم فنكثوا وما نوهم عليه يوم الخندق وكعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون
سوء العذر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصر المؤمنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب فشردبهم فرق عن منا
صبك وكلا عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد
تفريق على اضطراب وقرئ بخفيف الذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحدفانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الورآء لعلهم يذكرون لعل
المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل بان تعلمهم
فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء الخوف والعلم
بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى نابذا على طريق سوى اونه
او من المنبوذ اليهم او منهما على غير وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ
وللنهى عن مباشرة القتال المدلول عليه بالحال على طريق الاستيناف ولا تحسبن
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعوله وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول
الاول انفسهم فحذف للتكرار وعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول فلا يحذف وعلى بقاء الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر
وان لا صلة وسبقوا حالا بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر تعليل النهى كما يجئ

257

سبيلوا فاقتلوا انفسهم لا يقوتون الله او لا يحدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا
ان كسرت ان الآية تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية اباحة لما يحذر من نقض
العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا لهم
المؤمنون لهم لناقضي العهد وللكفار ما استطعتم من قوة كل ما يتقوى به في الحرب
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي ثلثا ولعله عليه السلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي
تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول ومصدر سمي به يقال ربط ربطا وربابا وارتبط
مرابطة وربابا واجمع ربيط كنصيل ونصال وقرئ رباط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكال على الملائكة ترهبون به
تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او الاعداد عدو
الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة
وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم
الله يعلمهم بتعريفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاءه وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد
يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقراء ابو بكر بالكسر فاجنح لها
وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فانه يذكر ويؤنث
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وتخييبه
بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب
او نسخها بفضتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله فان يحسبك الله وكافيك فالجبر اني وجدت من الكارم حسبكم
ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا
والف بين قلوبهم مع ما بينهم من العصبية والضغينة فاذا في شيء والتها لك

على الانتقام بحيث لا يكاد يتالف فيهم قلبان حتى صاروا كالنفس الواحدة وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اعناهم عداوتهم الحد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال
لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه الملك
للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعجز عليه ما يريد حكيم
يعلم كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن
لا اسدها ووقائع هلكت فيها سادا تهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى صاروا انصارا والانصار يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
انا في محل النصب على المعطوف لمعه كقوله اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك
والضحاك سيف مهند والجر عطفا على المكنى عند الكوفيين والرفع عطفا
على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل
اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وستة نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال
ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم
عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ بفتح الراء
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا يعتون الله وتاييده وقرا ابن كثير وناقع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين وقرا
البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم
الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا وقتلوا ولا
يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم ونقل ذلك عليهم خفف عنهم
بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم

وكرر المعنى بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير والجمع الضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصر وكانوا مستفا وتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والعون
فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان
بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل جزره
ويعز الاسلام ويستولي اهله من الثخنة المرض اذا اثقله واصله الغلظ وقرئ
يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد
الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه
وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كعرض الدنيا كما ترى يحسبون امرأ ونارتوقد الليل
نارا والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويحكمه بها
كامر الاثخان ومنع عن الاستبقاء حين كانت الشوكة للمشركين وخيرنه بين المن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اخرج
عنا قهم فانهم ائمة الكفر وان الله غنانا عن الفداء مكني من فلان لنسيب لعمر ومكن عليا
وحمزة من اخويه فنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخرج عمر فاذا هو
فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله

سبقا بانه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما اقترحتم لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجى
منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانه من جملة الغنائم وقيل اسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للسبب والسبب محذوف
تقديره اتحت لكم الغنائم فكلوا ونحوه تنبيه من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي كلا حلالا وفائدة ازاحة ما وقع في نفوسهم
منه بسبب تلك المعاتبة فاوحرتهما على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا وانقوا الله
في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن
في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه
رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال لا تجد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقلت
خرو لبك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث لي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي تعالى قال
فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احدا الا الله
ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا كل واحد منهم يضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله وليغفر لكم والله غفور رحيم
وان يريدوا خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعقل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا للخيانة
فيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون لما هجروا
اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها

على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على عدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وابو النصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا اى من توليهم بالارث وقرئ بكسر الواو تشبيها لها بالعمل والصناعة بالكتابة والامارة كانه يتولية صاحبه يزاول اعماله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو نفيه دليل على عدم التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوا ما امر تم به من التواصل بينكم وتوالي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم المغفرة الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من يستحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شئ عليم من المواريث والحكم وغيرها بنسبة الاسلام والمظاهرة وشاهد على الاولى القراءة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له

يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمثقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والتقشقش من النفاق وهي تتبرأ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم وينشرهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وتسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اى هذه براءة من الله ومن لابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصله من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانها بريئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ما منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين فامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا وامن فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث

260

او بتهم على التولي عن الاستلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبها
ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين
عاهدتم من المشركين استثناء من للمشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد
ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه
من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي يجب للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وهذا مخالف بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء مدة الاشهر
الحرم اذ ليس فيها تزل بعدها ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث
وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ليلا
يتيسر لهم الذهاب في البلاد واستعير له على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم شيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله
غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد
لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامورين بالتعرض لهم استجارك
استامنك وطلب منك جوارك فاجره فاومنه حتى يسمع كلام الله ويتدبر
ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحذر دغل
بفعل يفتر ما بعده لا بالابتداء الا ان من عوامل الفعل ذلك الامن اولا امر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا تدمن امانهم
ريما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله

ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنى
علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال لهذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او
مامور فقال كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا
فقراء عليهم تلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان تتم
الى كل ذي عهد عهده ولعل من قال لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام
بعث كان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عشيرته او مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات
لا يبقى لاحد ليس بيننا وبينه عهد الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان
انتهلكم والله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة
واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم النحر لانه فيه تمام الحج ومعظم
افعاله وكان الاعلام كان فيه وما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقي اعماله او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله
اي بان الله بريء من المشركين من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء
او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا
على اسم ان او كان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة
وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة

استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد ان يكون لهم عهد ولا يتكثوه مع غدرهم
او كان يؤاخذهم ورسوله بالعهد وهم ينكثونه وخبر يكون كيف وقدم الاستفهام او
للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد وظرف له او ليكون وكيف على
الاخيرين حالا من العهد والمشركين ان لم يكن خبرا قبلهما الا الذين عند المسجد
الحرام المستثنون قبل وصله النصب على الاستثناء والجر على البدل والرفع على ان
الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفا وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير ناقصين مطلق وهذا مقيد وما يحتمل
الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار الاستبعاد بيانهم
على العهد او بقاء حكم مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وجدانى
محلولا انا الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف تمات وان يظهروا
عليكم اى يحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم الا حلفا ولا
قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كما السقب من رأل النعام وقيل
ربوبية لعلمها اشتق للحلف من الالة وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وتظاهروا ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقد الحلف
ثم للربوبية والذمة وقيل الاشتقاق من آل اذا رجع لانه اذا حلف احد اى من آل البر فاذا لم
وقيل انه عبرى بمعنى الاله لا ترقبوا لا يجبرئيل ولا ذمة عهدا وحقا يعاب
على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف ببيان حالهم المنافية لثباتهم على
العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم
بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم الى عدم مراقبتهم المؤمنين
بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث
ان ظهروا لم يتموا عليهم والحالية ثنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوه به افواههم وأكثرهم
فاسقون متمردون لا عقيدة ترغبهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض

الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عنهم بجرأحدونة الثمن اشتروا بايات الله
استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والزوار والقاء الملائكة على
ان استثناءهم اذا هم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما دل عليه قوله
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة هو تفسير للنكير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم بوسفين والطعمهم وأولئك
هم المعتدون في الشرك فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون
اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين واحوالهم المتباينة وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود
وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم
في الكفر حقا به بالقتال وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احقه او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم
لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان
الذمى اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان
نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان ولا اسلام وتشبث به من لم يقبل
توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين
اوليس لهم ايمان فترقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم
في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال والهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة في الفعل

نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امر بدار الندوة على ما مر
ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقد هم اليهود بنكث عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتضادوهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم
مؤمنين فان قضية الايمان ان يخشى الله قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسباء قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفاهم
بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة
ما اجيب به الامر فان القتال كما نسبب لتعذيب قوم بسبب لتوبة قوم آخرين والله
عليم بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين
حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم ونفي العلم وارادة نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم بمستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فيها
من معنى التوقع منبئة على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم

منه وهو كالمزيل لما يتوهم من ظاهر قوله وما يعلم الله ما كان للمشركين ناصح لهم
ان يعمروا مساجد الله شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما
جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامرة كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غيره وروي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ
له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي تفتخرون بها فانها قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة الا خائفا يستقيم عمارتها
لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج ودوامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لا يليق بها لقوله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ان بيوت في ارضي المساجد وان
زوارها فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به
ولانه قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين
فان الخشية عن المحاذير جبلي لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين ذكر بصيغة الترجي قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وترجيحا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا
عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلذلك يتعديان بالجر بالباء
من اضمار تقديره اجعلتم سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد

الاول قراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اى لكفرهم ظلمة
بالشرك ومعاداة الرسول فهم لا يهتدون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله وفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
اعلى رتبة والكرامة من لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم
واولئك هم الفائزون بالثواب وبنيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم وقراء حمزة يبشرهم بالتخفيف وتكسير
المبشر استعارة بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله
او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم واولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن
الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباءكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يكاد يخلو تحت التكليف والتحفظ
عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر بعقوبة عاجلة او آجلة

وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي
مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين وهو واد بين مكة والطائف حاربت فيه رسول الله
والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء
هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر وغير من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فاذل المسلمين اعجابهم
واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله في مركز ليس معه
الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة
على نبوته حين تجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا حتى عنقها واحدا يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال علي الآن حمي الوطيس ثم
اخذ كفا من التراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
اى الكثرة شيئا من الغناء او من اثر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
اى مع سعتها لا تجدون فيها مقرا اطلقت اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكان فر ولّيتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على
رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالتيهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية آلاف او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اى ما فعل بهم جزاء كفرهم

في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله
غفور رحيم بهما وعنهم وتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله
واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وسبى اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبى يوم سنسة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ من
كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن كره فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل نيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما
المشركون نجس الخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه
دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كالبدء في كبد والنزماجاء تابعا للرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقراب للمبالغة او للنهي عن قربهم
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قبلهم
من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل جدة حتى جرعن فاضلا
وانتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم التاجر من اقطار الارض
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيد للمشيئة لينقطع الآمال
الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض
وفي عام دون عام ان الله عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا

يؤمنون

يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اوائل البقرة
فايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يحللون اصل
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر
الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جرى دينه اذا اقتضاه عن يد حال من الضمير اي عن
مواتية يعني منقادين او عن يد بمعنى نسيئة يعني بأيديهم عينا بأيدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة
عليهم يعني عاجزين اذ الآء او عن انعام عليهم فانا نقاتلهم بالجزية نعمة علينا
او على الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس
تؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب
ويؤيده ان عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام
اخذها من مجوس هجر واذ قال ستنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روي انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعندما لك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما
وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من معتقديهم او ممن كان في المدينة
وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما
احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا
الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم
يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقراء عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين

على انه عزّ وجلّ مخبر عنه بابن غير موصوف بما صفه في القراءة الاخرى اتالمنع صرفه
للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيهًا للنون بحروف المد واللين ولان الابن وصف
والخبر يجلو فمثل معبودنا اوصاحبنا وهو مرتفع لانه يودي الى تسليم النسب وانكار
الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضًا قول بعضهم وانما قالوا مستحالة
لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اتاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز
عنها والاستعارة به قول مجرد يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه من قبلهم اى من قبل اهل مكة والمراد قدماءهم على معنى ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله واليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والمضارعة فيه وقد قرئ به وعنه قولهم امرأة ضهياء على تعميل
التي تشابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم فان من قاتله الله قتله
او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله
وتحليل ما حرم او السجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوا بنا لله وما امروا
اى وما امر المتخذون او المتخذون ارباباكالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا
الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهي في الحقيقة
طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على
وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلم بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويابى الله الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بتخيره وانما صح الاستثناء المفرغ
والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله

عليه

عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرره ولو كره المشركون غيرانه وضع
المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر الرسول الى الشرك بالله والضمير
في ليظهره للدين الحق وللرسول واللام في الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال لانه الغرض الاعظم
منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكنز من الاحبار والرهبان فيكون تنبيها
في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال
ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون قرائنه بالمرتين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل
عليه انه نزل كبر على المسلمين فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلم ما ادى زكوته
فليس بكنز اوعد عليه على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله
ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه السلام فيما اورده البخاري مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه
وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم
اى يوم توقد النار ذات حمى يشتد عليها واصل يحمى يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة
ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قول
ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصها بالذكر
لانهما قانون التمول وللفضة وتخصيصها القربها ودلالة حكمها على ان الذهب قرين

عمر رضي الله عنه
صفحت له

بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم واسالهم
كان لطلب المجاهبة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية فاولاهم
ازورّوا عن السائل واعرضوا عنه وولوا ظهورهم لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد ولانها اصول
الجهات الاربع التي هي مقادم البدن ومآخره وجنباته هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اى وبال ما كنزتموها وما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اى مبلغ عددها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ
او في حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت او الكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر
منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو
الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب وروثوه منهما فلا تظلموا فيهن
انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حلالها والجمهور على ان حرمة القتال فيها
منسوخة واقول الظلم بارتكاب المناهي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم
وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزاهوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا
وهو مصدر وكت عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان
الله مع المتقين بنصرة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسئ اى تاخير حرمة
الشهر الى شهر آخر كما نوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا
آخر حتى وطئوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسئ بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنساء والنساء وتلتها مصادر نسأه اذا

آخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم
يضل به الذين كفروا ضلالا آخر وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون المنسئ من الاشهر
الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل
اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان
آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدة
وحدها من غير رعاية الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين
هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأأنفلتم على الاستفهام للتوبيخ
الى الارض متعلق بما كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة
تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل
مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك
بسبب قطع كحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا
فانه الغني عن كل شئ وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله وعد له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل
واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد وجب لله

له النصر حق نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسند الاخراج الى الكفرة لان همتهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالتسكين على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكث فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف ثان لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق ابو بكر على رسول الله فقال عليه السلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعمهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه منزعج وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك تخليصا للرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المؤيد له وتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز في امره ونهيه حكيم في امر وندبه انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم وكثرتها او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او خفافا او ثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله هل لي رخصة قال انفر خفيفا او ثقيلا ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم وان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله

صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لا تبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين ويحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة والبدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم سادّ مسدّ جواب القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من يحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال بمعنى فاعلة والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطابه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدمه الايمان بهما وارتابت قلوبهم في دينهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ وعدّه بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعدّه بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن ثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى منعهم للخروج فثبطهم بخيبتهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين

تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم ووسوسة الشيطان بالامر بالقعود
او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم
وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس
كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم ولاسرعوا ركابهم بينكم بالنميمة والتفرق
او الهزيمة والتخذيل من اوضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون لهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم لينقلوه اليهم والله
عليم بالظالمين فيعلم ضمايرهم وما يأتي منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق
اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذي حرة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا وقلبوا لك الامور وجروا
لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر
امر الله على كرهك وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين
على تخلفهم وبيان ما تبطهم الله لاجله وكشف اضغانهم او هتك استارهم وكشف
اسرارهم واراحة اعتذارهم تذكار لما فارقت الرسول المبادرين الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي المعصية
والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه استعارة بالكناية تخلف اذنا ولم يأذن او في الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او فيه استعارة بالكناية في الفتنة
بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس خال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني
ببنات اصفر ولكني اعينك بمالي كما تركني ألا في الفتنة سقطوا اي اثما الفتنة حي التي
سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق كما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة
بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض

غزواتك

غزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر وشدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحرزنا
بانصرافهم واستمروا برأيهم في التخلف ويتولوا عن مجتمعهم بذلك ومجتمعهم
او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
الا ما اختصنا بايثاره وأحبه من النصرة أو الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير
بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو فيعل لا من فعل لانه من بنات لعوا لهم
صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما تصدبه وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على
غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسنى العواقب النصر والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل
انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفائدة المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كأنهم
امروا بان يتحروا فيتفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قولهم ائذن لي ولا تفتني
اعينك بما في ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يوجد منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم
كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات
غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى
متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون
على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ونوال
لهم مكافأة لا نما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون بجمعها

وحفظها من المتاعب وما يَرِدُ فيها من الشدايد والمصايب وترهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالمتع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفرهم قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يخترقون فيه مفتعل من الدخل
وقراءة يعقوب مدخلا من ادخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومدخلا
ومندخلا من تدخل وادخل لولوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ
كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب
يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في اولي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما
يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج
كان رسول الله يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم
فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا لم فاجاة نائب منا
الغاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامر وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله
فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون فان يغنينا من فضله والآية باسرها في حيز
الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويا
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات
لهوءلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون
الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب
فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كانه الجأه اسكنه

لا تقبلوا نحوه

وابن كثير بالادغام

لو لم اعدل انت

ويدل

ويدل عليه قوله تعالى انما الصدقة فكانت لمساكين وانه عليه السلم يسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله اما مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيتألف
قلوبهم واشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلعم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس من ذلك وقيل اشراف
يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس
الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه لينمي منها على اتباع الكفار وما
يغني الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله وكثر اهله سقط
وفي الرقاب والصرف في فداء الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل
بان يبتاع الرقاب فيعتقهم وقيل ما لك واحمد وابن بندى الاسارى والعدو اعز
اللام الى في الدلالة على ان استحقاق الجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها
والغارمين المديونين لا لنفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات
بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في
الله او لعامل او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق المسكين فاهدى
المسكين للغني او اكل معه عليها وفي سبيل الله والصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة
او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية
ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
والية ذهب الشافعي وعمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختار بعض اصحابنا وبه كان
يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها

على ح

صلعم وابن السبيل ح

عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقاله وصدقه
سمى الجارحة للمبالغة كانه من وظائفها حتى جعل له آلة السماع كما سمى الجاسوس
عينا لذلك واشتق له فعل من اذنه اذا استمع كانف وتخلل روعها انهم قالوا
مخبرا اذن سامعة يقول ما شئنا نقول نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم
تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموه بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله
ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم
لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق القائم بمعنى التسليم
وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان منكم
حيث يقبله ولا يكشف سترة وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جملة بل يرد نفاقكم ويرتحنكم عليكم وقرأ حمزة ورحمة عطفا على خير وقرئ بالنصب
على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف
فيهما وقرئ واذن خير على ان خير اصفة لها وخبر ان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا وتخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم
والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان النادر
وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله على حذف الخبر اى يحق له او على تكرير ان للتأكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله
يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزى العظيم يعنى الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل
على المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمير
للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرر ومحتج به عليهم
وذلك يدل على تردهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على ثبت فى امر الرسول بحتى
وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل

استهزؤا

استهزؤا ان الله مخرج مبرز ومظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه من نزول السورة
فيكم او تحذرون اظهار من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
روى ان رجلا قال فى بعض مغازيه تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء اى عزوفا بطونا
ولا اكذب السنة ولا اجبن عند اللقاء فقال رجل كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله
فبلغ ذلك القرآن فجاء الرجل الى رسول الله وقد ارتحل وناقته تعثر به فقال يا رسول الله
انما كنا نخوض ونلعب نقصر بعض الطريق فقال ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
توبيخا على استهزائهم عن ان يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يقبل بها عتذارهم الكاذب
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذار لكم فانها معلولة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم
الكفر باباء الرسول والطعن فيه بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن
طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم وانجبتهم عن الاباء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون
فيهما وقرئ بالياء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى
المعنى كانه قال ان ترحم طائفة نعذب طائفة بسبب اجرامهم اى بتماديهم فى النفاق
والبعد عن الايمان كما يعاقب الشخص الواحد وقيل ان تكن منهم فى حلمهم بالله انهم لمنكم
وتقرير لقوله وانهم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال
المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن الجهاد وقبض اليد كناية عن البخل
نسوا الله اغفلوا ذكر الله وترك طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين
هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عقابها ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته والهامهم ولهم عذاب مقيم لا يقطع والمراد
ما وعدهم او يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه

تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم
واقتفاء اثرهم وخضتم وخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا وكالفوج الذي خاضوا صح صح

من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذات الحقيقية تمهيدا
لوكالخوض الذي خاضوه واولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كرر تسجيلا عليها
بانها في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ألم يأتهم نبؤا الذين
من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابرهيم اهلكوا بتسلط بعوض واهل مدين اصحاب الايكة واصحاب مدين وهم قوم
شعيب اهلكوا بالتاريوم الظلة والمؤتفكات قرى قوم لوط ايتفكت بهم
اى انقلبت فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قرى المكذبين والمؤتفكات
صحيح وانتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير الى الشر أتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشارهم به ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان التعبير مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
بسنطيبها النفس ويطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله
التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود
لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو أسنى الاماكن التي تعرفونها ثم يميل اليه طباعهم اولا بما يقرع اسماعهم ثم وصفه

بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن مثلها
اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دارا قامة ثبات في جوار
العلية الذين لا يعتريهم فيها فناء ولا يغيرهم بعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان
من الله اكبر لانه المبدأ الكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز بالقاء وعنه
عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شئ افضل من ذلك
قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز
العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماواهم جهنم وبئس المصير
مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه السلام قام في غزوة تبوك فذكر المنافقين وعيبهم ببعض ما كانوا يقولون في القرآن وفي المجالس فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد
اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم
توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا استنام العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فصرعها واخراجه واخراج المومنين من المدينة او بان يتوجوا عيدا لله بن ابي وان لم يرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوا وما انكروا الا ان اغنيهم الله ورسوله
من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
آثروا بالغنايم وقتل الجلاس مولى فاروة امر رسول الله بديته اثني عشر الفا ودرهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل
الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم

الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار ومالهم في الارض من ولي ولا نصير
فيجيبهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا
فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى
الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا واقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال ويح ثعلبة فبعث مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
وقرآ له الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا
حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل
التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى
فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل
الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل
والمعنى فورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله او جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او الملقا مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم
يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم
ما استروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما
بينهم من المطاعن وتسمية الزكوة جزية والله علام الغيوب فلا يخفى عليه
ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب وبدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم

المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له
حتى صولحت احدى امراتيه عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر الجريد على صاعين وتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامر رسول الله ان ينثر على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا
جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم
عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد التساوي بين الامرين
في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله روي ان
عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرض
ابيه ان يستغفر له فعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لان عليه السلم
فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك سببا لخلافه حكم ما وراءه
فبين له ان المراد به الكثير دون العدد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في الكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد وكانه العدد باسره ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اياسهم من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي
القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر
بالاقلاع عن الكفر والارتداد الى الحق والتمهيد لكفر المطبوع عليه لا ينفع ولا يهتدي
والتنبيه على عدم الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم بما لم يعلم انتهى

مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم كقوله ما كان للنبي والذين آمنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو وخلفه بقوا الفا خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اباء اللدعة والتقبض لحط عز الله وفيه تعريض بالذين
آثروا عليها تحصيل رضاء ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم
لبعض وقالوا للمؤمنين تثبيطا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبارا عما يؤل اليه
حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون
الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى
طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان
كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج
الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي
للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين تعليل له وكان سقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم
لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخالفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد
منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفنه في پيراهنه الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه
وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم يبين له عن التكفين في قميصه
ونهى عن الصلوة عليه لان الصدقة بالقميص كان مجلبا بالكرم ولانه كان مكافاة للعباس
العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له
وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياءه للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره للدفن
او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي ولنا بيد الموت

ولا تعجبك

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس معتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير
الاولى واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله
بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استيذنك اولوا
الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين تعذروا
لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة
تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان
غزونا معك اغارت طي على اهالينا واموالنا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر
فيه مومنا لا عذر له او لا عذر له اصلا ومن اعتذر اذا امتهد العذر بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين وبجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا
بهما وقرا يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على ان تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد تختلف
في لغة من لا يقول معتذرين بالتصحيح او الصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا لهم لا مؤمنين

فلذلك بهم الاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب ومن المعذرين
فان منهم من اعتذر للكسلة لا للكفر عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة
في السر والعلانية كما يفعل المولى الناصح واعتقدوا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام
والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسئ فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار
معقل بن يسار ومخرش بن خشاش وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة
وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله وقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الحفاء
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فغلا الا احد فتولوا وهم يبكون وقيل هم
بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا احملكم
عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع
اى دمعا فان من للبيان وهى مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها
لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر
لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا وتفيض ما ينفقون
في مغزاهم انما السبيل للمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا
للانفة بان يكونوا مع الخوالف استيثاف ببيان ما هو السبب لاستئذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على
قلوبهم حتى غفلوا عن خيانة العاقبة فهم لا يعلمون مضرته يعتذرون اليكم
في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن
نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض

اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتنيبون عن الكفر تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم ترددون الى عالم
الغيب والشهادة اى الى من فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على
سرائرهم وعلانيتهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم
التاديب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير
فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال
انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان
والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبعد
عقابه او ان تمكنهم ان يلتبسوا على الله فلا يقتبسوا منكم ولا تغتروا بهم والمقصود من
النهى عن الرضا عنهم والاغترار باعذارهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحو منهم
الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
لطفهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر بان لا يعلموا
حدود ما انزل الله على من الشرائع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق قربة في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يريد به وانما ينفق رياء وتقية ويتربص بكم الدوائر دوائر
الزمان وتغيره لينقلب الامر عليكم فتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر والسم
نحو ما يتربصون بهم

فاعل من دار يدور وقد سمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه لما
كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات
ومعنى في مفعولي يتخذ وعند الله اما ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلوة
الرسول عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لذلك سن للمتصدق ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل
على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق رجاءهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير للنفقة سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بما طابق
الرحمة عليهم والتسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقرير قبيل الاولى
فالسد وغطفان وبنو تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا
او الذين اسلموا قبل الحجر والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل
العقبة وكانوا سبعين والذين آمنوا عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع
عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من التابعين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار وقراءة ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها
ابدا ذلك هو الفوز العظيم ومن حولكم اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من
الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم وانجع وغفار كانوا حولها نازلين
ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق
وتقديره فحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر وكلام مبتدأ

وقرأ ابن كثير وابو عمر والسوء
ههنا وفي الفتح بضم السين

صفتهم

وقرأ ورش قرية بضم الراء

حين قدم الثانية

لبيان

لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لجهلهم
فيه وتنويه في تعاميهم وتعاميهم الجد الخوفي على علياتك كالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم إن قدروا ان لبثوا على نفاقهم لم تقدروا ان لا يلبثوا
على نفاقهم سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل واحدهما وعذاب القبر واخذ الزكوة وقيل الاولى
بالمصائب في الاهل والمال والثانية عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما
بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فرآهم
فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكروا له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو
التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة
ودرهما او للدلالة على ان كلا واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم
ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم انه الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب وحب المال المؤدي بهم الى مثله
وقرئ تطهرهم من اطهر يعني تطهرهم وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي
بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم وادع لهم عطف عليه بالدعاء
والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للتائبين عليهم والمراد ان يكمل في قلوبهم قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخصيص عليها ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقا

لبيان

يقبلها قبولا من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا
كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رائكم وتبين لكم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المخلفين مرجون
مؤخرون امرهم وقرئ مرجئون من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص
مرجون بالواو وهما لغتان لا مرأة في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما
يتوب عليهم ان يتوبوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تع
والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور بالرفع والمراد هؤلاء كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي ومنهم الذين اتخذوا
الذين اتخذوا ومنصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضرة
للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ان يأتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا وقصدوا ان يصلي
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله فقالوا انا قد بنينا
مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى
فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعلوا واتخذه كناسة لبني سالم وقيل لكنس الذي يضرونه وتفريقا بين
المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا لمن حارب الله
ورسوله يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ما اجد قومنا
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين ثم هرب مع هوازن ومات
الى الشام ليأتي من فيضر بجنود يجارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل

كان يجمع اليهود يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام وقيل متعلق بحارب او
باتخذوا تسجيدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه لما قفل راجعا من تبوك سألوا
رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل
كرتر عليه فنزلت ولحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلوة والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجدا اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله
وصلى فيها ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه وافق للقصة او مسجد رسول
الله لقول ابن سعيد سألت رسول الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم
من ايام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر
احق ان تقوم فيه اي بان تصلي فيه وفيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا يأتونها مؤن عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويثيبهم
من بنا براد بنا الحي حبيبه فلما نزلت سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقالوا المؤمنون انتم فسلموا
فاعادها فقال عمر انتم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام ترضون بالقضاء
قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس فقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار
الماء فتلا عليهم ان يتطهروا فاسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان
خير ام اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة
امن اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم
فاستعير لحرفه وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما
جرفه الوادي كالرئي والقلي موضع مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانطماس ثم شبه ما نهاره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك

على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة اذ ناها وتأسيس
هذا على انهم سبب لهم صدها الوقوع في النار ساعة فساعة لمر مصيرهم الى النار لا محالة
وقراء نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واسس على الاضافة واسس بنيانهم
واساس واساس بالكسر وفلتها جمع اسة وتقوى الله ان الالف للالحاق كالتاء في كتترى
وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر بخرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناء هم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يخبر عنه بالمفرد ويوصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم
اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم
على ذلك ثم لما هدم الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد حيث لا يزول وشبه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا حبث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة
والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل وفي القبر وفي النار
وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الا ان تقطع الا ان تتوبوا وتقطع بمعنى تقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم
حكيم فيما امرهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
الله آيام الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
استيناف ببيان ما اجمله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند
الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل
والقرآن متكررا فيها كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله في الانجاز وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب
كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة والله

لم يجاهدوا

لقوله

لمجاهدوا الكفار وكلا وعد الله الحسنى وخبره ما بعده اي التائبون عن الكفر الحافظون
حدوده الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جر اصفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعائه والمانا بهم من السراء والضراء السائحون
الصائمون لقوله عليه السلم سياحة امتي الصوم سميته بها لانه يعوق عن الشهوات ولانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد
او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فرد خصلة
واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه
وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفضل الفضائل ومما يجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد انما بالسابع من حيث ان السبعة العدد التام والناس
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سيق واو الثمانية وبشر المؤمنين بعني به هؤلاء الموصوفين
تنبيه على ان الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم
الى ذلك وان المؤمن اكمل اذا كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل ويبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه السلم قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك
بها عند الله فلما قبض قال لاستغفرن لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة
خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبرها
فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل عليه الآيتين ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل
على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب لتوفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار
ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اذ الطالبين مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وعلى العد

فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر اوجوفيه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع
استغفاره ان ابرهيم لاواه بكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه
حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع تكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا ويحذرهم ولحذفهم بعد اذ هديهم
للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظرا يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر
الرسول في قوله لعمه ولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقبل اداء في قوم مضوا
على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شيء عليم يعلم ما رهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض
يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبراء عنهم راشا بين لهم ان الله مالك كل
موجود ومتولي امره والغالب عليه والمتاتي لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا
بشراشرهم اليه ويتبرؤا مما عداه حتى لا يتولوا لهم مقصودا بما يتولون ويدبرون سواه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او همّ
عن علقمة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو
بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وله مقام يتنقص دونه ما هو فيه والترقي
اليه فوقه من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده
الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها ومسافتها في غزوة تبوك كما قاله في عشرة
الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد بين الثلاثين كانا يقتسمان تمرة والماء
حتى تبرطل الفظ من بعدما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرا
حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب
فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من قبل
تاكا بدا من العسرة والمراد انه تاب عليهم ليكيدوه انه بهم رؤف رحيم

وهو محتاج الى التوبة حتى النبي
والمهاجرين والانصار لقوله
وتوبوا الى الله جميعا ايها
من احد الا ص

وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحرج
وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس
وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من مخلصه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعود الى جملة
القابلين وارجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليهم بالنعم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما امروا به ونهوا عنه وكونوا مع الصادقين فيما نهم
وعهودهم او كونوا بين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى في توبتهم
وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يضن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابد من الاهوال روي انا باخيثمة بلغ بستانه وكان له امراتان حسناوان فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته ثم اخذ سيفه ورمحه فمر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا بالراكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه فعرج به رسول الله فاستغفر له وقيل لا يغبطوا
بحذف النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف
او وجوب المشايعة بانهم لا يصيبهم ظمأ حتى من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن لا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار
يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم عمل صالح
انما استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على

الحيث ؟

المتابعة

وهو تعليل لكتب وتبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تحيلهم
اقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن تسلطهم الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثلما انفق عثمان في جيش
العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل استوعب
من ودعا اذا اتسع بمعنى الارض لاكتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون بجزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتبطلوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلد جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاقها بتحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتحصيله بالذكرى اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم في ان يتثقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتسلط في البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا وعاقبة ان يحذروا منه واستدل به على ان اخبار الآحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل قبيلة نفر او بقية طائفة الى التفقه
لينذروا من فقها لكي يتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر الاخبار الملزم تواتر لم ينفذ ذلك وقد
اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المراصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو انها لما نزلت في المتخلفين ما نزل يسبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لاداء الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير ليتفقهوا ولينذروا البواقي في الفرق بعدا الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا

بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله ﷺ بانذار عشيرته فان الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر
وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وضبر على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين
من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل
يفسره زادته ومنهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادته كالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين
وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيتعاجزون
عما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا هم يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها واستهزاء وغيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم
احد اذا قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا او انصرفوا
عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو محتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يتفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم
عنتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاحكم بالمؤمنين منكم ومنكم
رؤوف رحيم فتم الابلغ منهما وهو الرؤوف ولان الرأفة شدة الرحمة محافظة على القول
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله
الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل

فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم ح

القرآن على الا آية آية وحرفا وحرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احدا فانهما انزلتا
على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تقدم ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من
الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانكلامٌ حكيم او محكم آياته لترتيبه
على كان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس وعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب والالف
للدلالة على انهم جعلوا مجيئه لهم يتوهمون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم
من اقناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فيما كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد سفيرا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر
الناس من المال وخفة الحال وانما عوتب في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك
وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان
هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعولا وحيا وبشر الذين آمنوا
عم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخص البشارة اذ ليس للكفار
ما يبعث ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحقيقها
والتنبيه على انهم انما نالوها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وبلغاء به الرسول لساحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه
اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياه عن المعارضة وقرئ
ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول المكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقتدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته

وسبقت به كلمته وهي تجريه اسبابها وتبثها منه والتدبير النظر في ادبار الامور والتعبير
محمودة العاقبة من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم
انآلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون ادنى تذكر فتبتلكم على انه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور الى عنده
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله
او بعدلهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل الحقيق كما ان الشرك ظلم
عظيم وهو لا يجد لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بكفرهم
لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يوتي المؤمنين
بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم
سوء اعتقادهم وشؤم معاملهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بالعطف
وعد الله او على انه مصدر حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر
كقيام وجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزتين
في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء لما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وبالعرض نور وقد
نبه سبحانه بذلك على ان خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساء

وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسيرك في واحد منهما منازل
او قدّر ذا منازل والعدول وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وانا طة احكام
الشرع به ولذلك علّله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبحريان وحفص بفصل الآيا ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات
على وجود الصانع ووحدته وكماله وقدرته لقوم يتقون العواقب فانهم يحملهم على التفكر
والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعون لانكارهم للبعث وذهولهم بالكلية
عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا
اليها مقصرين همهم على لذايذها وزخارفها واسكنوا فيها سكون من لا يرجو عنها
والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهاكهم فيما يضادها والعطف
اما للتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات راسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما للتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم يرض الا بالحيوة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل
عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون جزاء
واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يودي الى الجنة او الى ارادة الحقائق
كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والمراد بهدايته في الجنة ومفهوم
الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والترديف له تجري
من تحتهم الانهار استيناف وخبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير في قوله
في جنات النعيم او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهديهم

دعواهم

دعواهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اى يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبرياءه خروا وسجدوا بسجود الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او الله فحمدوا واثنوا عليه بصفات الاكرام وان سمى المخففة
من الثقيلة وقد قرئ بها ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيل الله لهم بالخير استعجالا بسرعة اجابته لهم في الخير
حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم وان المراد شر استعجلوه لقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم لجلهم لاتيناهم
واهلكناهم وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه
الشرطية كانه قيل ولكنا لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس
الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا
او قاعدا وقائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما
كشفنا عنه ضره مر على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع
اليه كان لم يدعنا الى ضر مسه اى كشف ضره كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم لما اعرضوا عن الايمان ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح كما على ما ينبغي
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد
او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم والام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء
وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم

كانه لم يدعنا فحذف
وحذف ما حذف
كما قال وغير مسرة
اللون كان ثديها حقان

٢٨٠

نجزي القوم المجرمين نجزيكم كما نجزيهم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كما لهم
جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او
شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام
يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها
لا هي من حيث ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا يكتاب آخر
تقرؤه ليس فيه ما تستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما تكرهه
من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم
يسألوا ذلك كي يشفعهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما ينبغي لي ان ابدله من تلقاء
نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا واتى بالكفي بالجواب عن التبديل للاستلزام
امتناعا امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع
لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للمقترحين بنسخ بعض الآيات ببعض
وتبديل آية مكان آية بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك فيد التبديل الى الجملة
وتمام عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه
ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني ومن كيسي ولا ذريكم بلام التاكيد
اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لساني غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص
عنه لو لم ارسل به الا رسولا غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادرأكم بالهمز فيهما على لغة من قلب
الالف المبدلة من الياء همزة او صلة من لدنه بمعنى لدني او لغا وكما جعلتكم تتلونه
خصماء لله تدرؤني بالجدال والمعنى ان الامر ليس الي حتى اجعله على نحو ما
تقترحونه لو امرت بذلك يقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدارا وعمرا بعين سنة من قبله
من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اتاني الي آية القرآن معجزا خارقا للعادة فان عاشي

بروایة قبل

فامن

بين اظهرهم

قوله تعالى وما اضافوه الى الكناية الى الضمير
وتنبيه لقام مع علما اضافوه الى ضمير الغيبة
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانما كان كذلك
لان الظلم مضمومه وضع الشيء في غير موضعه
فاذا كانوا ظالمين بالغين اقصى غاية الظلم
الظلم الناس لزم منه ان فاقوا كل الخلق
عما اضافوه اليه بطريق الكناية

بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يباحث مدارسا ولم يتلق قريضا
ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين والآخرين
على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا تفاديا اصا فوا اليه كناية وتظليم للمشركين باقترائهم على الله في قولهم انه اتخذ ولدا
وذهولا وكذب بآياته فكفروا بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون متبوعا
ومعانيا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تتشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا
مكابرين فيه وهذا من فرط جهلهم انهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما ينفع لهم عنده قل اتنبئون الله
المخبرون بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده
وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات كما يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال
من العائد المحذوف موكدة للنفي منتهضة على ان ما يعبدون من دون الله اما ساري
او راضخ ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما
كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة ومتفقين على الحق وذلك في عهد
آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلالة في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل وبعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب للفاصل بينهم الى يوم القيامة
فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل
وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها

وقرا حمزة والكسائي هنا وفي
الموضعين في اوائل النحل والروم
بالتاء هم

وسبق كلمة بالتاخير لكلمة ابوجاد ان يكون
سنة الله دار تخليف وتكليف وذلك دار
ثواب وعقاب

فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مصالح تصرف عن انزالها فانتظروا لنزولها اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيرها واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء استتهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحطوا سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالخيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قدد تبرعقا بكم قبل ان تدبروا كيدكم واعاد الكلام على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو على الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لكثف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير وكيلكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وفي التفات وجرين بهم عن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك والتذكير الطيبة بمعنى ملقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط بهم العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو جواب لما ومفعول دعوا محذوف اي ربهم لان ظنهم اثن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا الفساد في الارض وسارعوا اليه كما كانوا عليه بغير الحق متلبسين فيه وهو حجة لان عن تحريب المسلمين دينا لان الكفر واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بالحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم وانما متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوان لا تبقى وتفنى عقابها ورفعه

الدنيا

على انه

وقرأ ابن عامر بالتاء والنون من النشر

أو سدت

على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوفا تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلالا ومفعولا فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فانتبذ بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افتعلت من عيراعلالا كما عيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كما ياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع خلتها اتاها امرنا عذاب زرعها ما يجتاحه ليلا ونهارا فجعلناها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم تنبت زرعها اي لم تلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالتاء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والمعنى به مضمون الحكاية وهو زوال الخضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والنقف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح الا الهاء وايا وليه حرف التنبيه لانه من التنبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون بها والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التنقص والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدين بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المعتزلي على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم

فجعلناها

284

والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد وذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا يزالون ابدا ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا ونعيمها فانها دار فناء والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والخبز عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل والتضعيف وكأنما اغشيت او واللتا اصحاب النار وبينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدة بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء مالهم من الله من عاصم ما مزيدة لتأكيد معنى النفى من احد يعصمهم من بطش الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حالان من الليل والعامل فيه اغشيت لان العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي وبعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له وحالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول المصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم تقسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه مزعامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم فرقنا بينهم وقطعنا الوصلة التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم اياانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانما عبدوا في الحقيقة اهواء انفسهم لانها الآمرة بذلك

الوصل

فافهم

لانا اشركوا بنا وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين وقيل ينطق الله الاصنام فتتبرأ منهم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما سلفت منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها وتجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشرك وغيره مما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزاء ايامهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم وسيدهم الذي امرهم على الحقيقة لا كالاصنام المزورة مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم وما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من السماء من على هذه المضان اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقها وتسويتهما ومن يحفظها من الآفات مع كثرتها وسرعة انقضاضها من اذ نحى ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من يتحكم الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لعرفه وضوحه فقل افلا تتقون اتسلم عقابه باشراكهم اياه فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم لا غيره الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر امركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكاري ليس بعد القول الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال

فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت التربية
لله وان الحق بعد الضلال وانهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمته
على الذين فسقوا تمرد وا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده لان اجابتهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء
يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية المهداة وانها لم ترخص نحو على سبيل الاتفاق ولذلك
عدى بهما استدل الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الحق احق ان يتبع
امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هديته فهو
اذا اهتدى ولا يهدى على ان يهدى الله وهذا احال الاشراف شركائهم كالملائكة المسيح
وعن يزيد ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهتدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقراء ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يرم البا
بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرى الا ان
يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والحالق على المخلوق وما دون فى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من يتبعهم
منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم
والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه
دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله
عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القرآن ان يفترى افتراء من دون الله من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه

مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها او يكون كذبا كيف وهو كونه
معجزا دونها عيارا عليها شاهدا على صحتها وبضبه بانه خبر لكان مقدرا وعلة الفعل يحذف
تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرى بالرفع على تقدير ولكن تصديق وتفصيل الكتاب
وتفصيلا ما حقق واثبت من العقايد والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو
ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان
يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر بتقدير كائنا من رب العالمين ومتعلق
بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير فيه ومسائل الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه وابطال ما عليه ام يقولون بل أيقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار
قل فاتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم
مثلى فى العربية والفصاحة واتخذ تمتزا فى النظم والبيان وادعوا ما استطعتم
ومع ذلك فما تستعينون بهم ان امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه
وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب
بالقرآن عاما قبل ان يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم
بشانه او بما جاء فى القرآن ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم وانما
يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم
بعد تأويلا فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق فيكذبوه والمعنى ان
القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجئوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتخصوا معناه ومعنى التوقع فيه انه تنظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم
التحدى فرارظوا قواهم فى معارضته فتصاءلت دونها والما شاهدوا وقوع ما اخبر
طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم
ومنهم ومن المكذبين من يعلم به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند

او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط عناوته وقلة تدبره
اوفيما يستقبل ان عوده على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولا آخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع لكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع
الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه
تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم
وهو كناية عن الاباء استعمال العقل السليم في تدبر وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم عبر بها بمن يركب الناعق ومنهم من ينظر اليك
وبالعكس كالذي ينعق ولكن لا يبصرون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمى في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر وتفطن لما
لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا واداة ليس مسلوب الاختيار بالكلية
كما زعمت الجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقترافهم اسبابه ويوم يحشرهم كأن
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لطول ما يرون
والجملة التشبيهية في موضع الحال اي يحشرهم مشتبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او المصدر محذوف اي حشرا كان لم
يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كما نهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا

ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء
مما تعملون لا تؤاخذون بعملي

الاخذ

البصر عدم

وقرأ حمزة والكسائي
بالتخفيف ورفع الناء

اول ما تشير اليه التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان
لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير
في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمالها ممحوا من المعاون
في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها اجلا ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك بنصرتك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك
وجواب نريتك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازيهم عليه ذكر الشهادة
وازاد تجيتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدية شهادة على افعالهم يوم
القيامة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة
يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجال له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك
لكم فأستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله أن املكه أو ولكن ما شاء الله
ذلك كائن لكل امة اجل معين لهلاكهم اذا جاء اجلهم لا يستأخرون عنه
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فيجيئون وقتكم وبخزو عدكم قل ارأيتم ان
اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات وانتم نائمون او نهارا حين انتم
مشتغلون بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه
وكله مكروه كالايذان بالاستعجال وهو متعلق بما بعده لا بمعنى اخبرني والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لاجرامهم ينبغي ان يفروا اليه من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه

فلا تستعجلوه

ندموا

وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستهزاء او تعرضوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني ويكون الجملة متعلقة بالتيم او بقوله الم ار اذا
ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الآن على ارادة القول
اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر
ذوقوا عذاب الخلد الموئلم على الدوام هل تجزون الا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصى
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد والوعيد والبعث تقول بعثت
اما اطلق تفسيره قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله
لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار وبرهانه انه فرع الحق وهو فاسد تعريض باطل والحق بباطل
والضمير مرفوع بسادا مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موقع النصب بيستنبئونك قل اى
ورتى انه لحق ان العذاب كائن وما انتم بمعجزين الله بالفرار منه قيل ان الضمير للقرآن واى
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق فيقال اى والله ولا يقال
اى وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدى
على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب
من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا
مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها
لان اخفاءها اخلاصها او لانه تعالى سلب الخبر التي لخاصته من حيث انها تخفى ويضن بها
وقيل اظهروها من قولهم سر الشئ واسر اذا اظهر وقضى بينهم بالقسط وهم
لا يظلمون ليس تكريرا للاول بل قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة للمشركين
على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتبنا ولهم للاولة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان
وعد الله حق ما وعد من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون

لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيى ويميت في الدنيا
فهو يقدر عليها في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة
لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية
الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة
النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق والبين ورحمة
للمؤمنين من حيث انزل عليهم ليخرجهم بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمقاعدهم من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القرآن والباء متعلقة بمحذوف تقديره بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد
والبيان بعد الاجمال وايجابا باختصاص الفضل والرحمة بالفرح وتفخيما لما عليه قد جاءتكم
وذلك اما ان ترجع الى مصدر اى فبمجيئها فليفرحوا والباء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان
فرحوا بشئ فبهذا او الثانية بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات
موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وقد روى مرفوعا وبون به
انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو خير ذلك وقرئ
ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون ايها الخاطبون
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الترزق منزلا لانه مقدر في السماء محتمل
باسباب منه كما وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني وكم دال على ان المراد
منه ما احل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذا بالغام
وحرمتم حجرا في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم
في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز
ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار

وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لانذارهم على الله
على الله الكذب اى شئ ظنهم يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن ووراء بهام الوعيد تهديد عظيم ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال
الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون فى شأن ولا تكون فى امر من
الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى وما تتلوا منه للشأن تلاوة
القرآن معظم شان الرسول لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله وقيل
تتلوا من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفى والقرآن واضمار قبل
الذكر تربية لتفخيم له او لله ولا تعملون من عمل نعم للخطاب بعد تخصيصه عم هو
واسهم تعميم الخطاب بعد تخصيصه ولذلك ذكر حيث خص ما فيه وذكر حيث عم
ما تيسر والجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه
تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه
وقرأ الكسائى بكسر الزاء هنا وفى سبا من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباءة
فى الارض ولا فى السماء اى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف مكانا غيرهما ليس فيهما
ولا مستقلا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى جاليها والمقصود منه هو البرهان
على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين كلام برأسه مقرر
لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدلا الكسر لامتناع الصرف او على محله
مع الجار وجعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من طوارق مكروه ولا هم يحزنون
على ما خلفوا والآية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا
يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى فى الحياة الدنيا وهو ما بشرهم به المتقين فى كتابه
وعلى لسان نبيه وما يسرهم فى الرؤيا الصالحة وما يبشر لهم من الكرامات وبشرى الملائكة

عند النزع

عند النزع وفى الآخرة بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان
لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب والرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء
وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعد كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم
اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما يعنى انا العزة
لله جميعا استيناف يعنى التعليل وبذلك يقرأ بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم
لانا القادرة لله جميعا لا يملك غيرنا منها شيئا فهو يقهرهم فينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزائمهم فيكافيهم عليها الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له نداء شركاء فهو الدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون
شركاء مفعولا يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع و
موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء
من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم تتبعون فيه
كفعل اولئك الذين يدعون يتبعون الى دينهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان
وما بعد مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاء رايهم وانهم الا يخرصون
يكذبون فيما يبنون الى الله او يخرصون يقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوجد
هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل للتبصر فيه
تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع
تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى بنتاه سبحانه تنزيه له عن التبنى فانه لا يليق الا بمن يتقوله

الولد

وتعجب من كلتهم الحمقاء هو الغنى علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مستحيل عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا تقرير لما
ما اقامه من البرهان مبالغة في جهلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
اوتعت له أم بعندكم كما قبل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا
تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقايد كلها تبطلها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون
على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا يفوزون من الشر ولا
يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اى افترائهم متاع في الدنيا يقيمون به
رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اى لهم متع في الدنيا
ثم الينا مرجعهم بالموت فنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبرا مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت لكما
لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او فيما يعمل الدعوة وتذكيري اياكم
بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اى مع شركاءكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المستتر بجاز من غير ان يؤكد للفصل
وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل
محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم والاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اتم وجه يمكنهم ثقة بالله تعالى وقلة مبالاة
بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه
اذا ستره او ثم لا يكن حالكم علي غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدونني به وقرئ ثم افضوا بالقاء اى انتهوا الي بشركم
اوابرزوا الي من اقضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن
تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لتظنوا علي انما اريد منكم اجرا يثقل عليكم اداؤه
ان اجري ما ثوابي على التذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا المخالف امره ولا ارجو عنه
فكذبوه فامنوا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين آياته فوليهم ليس الا لعنادهم وتردهم
لا لجوم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له
ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كهود وصالح الى قومهم فجاؤهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان
يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله آياتهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين نختم عليها
حسبما اقتضته جناياتهم في الضلال واتباع الهوى وفي امثال هذا دليل على ان الافعال
واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا بالآيات
ركبوا رؤوسهم واجتروا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا لسن فرط تردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر وفائق في فنه
واخر فيما بين اخواته قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف الحكي المقول لدلالة
ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون سحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوا
اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى تقولون
للحق اتصيرونه من قولهم فلان يخاف الفاقة كقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن
المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان كذلك
لاضمحل ولم يبطل بحر السحر ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل
سحرا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا

اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا وتلفت الفعل الخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر
على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما ستاه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو والسحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه وخبر مبتدأ محذوف تقديره أهو
السحر أو مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر فساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق بكلماته
بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته وقوله المجرمون ذلك فما آمن لموسى الا
ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بنو اسرائيل الذين بعثهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو
مؤمن آل فرعون وامرأة آسية وخازنه وزوجته ومشاطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية والقوم ان يفتنهم ان يعذبهم
فرعون وهو بدل اشتمال منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان
بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها او لمتمرن في الكبر والعتو
حتى ادعى الربوبية واسترق اشباه الانبياء وقال موسى لما رأى خوف المؤمنين به يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل
فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام خلوصه فانه لا يوجد مع التخليط وتظهير ان دعا لا ترد
فأجيب إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين وذلك

سيحقه

اجيت

اجيبت دعوتهما ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنوا بنا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم شاهدتهم وفي
تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا ليجاب دعوته وأوحينا
الى موسى واخيه ان تبوآ ان اتخذا مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني
الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول ما امروا به لما
يظهر عليهم الكفرة فيؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصر في الدنيا
والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يختاط به
رؤس القوم جثنا ورتم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد
ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة
الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر مبالغة على طريقة
احولهم انه لا يكون غير كقولك لعدو الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة
بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان آتاءه النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
كأنهم لما جعلوها سببا في الضلال فكأنما اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاولى تأكيدا
وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق واشدد على قلوبهم اي اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما
دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانهما كانا يؤمنان فاستقيما ربعين
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين وكأنها نون التوكيد من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى عبروا انطاقا فاتبعهم فلحقهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المزاد لغة كأصعد وصاعد
فاتبعهم فادركهم بقال بعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين

وعادين والنبي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه
اى بانه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائى
انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا آمنت فتكتب عن الايمان اول القبول
وبالغ فيه حين لا يقبل الا ترى الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين عن الايمان
فاليوم ننجيك ببدنك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض لبراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب نجيك من انجى وقرئ بالحاء اى نلقيك بناحية
الساحل ببدنك فى موضع الحال اى عاريا عن الروح او كاملا سويا وعريانا
من غير لباس وبدرعك وكانت لا درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى اجزاء
البدن كلها كقولهم هوى باجزاء سابح وبدروعك كانت مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك
آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما حيل بينهم ان يدعوا
انه هلك حتى كذبوا موسى عليه السلم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على متن يم
من الساحل او لمن بعدك من القرون اذا سمعوا ما لك فيرتدع به من شاهدك غرقا وهلاكا
عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لمن خلق انه كثيرا من الآيات
فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمدته كشف تزويرك واماطة
الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال القدرة وعلم وارادة وهذا الوجه ايضا محتمل على التنوير
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا
انزلنا بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم
من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا
من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او فى امر محمد عليه السلم الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين

من القصص على سبيل الفرض والتقدير

يقرأون

يقرأون الكتاب من قبلك فانه تحقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك
والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها
او وصف اهل الكتاب بالتسوغ فى العلم بصحة ما انزل اليه وتصحيح الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلم لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب
للنبى والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لساننا
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من حملجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى
حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واعلم انه لا مدخل للمرية فيه بالكلية
فلا تكونن من الممترين بالتزلزل اعتمالت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب لا يؤمنون
فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم
وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت فرية
من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون
فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم
يونس لما آمنوا اولما اولوا اما رة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم
عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التخضيض
معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال فما آمنت اهل
قرية من القرى العاصية فينفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل
ومتعناهم الى حين الى آجالهم وروى ان يونس عليه السلم بعث على نينوى من الموصل
فكذبوه واصروا على ما هم عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل اربعين فلما دنا الموعد
اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا بصدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم

وصيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرة فانه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه لم يؤمن لا محالة والتقييد بمشيته الجاء خلافا للظاهرية افانت تكره الناس بالم ربنا الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيته بانا وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيته مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزل له ذلك فقرن بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا باراده به واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقراءة ابو بكر ويجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اى تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا واعمل فيه ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم وتنزل بائر الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي فاني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الاستقبال ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء انجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب كافة

ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين عادل عليه العقل ونطق به العمى وحذف الجار ومن ان يجوز ان يكون من المطر مع ان وان ان يكون من غير كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركت ذا مال وذا نشب وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير انه اكد غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل به على ايقاع الفعل عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستقامة فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن شبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي اراده لك ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر من لازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لكن مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فترضوا الرحمة ولا تيئسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يجئكم عنه فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بعدما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم

بوكيل بحفيظ موكولا اليه امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالاشتمال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بيونس وكذب به وبعده من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهي
مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا
يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات
السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالامر والنهي وجعلت حكمة منقولة من حكم اذا تقن
اذا صار حكيما لانها مشتملة على اتم الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد والعقائد
والاحكام والمواعظ والاخبار او جعلها سورا وابوابا نحو آ وفصل فيها وقص لجمعها
ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او احكمت آياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم والتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة احكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها
على الكل ما ينبغي اعتبار ما ظاهرا ومخفيا ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او قيل
ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول وجوزان يكون كلاما مبتدأ للاغراء
على التوحيد او الامر بالترك عن عبادة الغير كانه قيل اتركوا عبادة غير الله بمعنى انني لكم
او اتركوها تركا بالعقاب على الترك والثواب على التوحيد
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم
توبوا اليه بالطاعة وجوزان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا
يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او الذي يهلكون عنده لا محالة
لا استيصال ولا ارزاق واكتساب وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مستتبعة بالاضافة
معلقة

الكل واحد فلا تتخير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله
فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا
فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد
ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شئ قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
ويميلونها عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام او يولون ظهورهم
وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون وحذف احد تاءيه
تثنون من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم ومطاوعتهم صدورهم
للنبي وتثنين من انثنى كاليا ض بالهمز ليستخفوا منه من الله بترهم فلا
يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا اخفينا
سفوننا واستغشينا ثيابنا وطويناصدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت
في المنافقين وفيه نظر لان الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسترون
في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى
عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او القلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما قال يلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكيد فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اما كنها في الحيوان والمياه او الاصلاب والارحام او ما
من الارض حين وجدت بالفعل ووضعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
كل في كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه
الاولى اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها كونه قادرا على الممكنات بأسرها
تقرير للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض

بيانهم

في ستة أيام اى خلقهن وما فيهن كما مر بيانه في الاعراف وما في جهتي العلو والسفل وجميع التحولات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لامكان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول الحادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اى خلق ذلك كله ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه وجودا اولما لا فتستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى بما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة المفضل والاختبار الشامل لعرفي المكلفين باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على الحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل عملا وعلما ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكر الاشارة الى القائل في الخديعة والبطلان وقرأ حمزة والكسائي لما ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرتنا او ان يكون ان بمعنى عل اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بامكان لعدوهم من قبيل ما الاحقيقة له مبالغة في الكذب ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة

ولئن

ولئن اعطيناه نعمة تحيث تجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاء من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وذكر اختلاف الفعلين نكتته لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني الحاصلة التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر اد في تحمل الاذاقة ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لانه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر ليسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وقد يخالف راي المشركين مخافة رديهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصده عنه ومن عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقصير في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض للاضياء ضيق صدره بان تتلو عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستغناء او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير فيه لما يوحى اليك اى لعلك ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي وعلينا الباقي رد والا فترجحا فانا لك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهمزة لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور لما عجزوا عنها تحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عندانفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بالتهاكم اقدر لعلكم القصص والاخبار والاخبار

وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على
المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما ادعوتم اليه
وجمع الضمير اما للتعظيم الرسول والاولا المؤمنين كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انهم اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب
عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان
لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه
غيره والظهور عجز آلهتهم والتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بالعجز عليه
وفيه تهديد وقنوط من ان يجيبوا لهم من يأس الله انهم فهل انتم مسلمون تاركون
على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجاز مطلقا ويجوز ان يكون الكلام
خطابا للمشركين والضمير لم يستجيبوا لهم اي فان يستجيبوا لكم الى المطلوب
لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وانما دعاكم اليه من التوحيد حتى فهل انتم داخلون في الاسلام
بعد قيام الحجة القاطعة فان في مثل هذا الاستفهام الجاب لما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال المعذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبر نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا
من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء لان الله يوفيها
ووقف على البناء للفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه
كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استوفوا بما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة وحبط
ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله في العمدة

في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ماكانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان بكل واحد من الجملتين
علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او نعت لمحذوف اي عملا
كقوله ولكن احذر ما من فيزر وكلا م وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه
برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه هؤلاء المقترين همتهم وانكارهم على الدنيا وان يتقارب بينهم في المنزلة
وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي ﷺ وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله ينتهد لصحته
وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فانها
ايضا تتلو في التصديق والبينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير يتلوه
اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلوا القرآن شاهد من كان على بينة دالة
على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة اماما
كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم فالنار موعده يرد ها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهي لغة
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لغلبة تقليدهم واختلال فكرهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزل او نفى عنه ما انزل
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويفرق اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد

كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين توهيا عظيم
متاخيق بهم حيث ذلظلهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها الرجوع
بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد
كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اى ما كانوا معجزين الله
في الدنيا ان يفوتهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب
ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد واديم يضاعف لهم العذاب
استينافا وقراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب بتضعيف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لنفاذهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله
وكانا العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما انتفاء من ولاية الآلهة بقوله
وما كان لهم من دون الله اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله ايضا
لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها وخسروا ما
بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم
في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين والكل خسرانا منهم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت
وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع بجوز ان يراد به تشبيه الكافر
بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لصاته عن استماع كلام الله تعالى
وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مختبرا باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى
والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقولك الصانع فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
والاطباق

هل يستوي

هل يستويان الفريقان مثلا تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال
والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بالتح وقرا نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان
يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم
مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة
جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نريك
الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك
اتبعك الا الذين هم ارادلنا اختاءً جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم
كالاكابر او ارذل جمع رذل بادي الراى ظاهر الراى من غير تعمق من البدو او اول
الراى من البداء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقراءة ابو عمرو بالهمز
وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادي الراى والعامل فيه
اتبعك واما استرذالهم لذلك ولفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا الظاهر اسن الحيوة
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين
ايها في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة تشاهد بصحة
دعواى وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة والنبوة فعميت عليكم
فخفيت عليكم فلم تهتدوا لها وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة الا ان
خفاءها توجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها
للاختصار لانه لكل واحد منهما وقراءة حمزة والكسائي وحفص فعميت اى
اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها
وانتم لها كارهون لا تختارونها لاستثقالكم فيها وحيث اجتمع ضميران ولا يثنى

297

احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا خبلا ان اجري
الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين قالوا
طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عند الله او انهم ملاقو ثوابه
ويفوزون به فكيف أطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم
او اقدارهم او في التماس طردهم وتستفهمون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرني من الله يدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا
اقول لكم عندي خزائن الله رزقا واموالا حتى تجحدتم فضلي ولا اعلم خزائن ٣
الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني
استبعادا او حتى علم انه هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب
وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتيكم في الدنيا
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيأ من ذلك ولا ازدراء
افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى
الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة مناله دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او فأتيت بانواع
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد
فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين
يدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
وجزاء جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم

وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جدالهم كلام حق لا باطل وقدم دليل
على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم
ان يهلكم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتفرد بكم
وفقا ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه
من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس
الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والرعاية على طريق التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى الكف
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ سخروا منه استهزؤا به
لعمله السفينة فانكان يعملها في برية بعيدة من الماء او ان عزته وكانوا يضحكون منه
ويقولون له قصرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرة الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعذبه كما ايتم ويحل عليه وينزل ويجل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم
وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما من الشرطية
او حتى حرف ابتداء بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يغور
والتنور تنور الخبز يدل عليه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
او في الهند وبعين ورزة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع

قلنا احمل فيها من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين
اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل
زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد
امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان
وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام
ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روى انه عليه السلام
اتخذ السفينة في ستين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحوش وفي اوسطها
الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وجعل اذ لك ركوبا لانهم
في الماكل كالراكب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اى
اركبوا فيها مستمين الله او قائلين بسم الله وقت جراتها وارسائها او مكانهما على ان
المجرى والمرسى للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جعلا
من مبتدا وخبرا اى جريها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلته والخبر محذوف وهي
اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او محل مقدر من الواو والهاء في وقال اركبوا
كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مبتدا محذوفا كقوله ثم اسم السلام عليكما وقراه حمزة والكسائي
وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها من رساه وكلاهما
يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اى
ولولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه
اركبوا اى فركبوا مستمين به وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها
كالجبال
وما قيل

وما قيل من ان الماء طبقها بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه
ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان سخ فلعل ذلك
قبل التطبق ونادى نوح ابنه وقرئ ابنها وابنته بحذف الالف على ان الضمير لامراته
وكان يدبيه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على البدل ولكونها كالية
تسوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل
للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينه والجمهور كسروا
الياء لتدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها
في بعض المواضع الاولى باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه
فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية
عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما
ولا تكن مع الكافرين في الدين او الانعزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء
ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله
او لا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون ردع للكان يكون اليوم معتصم من جبل
ونحوه يعصم اللاذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى
لا ذا عصمة كقولهم في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله
يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين
فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نودينا بما ينادى
به اولوا العلم وامرا بما يامرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينا فيهما
لا امر المطاع الذي يأتمر المنقاد لحكمه الى امتثال امر مهابة من عظمته وخشية
من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر
واتجز وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت على الجودي جبل بالموصل
وقيل بالشام وقيل بآمل رووا انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم
واستقرت السفينة

هذه الصفحة من نسخة محفوظة في مكتبة ...

فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا يحب لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفظها وحسن نظمها والكلام على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل بانه متعين فى نفسه مستغن عن ذكر اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سواه الواحد القهار ونادى نوح ربه واذ ظرف نداء بدل اشتمال عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى فان النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى مما حاله وفعاله لم يتضح ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم اولا تك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالمتدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واثباتها بقوله انه عمل غير صالح فان تعليل النفى لكونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقولهم الخنساء نصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائى وخلف انه عمل اى عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك فانا سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد نجاة اهله استنجازه فى شأن ولده او استفسار المانع للانجاز فى حقه وانما نهاه جهلا ونجره منه بقوله انى اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال والمعنى عن السؤال لكن اشتغاله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنى فحذف احدى النونين الوقائية لاجتماع النونات وكسر السين للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وانثبتها نافع برواية ورش فى الوصل قال رب انى اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل

ما ليس لى به علم مالا علم لى بصحته والا تغفر لى وان لم تغفر لى ما فرط منى من السؤال وترحمنى بالتوبة والتفضل علىّ اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك وزيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة وهى الخير الثابت وعلى امم ممن معك وعلى امم الذين معك سيمولون امما التحقيق بهم ولتسبب الامم منهما او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اى ممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذريته من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك وحال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسعفوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذيتهم كما صبر نوح ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور ومحله ان انتم الا مفترون على الله بالاخبار الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب بكل رسوله قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تتجه ما دامت مسئولة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرته بالايمان ثم توبوا اليها بالتوبة وايضا التبرى عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله

والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير المطر ويزدكم قوة الى
قوتكم ويضاعف قوتكم واغاراعيهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع
وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود عليه السلام على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل
ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لما عادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حالا من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتخلط الخرافات
والجملة معقول القول والاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن قولهم
الحقاد بان اشهاد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفي ضمنه عن اضرارهم تاكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير
انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يقدروه
ليريهم بذلك ان آلهتهم التي جاهدوه لاجله لا تضر ولا تنفع فكيف تكون من امر اهلاكه ما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة القتال العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتبتلهم عن اضراره ليس الا بعصمته
اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي وما لكم لا يجوز ان
اغلبه ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي اتاه على الحق والعدل لا يضيع عند من يعتصم

ولا يضروه شيئا فان توليتم فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت
ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بانه يهلكهم ويستخلف قوما
آخرين في ديارهم واموالهم وعطف على الجواب بالواو ويؤيد القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل ان تتولوا لم يعذني في ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن
جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضر شيئا
ولما جاء امرنا عذابنا اوامرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو
السموم وكانت تدخل الانوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به
تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم
معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اتت اسم الاشارة باعتبار القبيلة
او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم عصوا كلهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا باطاعة كل رسول
واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عنودا وعندا
وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم
الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والا ايذان الى ان
استحقاقهم للبعد اجرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وهو انشأكم من الارض هو كونكم منها لان
فانه خلق آدم وسواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها اعتركم

301

واستبقاكم سن العمر او اقدركم على عمارتها او مركم بها وقيل هو من العمر بمعنى
أعمركم فيها دياركم ويريثها منكم بعد اضرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب قريب الرحمة مجيب لدا عيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
لما فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور او ان
نواقفنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاءنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من اراباه وذى ريبة على الاسناد المجازي
سن راب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة ومن
الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن
باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسرونني بابطال ما يمنحنيه الله به والتعرض لعذابه
او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان أنسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم
آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة
ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم وفي داركم الدنيا ثلثة
ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه
فاتسع فيه باجراء المفعول كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز
وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه ووعد غير مكذب على اسناد
كالمجلود المعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن
خزي يومئذ اى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيامة وقراء نافع والكسائي هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح

على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز
القادر على كل شئ والغالب عليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا
ربهم بترك ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر
وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود وحمزة وحفص ان ثمودا هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح
الدال من غير تنوين وتنوينها الكسائي بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا
سلاما سلمنا عليك سلاما ونصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
انتم كما وجوابه سلام وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة
والكسائي وخلف سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد بالصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه بها وفما ابطأ في المجيء به أو فما تأخر
عنه والجار يحذف مقدرا ومحذوفا والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر
وذلك من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال ليقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل
اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف
ان يريد وا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والاتجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا
له لما احتوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم
بالعذاب وانا لم نرد اليه ايديهم لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او بايمانها
او بايمانها فانها كانت تقول لابراهيم اضم اليك لوطا فانا اعلم ان العذاب ينزل بهذا
القوم وقيل ضحكت حاضت فالوعد هنا بالبشارة بالولد ولم تعرف حقا
تأويلها ان تحيضا ومنه ضحكت الشمرة اذا ارادت ان تصفرها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما قبله

الكلام وتقديره وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق وعلى لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولودة من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث ان وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد الولادة فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل ألد وانا عجوز آلبة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهل سنجاب حين جرت العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط الرحمات والمعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغرب عاقل فضلا عمن نشأت وتمادت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط مجادلة رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما اجري مجرى المضارع على حكاية الحال الماضية في سياق الجواب بمعنى لما ذهب لجواب لو او دليل جواب المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذا فاقبلا يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير معجل على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب

الله ٩٣

والتاسف على الناس منيب راجع الى المقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدر بمقتضى قضائه الالهي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانتهم آتيهم عذاب غير مرد ومصروف عنهم لا دعاء ولا غيره ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان فظن انهم انا سيخافون عليهم ان يقصدهم قومه فيخجل عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئ باتمام السين الضم والكسر والملك والباقون باختلاس حركة السين وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من امثاله ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فذللهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبون حتى قبل اولئك بخبثهم وعدم كفائتهم لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طاريا وفيما بلغة في تلك خبث ما يريدونه حتى قال هن اطهر لكم منه واظهار السنة اقتضته من ذلك كما يرقوله وقيل المراد ببناته نساءهم فان نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وقرئ ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم اطيب فعلا وقرئ بالنصب على الحال كقولك هذا بسرا طيبا من المنصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن ضمير بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فاتقوا الله بترك الفواحش او باياي ردهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او لا تجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق بحاجة وانك لتعلم

ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو اني لكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم أو آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم بعشيرته يركن اليها في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوى بالنصب باضمار أن كانه قال لو ان لكم قوة أو أويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم رووا انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى ضررك بل نحن نمنعك ونحميك فافتح الباب واخرج عنا فعند ذلك فتح الباب فضرب جبريل جناحه فطمس اعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر بأهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف ولا ينظر الى وراءه والنهي للفظ احد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء من قوله فاسر بأهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب انقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز ذلك القراءتين في انه خلفها مع قومها اظلم نحرها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه واه فادركها حجر كان القوافل لا يبرح حاملها على المسار المتنة وقلة والاول اوجه لان الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غيره الافصح ولا يلزم من ذلك انه نهي لها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ويجوز جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لما استعجلوا الوقت واستبطأوا العذاب فلما جاء أمرنا عذابنا اوانيانه ويؤيد الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسند الفعله

من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلم ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطر عليها على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من سجله اذا ارسله وأدر عطيته والمعنى من مثل الذي نرسل أو من مثل العطية في الاذرار أو من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضيد معدا للعذاب بهم أو نضد في الارسال يتتابع بعضه على بعض كقطار الامطار ونضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة بياض وحمرة او ببسيما يتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلم سأل جبريل عليه السلم فقال اخشى ظلما على امتك مما من ظالم منهم الا وهو بمرصد يخسف عليه من ساعته الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد والى اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم وبسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو تعليل الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يبقي منكم احدا وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وصف العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بما يقتضيه بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انهم كما يكلفهم الكف عن تعمد التطفيف لاجلهم الشحي لم يبقوا ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب

غيرها مورثة وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تغيبوا بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس الكسر كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والخيانة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلم وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان توصفوا فان خيرتيتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي فيما اقوله لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات الصالحات وقرئ تقيته الله بالتاء وهي تقواه التي تكلف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد انذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء بزعمهم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاه اليه خطرات وساوس من جنس ما يتلهى به المتعبدون وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي بالافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نزلك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فاراد ونا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تحكم بوقوفه وتصدر عن رشده بصدد ذلك او علموا انكارا سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد الما يغين عن المبادرة الى مثله ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اخبرني الما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اخبرني الى ما آتاه الله من الحلال الخلاص وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا

الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في خبيره والخائف في امره ونهيه وما ننازعكم الا انكر عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الآباء والضنة به للتعاون عن عن يا غانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهيكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لم ترتكبه ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولي عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انهاكم عنه وهذه الاجوبة الفاضلة على هذا النسق عنوان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احقوق فيما بينه وبين ربه واعلاها حق الله وتانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى بحر التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق على الفعل لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الله والاستعانة به في جميع امره والاقبال اليه بشراشره وقطع اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداواتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان صلة انا نافي مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين كسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي المفعول والاول افصح فانا جرما قل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فهم او ليسوا ببعيد منكم

في الكفر والمتاوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم في
وما هم بشئ بعيد ولا يبعدان يشوى ما محاله ابن المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر
كالتضليل والتهديد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم
الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بين ذوية
وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم
وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لسذاجة اذهانهم
نفوسهم وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا ومعينا لا عز عنه
لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التنقيد بالطرف ومنع بعض
المعتزلة استتباع الاعمى فيما على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من سطوتهم فان الرهط لما كانت للعزة
وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك بأن نحملا حجارة واشعب وجهه وما انت علينا
بعزيز فيمتنعنا عزتك عن الرجم وهذا يدين السفيه المجروح تقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد ورد ايلاء الضمير حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم
عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به وعدم ائتمار كم برسوله فلا تتقون على الله قال تتقون ح
وتتقون على ارهطي وهو يحمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر وتتقون ح
والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شئ منها فيجازي
عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون لتأكيد التصريح بان الامر كذلك
فيما عليه سبب لذلك وحذف مفعوليهما لانه جواب سائل قال فما ذا يكون بعد ذلك فقيل
البلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه الا انه فسيم له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق لي انهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب

منكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا انا قوله لكم
اني معكم رقيب منتظر وقيل بمعنى الراقب كالضريم والمراقب كالعسير والمرتقب كالربيع
ولما جاء امرنا بمجيء ما وعد به نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة
عاد واخذ بسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد
الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين مبتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر
تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر
المكسور ولقد ارسلنا موسى آياتنا بالتوراة والمعجزات وسلطان مبين هو المعجزات وافرادها بالذكر
القاهرة او العصا وافرادها انها اعمرها وبجوزان يراد بها واحدة ولقد ارسلنا بالجامع
بين كونه آيات وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع
والمبين يختص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او ما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة وما اتبعوا
طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة
من العقل لفرط جهلهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد
وانما سوغ مجئ محض ضلال لصريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه وبئس الورد المورود
النار لمنزلة الماء فسميت موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي وردوه
يراد فانه للتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون

برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن اهلا ان يرشد او تفسير له على ان المراد بالترشيد ما يكون
مآلهن العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اى يلعنون
في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد
ما يضاف الى غيره لتقويته والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك
اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم كالزرع
القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة
وقيل الجار من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم بالهلاك اذ ايام
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم
ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
حين جاء موعد عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك وتخسير وكذلك ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالنصب على هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر
اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المخبر على المخبر عنه وهي حالية من القرى وهي
في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم اجريت عليها وفائدتها الاعتبار بانهم اخذوا
لظلمهم وانذار كل ظالم بان يظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد
غير مرجو الخلاص عنه وهو تعليل بالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اى فيما ذكر من الاهلاك
المهلكة او فيما قصصناه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عقله
لعلمه بانها من آلهة مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحالها
هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام
لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع
له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على اثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه كما حالة
وان الناس كيفما كانوا مجموعون عنده فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارض
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار او مشهود اى كثير
الاشهاد ومشهدهم والخلائق

شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لتبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر
الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
على حذف المضاف واراد بمدة التأجيل كلها الجملة منتهاها فانه غير معدود يوم يأت
اى الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان تأتيهم الساعة بمعنى جاءهم او الله تعالى كقوله هل
ينظرون الا ان يأتيهم الله وبغير واقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء
عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وتنجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف
ويحتمل نصبه باضمار اذكر او الانتهاء المدلول الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر والمأذون فيه هو الجواب الحق والمسموع منه سمي الاعذار الباطلة فمنهم
بقضي شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد
والضميران لهما الموقف وان لم يذكرا لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم او للناس فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بحال من تناول
الحمار على قليه والحشرج في روحه او تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا
بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار
بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد
والمبالغة بما كانت العرب تعبر به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامهم الا من قبيل المفهوم
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات
الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الآخرة لا بد لهم من ظل وقل وفيه نظر لانه تشبيه بالاغلب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء
ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك

كان في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وسئل المراد
بالاستثناء الثاني فانهم مقاربون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا
معين ينتقض باعتبار ابتدائه كما ينتقض باعتبار انتهائه وهو كذلك وان خفوا بصيانهم
فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا
لان من شرطه ان يكون صفة كل صنف منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط مرجح
التقسيم لا تقسيما حقيقيا ومانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص
باعتبارين او كان اهل النار ينتقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا
وكذلك اهل الجنة يتنعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله تعالى ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان وقوفهم للموقف للحساب
كان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او من لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التالي ايحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر
لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو نصب على الحال بكلا ينقطع وتنبيه على ان المراد
من الاستثناء في العذاب ليس الانقطاع لاجله فوق بين الثواب والعقاب في التابيد
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعدهم الله بمعنى اسعدهم
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اما عطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية
شك مما ينزل هؤلاء الناس ما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين فانها
ضلال سوداوي مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال
ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد ابا وهم من قبل استيناف

معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم وما يعبدون حينئذ الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق
آبائهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسبب
ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف للدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم
من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا للتاخير العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبه غير منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن
قوم وكفر قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة
الانظار الى القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل لتميزه عن المحق وانهم
وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل
المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقراءة ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد وبالعكس وما من ربك بينهما للفصل وقراءة
ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما
بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع
كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط في حقوق الخلق ونحوها وهي في غاية
العسر ولذلك قال عليه السلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر واستقم معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام

الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حدّ لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير الشبيه بالتبري بزيتهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه مايحتمل ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم عم بالميل اليهم كل ميل بالظلم نفسه والاخلال فيه ولعل الآية ابلغ مما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بارتكاب ما لا يليق بحاله وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم ولثم لاستبعاد نصرهم اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة القاء المعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف الى وقت وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غيري اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات

منشأ الدلالة قوله عز وجل فاستقم كما امرت

قوله نحو قياس اراد ما سموه الخ

وعلى المعاصي

وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وانما لا يعتد بهما دون الاخلاص فلو كان فهلا كان من القرون من قبلكم البقية من الرأي والعقل اذ البقية والنماء تستعمل فضلا يتجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذوو بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه نهوا عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما انعموا فيه مما انعم فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كاثرة اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يقتر المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لغرط رحمته وسماحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم المحتوم حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاكبا على تجاذب اثنين يتنازعان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق وان اختلفوا في الفروع فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن قال في الرحمة ومعنى كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين كل من احدهما وكلا نقص عليك من انباء

وانتبع اى

دون البقاء

309

نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لذلك وبدل منه وفائدة
التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه
على اداء الرب القواصل الاذى الكفار ومفعول وكلا منصوب على المصدر بعد كل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجح لا محالة امرهم وانزل اليه
وقرأ نافع وحفص يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة
على التوكل تنبيه على انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازيك
ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر الحل عز رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قراءة سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب
بهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من الشفعاء اثناء الله

سورة يوسف مكية وآياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وسمي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات
السورة الظاهر امرها في الاعجاز والواضحة معانيها والمبينة لمن يتدبرها انها من عند الله
والمبين هو الذي ان علماء اهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض
قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحالية وهو
في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مقروا وعربيا صفة لها او حال
من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروا بالمتكلم تفهمون وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بايحاء نحن نقص عليك احسن

القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على
العجايب والحكم والآيات والعبر وعلى معنى لكل من القص والسلب واشتقاقه من قص
اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني التوراة ويجوز ان يجعل هذا
مفعولا نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان مي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا به والا فمنصوب
باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها
على التلعب بها على لغة مضارع بني للمفعول والفاعل من آسف لان المكروه تسبب تحته
لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي نعوض عن الياء تاء التأنيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها
عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فكل القرآن لانها حركة اصلها الا ولانه كان يا ابتا فحذف
الالف وبقي الفتحة وانما جازيا ابتا ولم يجز يا بني لان جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ
بالضم اجراء له مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تكن كاصلها
لانها حرف صحيح منزلة منزلة الاسم فجيء بها كلها فالخطاب الى رأيت من الرؤيا لا من
الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر انه جاء يهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن النجوم التي
رآها يوسف فكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرك هل تسلم قال نعم
فقال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي رآهم
عليها فلذلك جيء بها اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره
للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن عشر سنين وقرأ حفص هنا ونمل والصافات بفتح

يا محمد

لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدًا فجعلوا لا اهلاك حيلة فهم
يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرف التانيث
كالقربة والقربة وسميت انطباع الصورة المتخيرة من افق المخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه من تدبير البدن
او ذن فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فتنقلها الى الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم ان كانت سديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وان لا
احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به
تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة كما فعل بآدم وحواء فلا يدع وجهًا في تسويلهم وايقاد الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لهذه الرؤيا الدالة على شرفك وعزك وكمال نفسك
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل
الاحاديث من تعبير الرؤيا انها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء
وكلمات الحكماء وهي اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان تهديك لمعرفة الدنيا
بنعت الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب وتسلله كما انتما على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة واسحاق
من النار وعلى اسحق انقاذه من الذبح وفداؤه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل
هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم من يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات
دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير آية للسائلين لمن سال عن قصتهم

والمراد

والمراد باخوته علات العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر
ودينة من بنت خالته ليئا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل
فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون
دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحد كان
افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخوته فان الفرق
واجب في الجملي جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة
من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتضييله المفضول والترك التعديل في المحبة
روي انه كان احب اليه ما يرى فيه من الخيلاء وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا عنف
له المحبة لتحبيبه لهم فصبر عنه فتبا لهم حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله
شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم
الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار
ان من بعده بعد يوسف والفراغ من امره وقتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم فيصلح ما بينكم وبينه بعذرتهم وتوبتكم او
صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده لمحلكم وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا
وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابت الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرا نافع في غيابات
في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين

بمصر وفي ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا مالك
لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير اراد ابوه استنزاله عن رايه فجفظه منهم بما تتهم من حسدهم والمشهور
لا تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الادغام ومن الشواذ ترك الادغام لانها من كلمتين
وتيثمنا بكسر الثاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها
من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقراءة ابن كثير نرتع بكسر العين
على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه ونلعب وقراءة الكوفيون ويعقوب
بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع
بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال انى
ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته على وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذئبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف
وكان يحذرهم وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية بن ذكوان وابو عمرو ووقفا
وعاصم وابن عامر وحمزة دحها واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لين اكله الذئب ونحن عصبة الام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون للذم يدعى عليهم بالخسار والهلاك ونحن الحال فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بأرض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجب
لما يحذرون مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا
يؤذونه ويضربونه حتى كاد وا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا ما عاهدتموني
ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقالوا لاخوتهم رده واعلق قميصا تواري به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر ليسوقوك ويونسونك فلما بلغ نصفها القوه وكان

يلتمسون ويونسونك

فيها ماء

فيها ماء فسقط ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء جبريل عليه السلام
كما قال واوحينا اليه وكان ابن عشرة سنة وقيل كان مراهقا واوحى اليه في صغره
كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلم حين القي
في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها يوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى
ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه مختارين فعرفهم وهم له منكرون يقدر بما نزل اليه
امره اينما شاء له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصلا وحينا اى آنسناه
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا ابا هم عشاء يبكون في آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشارا بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون مشابهين
روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وابن يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه
بدم كذب اى ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى كاذبين وكذب بالدال غير المعجمة اى كدر
اوطرئ وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال
من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال
قميصه واخذ والقاء على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وكذلك قال
سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السوء



وهو الاستيهاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر
الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه
من هلاك يوسف وهذه كانت قبل استبانتهم ان صح وجاءت سيارة رفقة
يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القاء
فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى
فادلى دلوه فاراها فى الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقبل
هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى بالاضافة
واما الفتحة فللراحة والكسائى وقراء ورش بين اللفظين وقرئ يا بشرى بالادغام
وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من سائر
الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم هذا بضاعة اسررناها اهل الماء لئلا يبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه واخوة يوسف
وكلت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجار
واشتقاقه من البضع فانه مقتطع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم وصنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى مرجع الضمير
الوجهان واشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او منقوص بدراهم بدل
من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين
لبغضهم الراغبين عنه الضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
باثمن فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ منتهز ون به خائف عن انتزاعه
مستعجل فى بيعه وان كانوا بضاعة عين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق الزاهدين
ويجوز ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين

لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو
العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العملقى وقد آمن بيوسف ومات فى حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء وسمى اشتراء العزيز وهو ابن سبع عشرة
وليث فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وكان هو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة
والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به
من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل مائة
فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما
اى حسنا والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به
فى مصالحنا او نتخذه ولدا تبنيه وكان عقيما لما تقرر فيه من الرشد ولذلك قيل
افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين
استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وكما مكنا محبته فى قلب العزيز
او كما نجيناه فى منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه فيها ولنعلمه من تأويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه او كان القصد
فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى كتب الله واحكامه
فيتفقها او تعبير المنامات المنتهية عن الحوادث الكائنة ليستعدها ويتعاطاها
قبل ان تجئ كما فعل لصاحبيه والله غالب على امره لا يرده شئ ولا يمانعه فيما يشاء
او على امر يوسف اراده اخوة يوسف شيا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ
اشده منتهى استداد جسمه وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل ستون
الشباب ومبدأه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما يعنى علما بتأويل الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه

علة

ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو
في بيتها عن نفسه طلبت منه وتحملت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وادر وتهيأت والكلمة على الوجهين
اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء
وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونا فع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء من غير همز كحيط
وهي لغة فيه وقراءة هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ
هئت كجئت وهيئت كبيئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي
قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل
الضمير لله اي انجاني وحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح
الظالمون المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني
باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء
قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد به
ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يخلو تحت التكليف
بل التحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا
الهم او مسارعة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء عقبته لخالطها لشبق الشهوة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان
يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها
بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا
على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف أتكتب في الانبياء
وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه والا لمس مثاله لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين

الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر
في كل القرآن اذا كان في آخره الالف واللام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب وراءه ليمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من وراءه فانقد
قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه
تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييرا على يوسف واغراء بانتقامه منه وما نافية او
استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طلبا للتهمة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عليهم السلام وانما ألقى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها
قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد
جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل
على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فتدثرته والشرطية محكية على ارادة القول او على القول
نعل الشهادة من القول وتسميتها بها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان
على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك
من قبل فان معناه ان تمنن علي احسانك امنن عليك باحسانك السابق ومن
قبل ومن دبر بالضم لا غير قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كما تصما
جعلا علمين للجهتين فشبعا الصرف فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان
قولك ساجزاء من اراد بأهلك سوءا وان السوءا وان هذا الامر من كيدكن
والخطاب لها ولامثالها ولنساء المدينة ان كيدكن عظيم فان كيد النساء ألطف
وأعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولا تفتن بوا جهن بر الرجال والشيطان يوسوس به
اعلق

314

مُراوَدَةُ يُوسُفَ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطأ اذا اذنب شدد والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال او شعر الحكاية في مصر وصفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتو لقولهم فتيان وفتوة شاذة قد شغفها حبا شغاف قلبها وسمي حجابا حتى وصل الى فؤادها وحبا نصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شغفها من شعفه البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنريها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد من الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى المكر مكرن او قلن ذلك لبثهن يوسف او كلها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت طعن متكا ما يتكئن عليه من الوسايد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يقطعن ايديهن ويشغلن عن نفسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيكففن بالحجة او يقال يهاب يوسف من بكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تنعما ولذلك نهي عنه قال جميل وظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل متكا طعام يحز حزا كالاترج القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكا بايتاء الفعلة كمستراح ومتكاة وهو الاترج وما يقطع من مثل التي اذا بكه وسكاه من بكى يبكي اذا اتكا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رات يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان

يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من كبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خفن الله واستر ذا الجمال بمن معه فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرة على خلق مثله واصله حاشا كما قراءة ابو عمرو في التدريج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى انزه ناحية لله مما يوتهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بنصب الباء على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لهم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة والان جماله فوق جمال البشر وكما يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اى فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان قبل ان تصوره حق تصوره وان صورتنه بما عاينتن لعذرتني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا للمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرين طهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الاتمار بامرها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا او الصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يحتمل الخط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كتقفا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقول يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اى اثر عندي من مواتاتها

زنا نظرا الى العاقبة وان كان تشتهيه النفس وذا لما نكرهه واسنادا لدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزينّ له مطاوعتها اودعوة الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل العافية ولذلك ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا نصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اميل الى جانبهن او الى انفسهن بطبع ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصبب من اصبابة وهى الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونى اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح ومن الذين لا يعلمون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنه كيدهن فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات نظر الفرع بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصاء عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحلته على حبسه زمانا حتى تيصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب بالعزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعنى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اى أدخلا يوسف السجن واتفق ان أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعنى الشرابى انى ارانى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اى الخباز انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأيا فى السجن نبل الناس ويعتبر وبانهم ومن المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا

تأويل

تأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اى تأويل ما قصصتما علىّ وتأويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يتبين تفسيره المشكل كما نبأ ارادان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يعبر لهما ما سألا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلك اى ذلك التأويل مما علمنى ربى بالالهام او الوحى وليس من قبيل الكهانة والتنجيم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه وانما جوز للخائف ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان ذلك التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثة الانبياء لهدايتهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلحون بها كفرا لنعمة ولا يشكرونها يا صاحبى السجن يا ساكنيه ويا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى كل ما سواه عبيده ومماليكه ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعانى التى توهمتم انها تستحق العبادة لاجلها

٣١٦

عقلًا ولا نقلًا آلهة ثم اخذ تقربهم نعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والما الملك امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا الذي دلت عليه الحجج ذلك
الدين القيم الحق وانتم لا تعترفون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا انتفاء التوحيد على اتخاذ آلهة وانما بالغير وكلا القسمين منتف
عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي يقتضي العقل غيره ولكن
يقتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخطئون وجها لانهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما
الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه فقال كذبا فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يئول اليه امركما ولذلك جزم
فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما اريدا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكر عن وحي فهو
الناجي لا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكرني عند الملك كي يخلصني فانسا
الشيطان ذكر ربه فانسا الشرابي ان يذكر ربه فاضاف البنيه المصير بالملابسة
له او على تقدير ذكر اخبار ربها وانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده
قوله عليه السلم رحم الله اخي يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدايد وان كان محمودة في
الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين بين الثلث الى التسع
من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
لما رأى فرح رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر وقد انعقد حبها واخر يابسات
وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر فغلبن عليها وانما
استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واخرى النبات على التمييز دون التشبيه

على طريق الخطابة تقرير هن على
ان ما تعبدونها آلهة وتعبدونها
لا تستحق الالهية فان
استحقاق العبادة اما بالذات

لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه
يا ايها الملاء افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها
من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها بالتشديد والام
للبيان او لتقوية العامل فان الفعل اذا اخر عن مفعوله ضعف فتقوى اللام كما
تقوى العامل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها
جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
واما جمعوا المبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس
الخيلاء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة
ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة تذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي رشيان
بقال امه يئيه اذا نسيه والجملة اعتراض ومفعول قال محذوف اي قال لهم
فارسلون اي الى من عند علمأ والى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاءه
وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله
وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤياي ذلك لعلي ارجع
الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه
لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يرتب الكلام فيهما لانه لم يكن
جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا

اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال عن فاعل
او المفعول او المصدر باضمار فعله اى
اى تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر
دأب فى العمل وقيل تزرعون امرا خرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما
حصدتم فذروه فى سنبله كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة
عن العبارة الا قليلا مما تأكلون فى تلك السنين ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن اى يأكلن اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن تغليبا
بين المعتبر والمعتبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتى من بعد ذلك
عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من الغوث من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى
بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى
للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا ومن اعصرت السحابة عليهم
نعدى بنزع الخافض وبتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بتزهم بها بعد ان اولوا
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف والتمان باكلهن مما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله
علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الاولى مبدأ يتبع
على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتونى به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول الخرجه قال ارجع الى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن
أيديهن انما ثنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وخصهن ليظهر براءة ساحته
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدم الحاسدان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على ان
ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت
مكانه ولبثت فى السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وانما قال فسئله ما بال النسوة
ولم يقل فسئله ان يفتش عن حالهن تنبيها على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربى

بكيدهن عليم حين قلن لى اطع مولاك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه برئ مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا
القى مبارکه لیناخ قال فحصحص فى ثم الصفات فثناه وناء بكلكله نوء ثم نهما او ظهر
من حصحص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله سى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم
قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب
عنه او هو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان
الله لا يهدى كيد الخائنين لا يسدده ولا يهدى الخائنين بكيدهم فأوقع
الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض بل اعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لا ما نبه ذلك
عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى ولا ازعم انها بريئة على اثر لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما
قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهتم بها وتستعمل القوى والجوارح
فى نيلها كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة ربى اياها ما رحمه الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الا استثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة
وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وقراء القالون والبزى
بالسوء على قلب الهمزة واوا وادغام ان ربى غفور رحيم يغفر بهم النفوس ويرحم
من يشاء بالعصمة او يغفر المستغفر لذنبه المعترف على نفسه مما استغفر فيرحمه
واسترحمه ما ارتكبه وقال الملك ائتونى استخلصه لنفسى اجعله خالصا

لنفسي فلما كلمه اى فلما اتوا به فكلمه وناجاه وناداه منه الرشد والدعاء قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن
اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خير
واعوذ بعزتك من شر ما تحت ثم سلم عليه ودعاه بالعبرية فقال له ما هذا اللسان قال لسان
آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال له
احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وما كانت على مارأى
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل تولى ذلك اليالى فنصبه منصب
وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلنى على
خزائن الارض ولاتنى امرها والارض ارض مصر انى حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم
بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلم لما رأى انه يستعمل فى امر لا محالة آثر ما يعم
فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها
والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار
به وعن بعض الصحابة اسلم على يديه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير ننشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء فى الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفر اجرهم
عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظم وداده وجاء اخوة يوسف روى انه لما استولى الملك اقام العدل واجتهد
فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام
ونواحيها وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم نقد
منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه عيرتها من اليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه

لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد
حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى خلاه من التهيب والاستظام
فعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله
والجهاز ما يعد من الاشياء للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلد الى اخر وما يزف به
المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما
دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد هو
شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب
احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا
عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ها هنا من يشهد
لنا فقال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم
فافترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوا احملا
زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه بهم به ليعلم صدقهم
الا ترون انى اوفى الكيل انه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم
وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون
اى ولا تقربونى ولا تدخلوا دارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه
سنجتهد فى طلبه منه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فانه وكل بكل رجل واحد يعتبر فيه بضاعتهم التى
شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك تفضلا عليهم وترفيعا
من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندابيه ما يرجعون به لعلهم
يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها ولكى يعرفوا انها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا
اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين

فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتال ما نحتاج اليه
وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فيضم اليه
الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما
امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا
فانا اتوكل عليه وافوض امره اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
على مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص على الحال
والحال اكثر تنوطهم لله درّه فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة التاء الى الدال مدغمة في الراء بعدها
في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ما نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او نطلب ورد ذلك احسانا او لا نبغي في القول
ولا نريد فيما حكينا لك من احساند وقرئ ما تبغي على الخطاب اى حتى تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف
موضح لقوله ما نبغي وغير اهلنا معطوف على محذوف اى رُدّت الينا فنستظهر بها
وغير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد
كيل بعير وشق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية امّا اذا كانت
نافية احتمل ذلك ويحتمل ان يكون الجملة معطوفة على ما نبغي لا نبغي بها نقول لغير اهلنا
ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اى كيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان بضاعتهم بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون
الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شيء قليل لا يضايق فانه في الملك ولا يتعاظمه وقيل انه
من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر له بالولد قال لن ارسله
معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا
بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اذا ان تعذلوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا

يقناد له

جميعا

جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل احوالي الا احوال
الاحاطة بكم ومراعاة العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اى لا تمتنعون من
الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك
فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة
مشتهرين في مصر القرية والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا ولعله لم يثق بهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ لوكان
الداعي اليها خوفه على بنيامين والنفس آثارها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في
عوذة اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من
الله من شيء ما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله
يصيبكم لا محالة عليكم سرا ولا يفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لقدم القصة للاختصاص كان الواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اى من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راى يعقوب واتباعهم
من الله من شيء ما قضاه عليهم كما قال يا بعقوب قد شرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اى
ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرارة من ان يعانوا فاضافها اظهرها ووفى بها
وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب العلم وكذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولكن
بتدبير ولكن اكثر الناس لا يعلمون ستر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام وقال اني انا اخوك روي انه اضافهم فاجلسهم متنحي فتى
بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته
ثم قال ليتزوج كل اثنين منكم بواحد منا فانا له فيكون معي فبات عنده وقال له اختر ان كون
اخيك او اما لك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك

الا تهتم الخطية والكبر
حلاوة امر على ذائقه
كوكبة واحدة
ان عظمة واحدة

ان تفنى

حرارته

اخاك ه

فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يفعلون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية المشربة فوضع الصواع في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا للكيل وقيل كانت
يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد اينتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقله بامر يوسف وكان تسمية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه
انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي ترد وقيل لاصحابها كقولهم السلم باخيل الله اركبي وقيل جمع عيرة كرام
كسقف فعل بما فعل بسيف تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من فقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوغ بالفتح والضم
والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل
او قديم الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله لقد علمتم
معنى التحجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كنا سارقين لم يشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرة بعد كرة بعجيبهم ومداخلتهم
للملك ما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعنهم الدواب كيلا يتناولن
زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق والسرق والصواع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد
في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والتزام له وجزاء
والقياس تضمنها معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء على انها شرطية والجملة كالبيان لجزاؤه على اقامة
الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين
السرقة فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه بنيامين تهمة له ثم استخرجها اي السقاية والصواع لانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان

علمناه

علمناه اياه واوحيناه اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر كان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم
حكم الملك فالاستثناء منقطع او متصل اعم من الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشية الله
واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة
منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب
ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم وكان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم
البالغ لغة وكما لا يخفى فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق
نبيا مبين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة
ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه فشدت المنطقة
على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت مخرومة عليه فصارت احق به
فحكم به وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكتفاء باظهارها
لهم والضمير للاجابة او المقالة ونسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بينه لطرافة التفسير وفيها
قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي
منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم وفي سوء الصنيع بما كتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم
ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن والقدر
ذكروا له حالا استعطفوا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه يتسلى على اخيه لما يلحقه
من مؤانسته بانا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غير ظلم
على فتواكم فلو اخذ احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراد الله تعالى
اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف ولجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة

وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة التي حركة الهمزة على الياء على اصله يعقوبا نفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر او بمعنى كما قيل هم صديق وجمعه انجبة كندي ويدية قال الكسائي هم في السن وهو رويل اوفى الرأي وهو يتمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا وانما جعل الفعل للمفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصر تم في شانه وما من يدية ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وعلى اسمان وخبر في يوسف ومن قبل والرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة لا ينقطعن وان تكون موصولة اي ما فرطتموني بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كانوا لا يحجبون عن ابيهم وكانوا يعظمونه لنبوته وكرامته على الله فقالوا له ذلك وقيل انما حلف لانه ظن ان ما فعلوه برأيه وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا له يا ابانا ان ابنك سرق على ما هذا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعاءه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق وسرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصيب بيوسف واسئل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير الذين كنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت

اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادراك ان الملك ان السارق يؤخذ برقه فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف عصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادفوه منهم وقال يا اسفى على يوسف يا اسفي تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث ان ذهاب بصره كان قاعدة المصيبات وكان غضا الجفاء قلبه لانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة حممت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز الشكاية التاسف والبكاء عند التوجع ولعل مثال ذلك لا ينافي الصبر لان التكليف فانما هو في تحمل النفس عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على ولده مساك لنفسه ولا يظهر فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شد فوه على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته رد قها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر تحقيقا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لا يلتبس الاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون عوضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذاهب هما او مرضا وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ بهما وبضمتين كجنب وتكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله اي لا اشكو الا الى الله ممن شئت منكم ومن غيركم فاتوني وشكايتي واعلم من الله من البث بمعنى النشر

من صُنْعِهِ وَرَحْمَتِهِ وَانَّهُ لَا يُخَيِّبُ دَاعِيَهُ وَلَا يَدَعُ الْمُلِحَّ إِلَيْهِ دُعَاءَهُ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت
في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته
تَحَسَّسُوا يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس طلب الاحساس وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ولا تقنطوا من فجه وتنفيسه
وقرئ من رُوح الله اى من رحمته التي تحيى بها العباد انه لا ييأس من رَوْحِ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مَسَّنَا
وَأَهْلَنَا الضُّرُّ شدة المجوع وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ردية او قليلة تُرَدُّ وتدفع رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل سودا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل
فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ فاتمم لنا الكيل وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا برد اخينا والمسامحة وقيل
المراد والزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا
إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى
به ثواب من الله قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ اى هل علمتم قبح
عنه وفعلهم افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بالعجز والذلة
إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قبحة فلذلك اقدمتم عليه وما عاقبته وانا قاله ذلك تنبيها
لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم بالمعاتبة وترك
وقيل لما عطف كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكر وا له ما هو فيه من الحزن
على يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او
لانهم كانوا حينئذ صبيانا طائشين قالوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ استفهام تقرير ولذلك
حققوا ان واللام عليه وقرأ ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه برؤيته وشمائله

حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه ثنايا ه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي
وانما ذكر تعريف النفسه بتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا اى بالخلاص
والكرامة إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اى يتق الله وَيَصْبِرْ على البليات وعلى الطاعات او عن المعاصي
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع
بين التقوى والصبر قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا اختارك بحسن الصورة وكمال السيرة
وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ والحال انا كنا مذنبين بما فعلنا معك لا نائب علينا
تفعيل من الترب وهو التحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي
يمرغ العرض ويذهب ماء الوجه الْيَوْمَ متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبر لا
تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام ويقوله يَغْفِرُ اللَّهُ
لَكُمْ لانه وقع عن جزعهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فانه يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعونا بالكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال
ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي وابناء جدتي
ابراهيم اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا يرجع بصيرا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قَالَ أَبُوهُمْ لمن حضره إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ وَجَدَ اللَّهُ ريح ما عبق بقميصه من ريحه
حين ألقي عليه بكنعان على ثمانين فرسخا وقيل الوان تَفْنِدُونِ تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال لمجنون مفند لان نقصان عقلها ذاتي وجواب
لولا محذوف تقديره لصدقتموني ولعلمت انه قرب قَالُوا اى الحاضرون تَاللَّهِ
إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ لفرطك في محبة يوسف

واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير هو داروى انه قال كما اخرنه بحمل
قميصه الملطخ اليه فارجعه بحمل هذا اليه القاه على وجهه فطرح البشير القميص
على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة
قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج
وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لابنيامين سواء من روح الله او انى لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يطمع
عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم اخره الى
السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم
من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه
استقبل القبلة قائما وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقله واتبقهم بعدك
على النبوة وهو ان حق فليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما
دخلوا على يوسف روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبل
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما ترحبا منزلة الام منزلة
للعم منزلة الاب فى قوله وآله آباءك ابرهيم واسمعيل واسحق كان يعقوب تزوجها بعد
امه والاية تدل عليه وقالوا ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واضافة المكان
والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود
له كان عندهم يجرى مجرى التعظيم وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله
والواو لابويه واخوته والرفع موخر عن الجرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمهما
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل اى تاويلها ايام الصبى قد جعلها ربى حقا

صدقا وقد احسن الى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو من بعد ان
نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى افسد بيننا وحثهم على نزغ الرائض الدابة اذا اضنها
وحملها على الجرى ان ربى لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذا من صعب الاوثقه
فيه مشيته ويتسهل وقتها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذى يفعل
كل شئ فى وقته على وجه تقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه على تلهما السلام
فى خزانته فلما ادخله خزينة القراطيس قال يا يعقوب ما اعتقك عندك من القراطيس وما
كتبت الى عثمان ملحلا قال مر فى جبريل قال لا وما تسأله قال لا ثبط منى اليه فقال له
قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى رب قد
آتيتنى من الملك بعض الملك هو ملك مصر وعلمتنى من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا
ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت وليى ناصرى ومتولى امرى فى الدنيا والآخرة
او الذى يتولانى فى النعمة فيها توفنى مسلما اقبضنى والحقنى بالصالحين من آبائى او بعامة
الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم توفى واوصى ان يدفن فى الشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش
بعد ذلك اثنين وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتحاصم اهل مصر فى مدفنه حتى همّوا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق
من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكون فى اشرعها فيه
ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقوله
له من اعدائنا فيرثهم ويسيئا وهو جد يوشع بن نون وزوجة امراة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نداء يوسف والخطاب فيه للمتولى وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما

ان يجعلوه فى غيابة الجب ويلم يكرون به ويأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى
على مثلك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمه منه وانما حذف هذا للتواستغناء
بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما كنت لدنهم
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم مؤمنين لعنادهم وتصميمهم القصة ٢
على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعلا كما يفعله حملة الاخبار او هو
الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاين شيئ عدد م
من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده فى السموات والارض عليها ٥
يمرون على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون عليها فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب
على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار ارباباً ونسبة التبنى اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى
الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل
الكتاب افأمنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم
الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بانيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلى يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد وكذلك فسر السبيل
بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال عن الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء
انا تاكيد للمستتر فى ادعو او على بصيرة لانى حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن
اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الكفر
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى تانيث
النساء نوحى اليهم كما اوحى اليك وتميز وا بذلك عن غيرهم وقراء حفص نوحى فى كل بالنون هنا وفى النحل والاول من
القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى حروف الثانى فى سورة الانبياء وحمزة سورة الانبياء ع ع
والكسائى نميلانه على اصلهما هنا وفى النحل والاول من الانبياء من اهل القرى

افلم ٤

ان اهلها اعلم واحلم من اهل البوادى فلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشركين
بالدنيا المتهالكين عليها فيتقلعوا عن حبها للدار الآخرة وللدار الحال او الثابتة او الحية
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا
انها خير وقراء نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى اى قل
لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغرهم تمادى يغرنهم
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى يئس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا وعن ايمانهم
لانهماكهم فى الكفر مع تهيين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم
انفسهم حين رأتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم
اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالعدة والوعيد وقيل الاول للرسل اليهم والثانى
للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا او اخلفوا فينا وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم وما
روى عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد راد
بالظن ما يعم فى القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة فى التراخى والاطالة
جاءهم نصرنا على سبيل التمثيل وقراء غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم
فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى فظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء النبى والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم
وقراء ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجى فنجا ولا يرد بأسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئة لمن كان فى قصصهم فى قصص الانبياء المشيئين ٤
واممهم وفى قصة يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبراة عن شوائب
الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن
تصديق الذى بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شئ يحتاج اليه
فى الدين اذ ما من امر دينى الا وله سند من القرآن بوسط او غير وسط وهدى من الضلال

ورحمتنا اليها خير الدارين لقوم يؤمنون بصدقه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا
اولادكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه
سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية
الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآياتها خمس وأربعون ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم الم قيل معناه
انا الله اعلم واري تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى آياتها اى تلك الآيات ايات السورة الكاملة او القرآن والذي أنزل اليك من ربك
هو القرآن كله ومحله الجر لعطف على الكتاب عطف العام على الخاص واحدى الصفتين
على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر
وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت
بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر بالامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمد كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد واستيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات
كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساويتها
في حقيقة الجسمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لابد وان يكون بتخصيص مخصص ليس بجسم
ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنبع في حدوث الكائنات وبقائها
كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادوارها او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر يدبر امر ملكوته من الايجاد
والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او
يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها

وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على
الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لينبت عليها الاقدام
وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت
جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للبالغة وانهارا خلقها الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل
الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع
الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقراءة حمزة والكسائي
وابو بكر يغشى بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تاتي تعاقب بعضها
بعضا دون بعضه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة
وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا التخصيص قادر هو قع لافعاله
على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يقربها
ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها مشتركة في
النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقراءة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقراءة حفص بالضم وهو لغة
تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر حلوا
وقفلا ولونا وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاعداد سببا لكونه لا بتخصيص قادر مختار وقراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد

من انكارهم البعث فيجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء
ما قص عليك كانت الاعادة اسير شئ عليه والآيات المعدودة كما ترى دالة
المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كماله وقدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته اذا كنا ترابا اانا لفي خلق جديد بدل من قولهم او معمول
له والعامل فيه اذا محذوف دل عليه انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون با
ضلالهم لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا يفكون عنها او توسيط الفصل للتصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحذروا مثلها
عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها تمثل المعاقب
عليه ومنه المثلة للقصاص واستلأم الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ
المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الثاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد بدليل
جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر
المكفرة لمجتنب الكبائر وقال المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار ولمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
لعنادهم عند ارادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما
انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم

وهو الله

وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات لقرارف ذلك
بما يدل على كماله علما وقدرة ويحمل قضاءه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما
اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله
باقٍ بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت
الا عند والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى ما
او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما
تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وقضى مدة الحمل اربع سنين عندنا
وخمس عند مالك وستة عند زفر رحمه الله وعلى عدم لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة وبه ذهب ابو حنيفة
وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن انه اتى امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازديادة وغاض جاء متعديا ولازما وكذا زاد قال الله تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلتها هنا لازمين تعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام
على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شئ عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقولك
انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خصص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مترقبة
اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان
المتعال الذي لا يخرج عن علمه شئ المستعلي على كل شئ بقدرته والذي كبر عن نعوت
المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو
مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بارز الى بهار يراه كل احد من سرب
سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في الاثنين بمعنى كقوله لكن من شرح بالكفر صدرا
يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية منسلة بما
قبلها لكمال علمه وشمول له لما ستر وجهر واستخفى وسرب معقبات ملائكة تعتقب
في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب

بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها ويعتقبونه اذا عتقب فاذا غمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب اي معتقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار او يحفظونه من المضار ويراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهم من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من والٍ يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاء في يلي بالاضافة والاطماع او الحال من البرق والمخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضرّ وطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح ما معه بحمده ملتبسين به فيسبحون بسبحان الله والحمد لله ويدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وبما له من القدرة ملتبسا بالدلالة على فضله وبنزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق به السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية وإعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما للعطف على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول

الهيم المشي الهواء

الله صلعم

الله صلعم فاصدين لقتله فاخذ عامر بالمجادلة واراد بمن خلفه ليضربه السيف فقبضه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته وربي عامر بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال الماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وغرّه للمحال ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة اعل على غير قياس وبعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الاقتدار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم شاعد الله اشتد وموساة احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد اهلا وكما على ٩ لهما من حيث لم يستعر له محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على ان الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحاولوا بحاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم وبيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كاستجابة كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه فلا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل تجوز في قلة جدوى دعائهم لما ان من اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليسيل به وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضياع وخسار وباطل لله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حال الشدة والرخاء والكفرة كرها

كرها

حالا الشدة والضرورة وظلامهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده
بهم شاؤا وكرهوا وانقيادهم لتصريفه اياها بالمد والتقلص وانتصابه طوعا
وكرها بالحال والعلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام وحالا
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة
كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدة مصدر وقتين
انه قد قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي
امرهما قل انما اجيب عنهم بذلك لان الجواب لهم سواء وفاء البين الذي لا يمكن المراء
فيه او لقنهم الجواب به قل اتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر
بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا
اليها نفعا ولا يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انتفاع الغير ودفع الضر عنه
وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا
لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير لمن له ادنى الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والمولى
العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي
الظلمات والنور لمن له ادنى تمييز والتوحيد وقراء حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم
الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء
خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا
العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على شيء يقدر عليه
الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازمها استحقاقها فانتفاؤه عن سواه ليدل عليه وهو
الواحد في المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية
انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل الماء

الجاري

الجاري فيه وتنكيرها لان المطر اتى على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي
علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رابيا فوقه والزبد
وخبث الغليان ربيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلية او متاع
كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومتاع
توقدون عليه زبد مثل زبد الماء هو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقراء حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضافه للعلم به كذلك يضرب الله للحق والباطل الحق والباطل
فاما مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء ويسيل به الاودية على قدر الحاجة
والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وهو الفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الاستعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبده وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء مجفوا به اي يرمي به السيل والفلز المذاب
وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد فاما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز
فيمكث في الارض ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على ان جعل ضرب المثل للفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه فدوا به وهو على الاول والكلام مبتدأ لبيان مآل
غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء ومأواهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف فمن يعلم انما
انزل اليك ربك الحق من هذا الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
لانكار ان يقع بينهما تفاوت ما بعدما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوا العقول
المبرأة عن شائبة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على

من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم وكتبه ولا ينقضونه البتة
ما وقوع من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو يعم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله ان يوصل من الرحم وصلاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك
مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيد عمومًا وبخاصة سوء الحساب خصوصًا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالف الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبًا لرضاه لا لجزاء وشمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرًا لمن لم يعرف بالمال علانية لمن عرف
بها ويدرؤون الحسنة السيئة ويدفعونها بما فيجازون الاساءة بالاحسان ويتبعون
الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون ما آلها
وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستيناف يذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلونها وانما جاز
للفصل بالضمير الآخر ومفعوله معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعًا لهم وتعظيمًا لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانتساب لا ينفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اي هذا بما صبرتم لا بكلام فان الخبر واصل والباء للسببية او البداية فنعم عقبى
الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيرها
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما وثقوه
من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن

اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه
في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا
في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا شيء قليل كما يتزود الراكب وزاد الراكب
والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا الولا
انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد
ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد
وهو جواب بجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال قالوا هلا انزل عليه آية فقل ان الله
يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى هدايتهم وان انزل كل آية ويهدي
اليه من اناب بما جئت به بل اية زيادة منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من
او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسابها واعتمادا عليه او
رجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكره الله الدال على
وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تكرير لتقرير ما قبله او تسكين لقلوب المؤمنين عند سؤال الآيات
الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياءه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب
كذلك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسال الرسل قبلك في امة قد خلت من قبلها
امم قد مضت ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وصفاته
انهم يكفرون بالبليغ الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه خصوصًا ما انعم الله عليهم بارسال اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع
الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا

الرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اى الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي وحكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتعييرهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته وشققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فيقرأوا او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا
القرآن لكانة الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار فما آمنوا به كقولهم لولا انزل
عليه آية ما انزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير
بقرآنك الجبال عنا حتى تفسح لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع ونتجر انا بها لنتسع
ان تركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا
فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب محذوف وهو
قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كل خاصة لاشتمال الاولى
على الذكر الحقيق بالله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شئ وهو ضراب عما تضمنه
لو من معنى النفي اى لله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم
تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيده ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا
من ايمانهم مع ما رأوا من سوء احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم وهو مروي عن علي
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا الفلم بينين تفسيرا وانما استعمل اليأس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما فلذلك علقه بقوله
ان لو نشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهدائهم
وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم
ان لو نشاء الله لهدى الناس جميعا او آمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او نحل قريبا من دارهم فيقرعون منها
ويتطايرا بهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا

برسول الله فانه عليه السلم كان لا يزال يسمع السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز ان يكون خطابا للرسول فانه يجيء قريبا من دارهم عامة
الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ووعيد المستهزئين به
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ان الله لا يخلف
الميعاد لاستماع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه حتى من
اعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله
شركاء استيناف وعطف على كسبت ان جعلوا مصدرة او وجعلوا عطف عليه
ويكون الظاهر موضع الضمير للتنبيه على ان المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تبكيتا
على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقون لها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة
وليسوا هلون الشركاء ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبؤونه بالتخفيف بما لا يعلم في
الارض بتقدير كائنا لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقون بها الالهية لا يعلمها
وهو العالم بكل شئ ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول بغير حقيقة
واعتبار معنى التسمية الزجي كما مر وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب يبادي على
نفسه بالعجز ثم يرد زين للذين كفروا مكرهم تمويههم تخيلوا باطلا لم يحققوها
او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر صدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصدا بالتنوين
ومن يضلل الله بخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة بالقتل والاسر
وسائر ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله
من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره
تجري من تحتها الانهار على اطلاقه تولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه من العوائد

331

المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اى وظلها كذلك لا ينسخ كما
نسخ في الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهاهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب الظاهر إطماع للمتقين وإقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن
سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واربعون
باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او ما متهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب
يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة كالكعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واتباعهما من ينكر بعضه وهو ما خالف شرائعهم وما يوافق ما حرفوه
منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما
انزل الي بان اعبد الله وأوحده وهو الحمل الذي والكتاب الى الكل او انما ما تكرر
لما يخالف شرائعكم فليس ببدع بخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب والية
رجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عداذلك من التفاريع
فمما يختلف بالاعصار والامم فلا تعنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك وصفا هذا الانزال
المشتمل على اصول الشرائع المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما يقتضيه الحكمة
عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه وحفظه واتساقه على الحال ولئن اتبعت
اهواءهم التي يدعونك اليها كتقريرهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو تهديد لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في الدين ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما حال لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي بآية تقترح عليه وتحكم بلتمس منه الا باذن الله فانه
المالك بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامر يحكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء بنسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وعنده

يمحو يثبت الناسب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به جزاء ويترك غير منسوخا او يثبت ما رآه ومحى في حينه قلبه وقيل يمحو فرضا ويثبت
آخر وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن
الا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال
ارتيا لك ببعضها او عدمها او توفينا قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون لك وهذا طلائع
اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى
الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحال ان يمحى المنفي الصب على الحال اي يحكم نافذا
حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء
في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يوبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيجد
جزاءه وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث يأتيهم العذاب المعد لهم
وصرف غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفار اى اهله وسيعلم من
اعلما اذا اخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي مما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة
وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اى وكفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيجزي الكاذب ويؤيد قراءة من قرأ

ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول وبجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعلقين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الجر
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من
الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعثا
يوم القيامة من الموفين بعهد الله سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس يدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار
من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل والاشتمال على ابهام يجلب لمن يشاء عنه
واضافة الصراط الى الله لانه مقصده او الظاهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه
لا يذل سائله ولا يخيب سائله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع
وابن عامر مبتدأ وخبر والله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف
بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود بالحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بهذا الكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل تقبيض الوأل وهو النجاة
واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله يتبغونه الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من صده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فعوله مطردة
عن كخلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها فان الباغى يعوج ويكون عن الحق ليقدروا فيه
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم
والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق وتعدوا
عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للاسر الذى به الضلال

فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا ملتبسا بلغة قومه
الذى هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امر به فيفقهوه عنه ليبشر وشرعه
ثم يقلدوه ويتوجوه لغيرهم فانهم اولى الناس بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك
امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى الامم مختلفة
كتب على السنتهم استقل ذلك ووقع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة وايضا
فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المنتشعبة منها وما فى اثعاب
القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه
كريش ورياش ولسن بفتحتين وضمة وسكون على الجمع كسقف وعمد وقيل الضمير فى قومه
لمحمد عليه السلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام كل نبى بلغة المنزل
عليهم وذلك بعيد لما فيه من الالتباس فان ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم يزل ينصرف الى بنى
اللعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو
العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات تمثيل اى اخرج
لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التى وقعت على
الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لآيات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل الراد الكل لان من
وانما اعتبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه
اياكم ويجوز ان ينتصب بنعمة عليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا
اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم
سوء العذاب ويذيقونكم اياه كقوله ويستحيون نساءكم اى حال من آل فرعون او من ضمير

المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبح ههنا وهو اما جنس العذاب او استبقاءهم واستخدامهم لاعمال الشاقة وفى ذلكم من حيث انه بقدرة الله يأسهم وايهامهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى آذن كتوعد اوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره من الايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى النعمة ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فلعلى اعذكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة الكرم الاكرمين ان يخرج بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة معطوفة مقدرة اذ تاذن على انه يجرى مجرى القال لانه ضرب منه قال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود بحمد الملائكة وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضرر بقدرته الكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ـ من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منا واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم بالطباق الافواه او اشارة بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما عليها ان لا جواب لهم سواه او ردوها فى افواه الانبياء بمعنى نهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى النعم او ايادى الانبياء التى هى مواعظهم والوحى اليهم من الحكم والشرايع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا

بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعوننا بالادغام مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس وان لا تطمئن الى الشئ قالت رسلهم افى الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك اى اغير دعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهورها لانها عليه وانما دخل الشك من قبله فاطر السموات والارض وهو صفة اوبدل وشئ مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثة ايانا ليغفر لكم اى بدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ عن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة اداعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولا يستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيته الله فيخص كلا نبى بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكلوا عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم ممن الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصد به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله ومالنا الا نتوكل على الله اى اى عذر لنا فى ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التى نعرف ونعلم ان الامور كلها

بيده وقرأ ابو عمر وبالتخفيف ههنا وفي العنكبوت **ولنصبرن** على ما آذيتمونا وجواب قسم محذوف الذي دل عليه توكلهم وعلمهم بأن لا بد لهم من جزاء عاجل من الكفار عليهم **وعلى الله فليتوكل المتوكلون** فليثبت المتوكلون على الله استحثوا قومهم من توكلهم المسبب عما تهم وقالت الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه **ولنسكنكم الارض من بعدهم** اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاتحاد المعنى كقولك قسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموجود وهو هلاك الظالمين واسكان المؤمنين **لمن خاف مقامي** موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مصدر بمعنى القيام **وخاف وعيد** اي وعيدي بالعذاب وعدا لي الموعود للكفار **واستفتحوا** سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر على انه لهلكن **وخاب كل جبار عنيد** اي ففتح لهم فانجى المؤمنين وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او أي الفريقين كان اوقع **من ورائه جهنم** اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما يواري عنك **ويسقى من ماء** عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء **صديد** عطف بيان للماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار من القيح **يتجرعه** يتكلف جرعه وهو صفة للماء او حال من الضمير في يسقى **ولا يكاد يسيغه** ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والتنوع في جرعه جواز الشرب على الحلق بسهولة وقبول نفس **ويأتيه الموت من كل مكان** اي اسباب من

الشدايد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله **وما هو بميت** فيستريح **ومن ورائه** ومن بين يديه **عذاب غليظ** اي يستقبل في كل وقت مثل ما اشتمل عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآلام منقطعة عن فضته الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو الظفر في بينهم النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة رسوله فجيب دعاؤهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقيا ماء صديد اهل النار صدقه اهل النار **مثل الذين كفروا بربهم** مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قولنا اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد **اشتدت به الريح** حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه ما يعمهم من الصرفة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب وغير ذلك من مكارمهم في خبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعتمادهم للاصنام بها بطيرة الريح العاصفة **لا يقدرون** يوم القيامة **مما كسبوا** من اعمالهم **على شيء** لحبوطه فلا يرون لها اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل **ذلك** اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون **هو الضلال البعيد** فانه الغاية في البعد عن طريق الحق **الم تر** خطاب للنبي والمراد امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين **ان الله خلق السموات والارض بالحق** والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات **ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم **وما ذلك على الله بعزيز** ببعيد بل ذلك عليه هين **وبرزوا لله جميعا** اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة كلهم لله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون اركاب الفواحش

ويظنون انها تحقق على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفوا الاتباع جمع ضعيف يريد به الضعف في الرأي
وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا رؤساؤهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة وعلى الاول فهل انتم
مغنون عنا نافعون عنا واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض
شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي
بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما نعلم انهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضنا كما له لكن سددنا وناطرق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص نجى ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا
كالمغيب وجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ولو رد ما روي انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك لم يكن
سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر بينكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار خطيبا لاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز
او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا
حساب وان كانت الاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعلتني مخلفا وعدي كالاخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم ادعاي
اياكم انيتها بتسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا

الضعفاء

اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله
ويجوز ان يكون للتبعيض

بتسويلي

فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطلعتموه اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد
مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقول اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما
انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وذلك كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا
لم تكسر وقبلها الف قلبت الفا كقولهم يا ابا وعلى لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة
اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وجذفا للياء اكتفاء بالكسرة اني
كفرت بما اشركتموني ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم
باشراكم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستكبرت كقوله ويوم القيامة
يكفرون بشرككم وموصولة بمعنى من يحوما في قولهم سبحان ما سخر لنا ومن متعلقة
بكفرت اي كفرت بالذي اشركتموني به وهو الله بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت نظائر مرة بالتجوز كقدم واثر ترك منقول من ترك
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او اثبات للكلام من الله ع
وفي حكاية امثال ذلك لطف للشامعين وايقاظ لهم حتى لا يسلكوا سبيلهم ويتدبروا
عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم باذنه وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحية الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمد ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة
اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب
اجراها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي فنائها على الاكتفاء بالفظ

من قبل

الجنس لكنتَ به الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت أصلها والاول على أصله وانما
قيل اكلها دائم وظلها لانه في الجنة لا ليل فيها تعلى ثمرها كلما اقتات منها
بادن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون كان في
ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناؤها من الحس مثل كلمة خبيثة كشجرة
كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض ما لها من قرار
قرية منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة
الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والكفر
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة
وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد
بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم
وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون اذا فتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس
وتمسكون والذين فتنتهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
هم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة روى انه عليه السلم ذكر قبض روح المؤمن
فقال يقعد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء
أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاصرار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي بكفرهم بان وضعوه مكانها وبدلوا النفس
النعمة كفروا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محلين الكفر بدلها
كما هي ملة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقهم
وشرفهم بحمل رسالات الله عليه فكفروا بذلك فجعلوا سبع سلمين واسروا وقتلوا يوم
بدر وصاروا اذلة فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعرضوا قومهم والبوار
فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى اصلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك

من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فتعوا حتى حين واحلوا قومهم فوم هم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار
الهلاك يحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم
اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس
المقر جهنم وجعلوا لله انداد ايضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
عن سبيله بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته
جعل الغرض قل تمتعوا بشهواتكم وبعبادة الاوثان فانها من قبيل التمتعات التي يتمتع
بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لا فضائه الى المهدد به
وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لا تهاكه
فيه كالمأمور به من آمره مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصتهم بالاضافة تشريفا وتنبيها
على انهم المقصورون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا اما امر ليكون ايذانا بانهم لفرط
مطاوعتهم للرسول حيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر
بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قوله تحذف نفسك
كلم نفسي اذا ما خفت من امرتا لان الكلام قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين
مقامهما وهو ضعيف كما لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجزائه وان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية
او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره اي فيدفعه
فيسلم له ولا خلال ولا محالة فيشفع لك خليل ومن قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بعبادة كما لا محالة
وانما ينتفع فيه بالانفاق فوجه الله قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام
الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
تعيشون به او يحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر كالذي اخرج

وهو يشتمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه

وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره بمشيته الى حيث توجهم

فى معنى رزق سخر لكم بروزها لجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سألتموه بعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله تعالى ولعل المراد ما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج السائل اليه وان لم يسأل او يستحيل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وبنا للنوع بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدا نواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المعرف بغير الاستغراق فى الاسناد فى ان الانسان لظلوم يظلم النعمة بالغفلة عن شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان لكفار شديد الكفران وقيل ظلوم فى المسئلة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن من فيها والعرف بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عند ونصير آمنا فى الثانى جعله من البلاد الآمنة واجنبنى وبنى بعدنى وآبائى اصلب منه واجعلنا منهم فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة تميم واجنبت واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شرّه وفيه دليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه آياهم وهو بظاهره لا يتناولها فان عبدة جميع ذرية وزعم ابن عيينة ان ابراهيم لم يعبد الصنم تمسكا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر بحيث ما نصبنا حجرا فهو عند البيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى فمن على ديني ومن عصانى فانك غفور رحيم تقدير ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعض ذريتى وذرية من ذرية فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه

متضمن لاسكانه بواد غير ذى زرع يعنى وادى مكة فانها محرمة لا تنبت عند بيتك المحرم الذى حرمته ان التعرض له والتهاون به الظلم بزلة معظما متمنعا بها بالجبابرة ومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى عتق منه ولوجه دعا بهذا الدعاء واليا قدم فلعله فالذى بالحرى ما كان اى وما سئول اليه روى ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فاناه ثلثة ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما عندها عين فقالوا اتأذنين لنا فى ان ننزل عندك فى ابيات فعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام كى ومتعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل شئ الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاستعطاف بانهما المقصودة بالذات من اسكانهم ثم المقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم اقامتها وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لزدحم عليهم فارس والروم ولحنت اليهود والنصارى وللابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام افيدة تخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افدة كآدر فى اذر وان يكون اسم الفاعل من افدت الرجل اذا عجلت له قراه يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد يفد افدا وفودا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه غير وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعل حرمه آمنا تجبى اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علنا والمعنى انك علم باحوالنا وعصمنا وارحمنا بامتثالها بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا للعبودية وافتقارا الى رحمتك واستجلابا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى

من وجد المرقة وما تعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع والالحاح الى الله تعالى وما يخفى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم
ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب
لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما منها من الآية
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة
ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من بنية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله وفاعله على اسناد السماع الى الدعاء والمعنى الله على ما
وفيه اشعار بأنه دعاء وسأل منه الولد فاجابه ووهبه له حين ما وقع اليأس
منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة معلقا لها مواظبا عليها ومن
ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله واستقراء عادته في الامم
الماضية في ذريته كفارا ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي لدحت وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقبل اراد
بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم
قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه فيما مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد به تثبيته على ما عليه من انه متطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية
والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة والكلام من تهدم غفلته جهلا
بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم
فلا تقر فيها كانها من هولها ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين با
بصارهم فلا يطرفون هيئة وصفوا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل يثبت عيونهم شاخصة لا تطرف ولا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم كفؤاد ذي الخيرة والفئدة

ومنه

ومنه يقال للاحمق ولجبان قلبه هواء لا رأي فيه ولا قوة قاله زهير من الظلم
جعلوه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب
يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول
الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا ورددنا
الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك
ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين ولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول والكم
جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت ولهلهم اقسموا بطرا وغرورا اذ رأوا عليه حالهم حيث لشدة بأسا
وامتلوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يبعثون
عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقولهم وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واضل سكن ان يعدى
بفي كغرت وعن واقام وقد يستعمل معنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار
وتبين لكم كيف فعلنا بهم ما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر
عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب اوصفات ما فعلوا وفعلها بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند
الله مكرهم وكتب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه وعند ما يمكرهم جزاء
لمكرهم وابطاله وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مستوى لام الجر
الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقولهم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم على ان
الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا اليزيلوا به
كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقراءة الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة

٣٣٦

من بفتح لام كي وقرئ وان كادمكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احد اكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يمانعه احد قادر لا يفوته ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض يذل من فيها باتيانهم اوظرف للانتقام او مقدر باذكر ولا تخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها والسموات عطف على الارض وتغيرهما والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله تبدلنا جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية محتملة لهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود وابن عمر تخبز الناس على الارض يوم القيامة فتبدل ارضا لم يعمل عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجمعها الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا لله الواحد القهار لحاسبته ومجازاته وتوصيفه بوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار منه وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو محتمل ان يكون تمثيلا لما خذهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضمير المفعول والصفد القيد وقيل الغل السلاسة بن جندل ودنا الخميس فلاقى صفادا يعض باعد وبعظم ساقي واصل الكلمة سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهما يتعلب من الابهل يطبخ فيهتأبر الجرب الابل فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ومحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيآت الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر الخاثر والصر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حالية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتغشاها لانهم لم يتوصلوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تعلم على اشتهم فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان عملي الفريقين مذكوران في الصحف التي لا يغادر صغيرها ولا كبيرها الا احصاها هذا اشارة الى القرآن او الى ما فيه من الموعظة والتذكير وما وصف من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي ليتعظوا وليتذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علم واستعد له وليعلموا انما هو الله بالنظر والتأمل فيه من الآيات الدالة عليه والمنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يردي بهم ويتدرعوا بما يخلصهم وعلم انه سبحانه ذكر هذا البلاغ على ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب كيلا يرسل للناس واسطة هي اعلاهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب
وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيرهما للتفخيم
اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يتبين الرشد من الغى بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت او يوم القيامة
وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء
وفتحه مع التشديد وبالتخفيف وتاء التانيث ودونها وما كافة عن الجر فيجوز دخوله
على الفعل وحقهما ان يدخلا ما مضى لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحقق اجرى
مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه ان بيان اهمهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فما الحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل اريد هم اهوال القيامة فان حالت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم يشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض قطع الامر بتسلية
من ازعجوا نهم وايذاءهم بانهم من اهل الحرمان وان نصحهم بعد استحقاقهم بما هم اهله تحته
وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التمتع وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا
ولها كتاب معلوم جملة حالية روعي فيها ما في المحل من الفتح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل الا ايذاءها
الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال اد خلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة
فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يا دؤوا النبي عليه السلم على التهكم كالا يترى
الى ما نادؤه لما وهو قولهم انك لمجنون وتقرير ذلك قولهم زعمت ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون في
انك لتقول قولا لمجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما
كما ركب مع لا في تعيين امتناع الشيء لوجود غيره والتخصيص بالملائكة يصدقونك ويعضدونك على الدعوة
كقولك لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وللعقاب على تكذيبنا لكنا اتيناك بالامر المكذبة

قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ينزل الملائكة وقراءة حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى الوجه الذي قدرت واقتضت حكمة ولاحكمة فان تاتيكم صورة تنافيها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معالجتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له
بالايمان وقيل الحق الوحي والعذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر
اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك
اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقصان جعلنا
معجزا ما يا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين او في تطرق الخلل اليه فالذكر
بمعنى المحفوظ لكونه ان يطعن فيه يابى الله انزله وقيل الضمير للنبي عليه السلم ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصل التشييع وهو الحث الصغار يوقد به الكبار والمعنى تاسيا لانهم وتعليلا هم رسلا
فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام
وما لحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك
نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الخرز والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر
في قوله تعالى لا يؤمنون به لذكر وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به وبان الجملة المنفية له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ كما يلزم
من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من المجرمين ولا بينا في كونها
كونها مفسرة للمعنى الا ترى يقوله ولقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفر في قلوبهم او اهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم
على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستمرين
لما يرون او بصعدا الملائكة وهم بشاهدونهم لقالوا من غلبوهم في العناد وتمكيكهم في الحق
انما سكرت ابصارنا شدت من الابصار للتحرز من التكثير ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حبست

من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بالتخفيف قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لحقيقة لا هو اباطيل اختيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزينها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان فلا يقدرون بصعودها ويوسوسوا لهلها ويتصرفون في امرها ويطلعوا على اخوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واسترق السمع اختلاسه سارقا خفية بخطفة منهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر او الاستدلال من اوضاع الكواكب على حركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يدرج فيه تكوينها قبل المولد بجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فلحقه شهاب مبين ظاهر للبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمة او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون وما يوزن او له وزن في ابواب النعم والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل وممن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال القدرة وتناهي الحكمة والتفرد في الوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي ما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده ونكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتدار او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يخرج اخراجها الى الكلفة والاجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم من هذه الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتمل على بعض المصلحات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل كشبه الريح التي تجارت بتخير من انشاء سحاب ماطر او الحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للتجر ونظيره الطواف بمعنى الطوفات في قول وفتخبط بما تطيح الطواح وقرئ وارسلنا الريح على انها اول الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين اخراجه نفي عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدير ان والعيون والآبار ودلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء يقتضي العور فوقوفه دون حد بدل من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها وغيت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذ ما من الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر كذلك وقيل من مات من اهل كل عصر وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم ليلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تصغيف سلسل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حماء مسنون متغير من سنة الوجه او مصبوب سنونت القربة صببت الماء فيها وقيل منتن من قولهم سن الحجر يسن سنونا اذا انتن وقيل مصور من قولهم سننت السكين والمسن والمسنة ما يسن عليه والسنون الحجر لملاسته وقيل مسنون مسون من حال الى حال كقولهم تسنن الحجر اذا تغير والصلصال كالفخار وهو الطين المطبوخ بالنار وقيل هو الطين الذي يتصلصل اذا جف فاذا نقر صلصل ثم غير

ماخيل

والسحاب

وثقبة

ورتب

على انه القادر والمتولي للحشر لا غير وتصدير الجملة بان للتحقيق والتنبيه

وما ننزله

ذلك طول البعد طولا حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سنت الحجر على الجزاء
حكمت به فان ما يسيل منهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس
ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
واحدة ٢ خلق من مادة كان الجنس باسره مخلوطا منها واتصافه بفعل يفترس خلقناه من قبل من قبل
خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوان في
الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة النحو الغالب
فيها الجزء الناري فانها قبل سيرها التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار يعتبار الغالب
كما هو ٢ كقوله خلقكم من تراب وسماق الآية للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدو خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال
ربك واذكر وقت قوله للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى أثاره في نحاويف اعضائه فحيي واسند
النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا اياها في نحاويف الشرايين الى اعماق البدن حصل
تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر في النساء فقعوا له ساجدين
امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان
الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل قوله الا ان يكون
مع الساجدين اى ولكن ابليس ابى فاستكبر وان جعل متصلا كان استثنا فاعلا جواب سائل
قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اى اى غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم
اكن لاسجد اللام تاكيد للنفي لا يصح مني وبيا في حالي ان اسجد لبشر جسما في كثيف وانا
ملك روحا في لطيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهو اشرفها
استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها
اى من السماء او الجنة او من زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد

يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة
هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فاذ منتهى امد اللعن فاذا جاء يناسب ايام التكليف ومنع زمان
الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينبئ عنه هذه وقيل
وقيل اما حذا اللعن بيانا بعد غاية يفنى بها الانسان او لانه يعذب فيها بما ينسى اللعن معه فيصير
كالزلال قال فانظرني فاخرني والقاء معلقة بمحذوف دل عليه فانك من المنظرين فاخرج منها
الى يوم يبعثون اراد ان يجد نسمة في الاحوال ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المستمر بنا آجالك عند الله
او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيامة
واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث
اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التحليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلام
ذلك انه لا يموت فلعله يموت اولا اليوم ويبعث الخلائق في قضاء عيشه وهذا المخاطبة
وان لم تكن بواسطة لم تدل على نصب ابليس لان خطابا لله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب
بما اغويتني اقسم بالله للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى لاخلفن الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله
خلاف وقيل للسببية والمختار اذ قالوا الاحوال بالنسبة الى الغي والتسبب لما هو اياه بالبحث
لآدم عليه السلام وابا اخلاصا عن طريق الجنة واعتذروا عن اسمائها لله له وهو سبب لزيادة غيه
وتسليطه على الحوائه بحيث آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار اعمالا ولهم يهمل وان في امهاله تعريضا بمن خالفه لاستحقاق من يدالتواب وضعف ذلك
لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاضلنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقراءة ابن كثير وابن عامر وابو
عمرو بالكسر اى كل القرآن اى الذين اخلصوا انفسهم لله قال هذا صراط علي حقا ان عبادي
مستقيم لا تحزن عنه والاشارة الى ما تضمن الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه على معنى انه
طريق علي يؤدي الى الوصول الى من عزا عوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي

الاصل الاخلاص الله وهو منه سلطان الكتاب الشريعة

ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولانا المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم
او تكذيب له فيما أوهم ان له سلطانا على من ليس مخلص من عباده فان منتهى تزيينه
التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى
هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي
لانضمامه الى تمام قبل الاستثناء ومن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين
تاكيد لما يعطيه لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وسمي جهنم ثم لقولهم الحطمة ثم السعير لشدة سعرتهم الجحيم لشدة الهابتها
والعدد لا تخصيص بمجامع المهلكات في الزكوين الى المحسوس وتابعته القوة السهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم او فرد فاغلاها للموحدين
العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة
والقاء حركته على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال
منه او من المستكن في الظرف لانه في مقسوما لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهم كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله وما هم منها بمخرجين وقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص
وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او سلما
عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب
نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب
اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين والضمير المضاف اي الغل

فيها معنى الاضافة وكذا على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا وحالين من ضمير
لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لانه في معنى استقروا
او حالا بعد حال وحال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة
بالخلود يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فذلكة ما سبق من الوعد
والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها
كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده
وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على ونبئ عبادي تحقيق لحقيقة ما يعتبرون به اذ دخلوا
عليه ففاجأوا سلاما اي سلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك انهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما انكر قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من وجله وكله واجل بمعنى
افعله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ
حمزة تبشرني من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قالوا ابشرتموني
على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه أو الكاف للبشارة بيشرهم في مثل هذه
الحالة وكذا قوله فبم تبشرون اي فبأي شيء تبشرونني او فبأي شيء تبشرون فان البشارة
بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة وكل القرآن على
ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين ودلالة بقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او اليقين الذي
لا لبس فيه او طريقة هي حق وهو قوله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق ولدا من عجوز عاقر وشيخ فان ويجوز ان يكون
وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وما ضيهما
قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله

علم ان كمال المقصود ليس البتة لانهم كانوا عددا والبتة لا تحتاج الى العدد ولذلك
اكتفى الواحد في بتة ذكرنا ومن ثم لم يقدروه في تضاعيف الحالة الاولى ولو
كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا يا رسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان
استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين
كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ونبدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي ما نعذب به القوم وهو استئناف اذا فصل الاستثناء بالا لوط جار مجرى
خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضمير هم وعلى
الاول لا يكون الا من ضمير هم لاختلاف الحكمين لهم الا ان يجعلا انا المنجوهم اعتراضا وقراءة
حمزة والكسائي منجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم
وقراءة ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص فعالا القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا يجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قولا
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم
من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي
وتنفر عنكم مخافة ان تفعلوا في بيته فيما اردتم بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما
تنكره لاجله بل جئناك بما يسرك وينفي الشك من عدوك وهو العذاب الذي نوعدهم
فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به
فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
سر من السير بقطع من الليل وطائفة من الليل وقيل في آخره ولا يلتفت منكم احد
في النجوم كم علينا من قطع ليلهم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وقيل
على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليتوفق
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الوجه الذي امركم الله بالمضي اليه وهو الشام

او ممر فعذف الجار وايصل الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه او على الظرف
حيث اليه مقضيا واليه عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله
النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى
انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه لحمله على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء
اهل المدينة يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا
تفضحون بفضيحتهم ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء
قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وقيل عن ان تضيف منا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
واحد وكان لوط لا يمنعهم عنه بقدر وسعه وعن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء
بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم
فاعلين قضاء الوطر وما قالوه لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه السلم وقيل
لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو بليغة في العمر يختص به القسم لا يكاد
يحلف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او سدة عقلهم التي
عقولهم وغيرهم من خطابهم والصواب الذي يشاهده اليهم يعمهون يتحيرون فكيف تعمهون
تخاطب وقيل الضمير للقرى والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل
صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او على
قومها سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل او قد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لايات للمتوسمين
المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها
وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لاية للمؤمنين
مخصين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يكثرون الفيضة
فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر الملتف فانتقمنا منهم بالاهلاك

ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب بالجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح

وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فيكون ذكر احدهما منبها على الآخر لبا مامهين لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح وبه سمي البناء الاتهما ما ابقيتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود لكذبهم صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزلة على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها وذرتها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها ومن العذاب لغرة غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين مشرقين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة اهلا لان تدل عليه وان تراعى في الافعال وتطابقه وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعامل معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه لحكم بينكم وهو الذي خلقكم وعلم ما يصلحكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح ولقد آتيناك سبعا من المثاني سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة وقيل يونس والحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع او التاء فان كلا منهن مثنى يكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثنى على الله بما هو اهله من صفات العظمة واسماء الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن وكتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه محقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كالمطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات

وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه لما اوتي باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولا تقفنا لها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤتوا وقيل انهم ممتعون متمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم بيانا وبرهانا ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقولا ولقد آتيناك انا فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما وقسموه الى سحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن من جملة كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الآتي آخرا عضوا مدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحار من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة المقتسمين او مبتدأ فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقهرهم واهلاكهم

وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن يغوث المطلب يا لعون في ايذاء النبي ﷺ واستهزائه فقال جبريل لرسول الله عليهما السلام امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بنبل سهم فلم يعطف تعظما لامر الله فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى العاص فدخلت في اخمصه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم ان ضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك وكن ممن يعبده عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن لخافة كآت محقوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل العبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله آباءهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان حق ما يقول فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به ممتنع لانه آت والمحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا اخلاص لكم عنده سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وتجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب وعلى ان الخطاب

للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي والقرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكر عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به على الرسول ما تحقق موعودهم به ودنوه وراحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب سئله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر ينزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان ينذرهم رسولا ان انذروا اعلموا انذروا اعلموا انذارت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون اخوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا او قولوا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان معتبرة لان الوحي بمعنى القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض وتخفيفه من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل وعلى انه من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق وجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او ما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك بنا لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم كافر في الخالقية قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد ترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم

بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيتقى البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تاكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى
اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات
المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون ترّدونها
من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان
الأفئدة تتزين بها في الوقتين ويجلّ اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة
لان الجمال فيها اظهر فانها تُقبل ملاء البطون حافلة الضرع تمرأى الى الحظائر رواحة
لأهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم اخالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا
من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الضرع والمكسور
النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحكم بخلقها
لانفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اى لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير
النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او مُتزيِّنا بها واستدل
على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد
منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
انما حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا
ضروريا وغير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم

لنابه وان يُراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا على عباده
قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه
يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف
اليه القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه
ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى
القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين
اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر
شراب ومن تبعيضية متعلقة بهم وتقديمها ليوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان بعض المياه
العيون والآبار منه لقولهُ فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكن
شجر يعني الشجر الذي يرعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض من شجر قال تعلفها اللحم اذا عنر
الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر وفيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها
صاحبها واصلها السَّوْمة وسمى العلامة لانها تؤثر في الرعي علامات ينبت لكم به الزرع
وقرأ ابو بكر بالنون على التخليم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم
ينبت في الارض كلا مما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه يصير
غذا للحيوانا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة
وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل
ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه الشجر
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم يغيو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام
والثمار ويشتمل كلا منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد
ونسبة الطبائع التفليك والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا
بفعل فاعل مختار مقدر عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية لذلك

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بأمره حال من الجميع اى لنفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها وادبرها
كيف شاء او للخلق له بايجاده وتقديرها او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال
ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل ومصدر رجع الاختلاف
النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيص
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر
العقل لانها تدل لما فيها من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى
استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم فى الارض عطف على الليل اى سخر لكم
ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تختلف بالتلون غالبا
ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلفوا فى ادراك الطعم والهيئات والمناظر ليس الا
بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا
طريا ماؤه وزعاف وتمشك به مالك والتورى على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل
السمك واجيب عنه باة مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق
الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوب
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبس نساؤكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه
تشقه صدورها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل فى تخصيصه بتعقيب التسكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث ان

الظاهرة

جعل الهالك

جعل الهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى ان
تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال
كانت كرة حقيقته ببسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
وان تتحرك باد نى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها فى
ترتهت الجبال ثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى قمنعها عن الحركة وقيل لما خلق
الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى على ظهرها فاصبحت وارست قدم
بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لاجل الذى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
اوالى معرفة الله تعالى وعلامات ومعالم يستدل بها السائلة من جبل وسهل
وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس
ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا اكثر الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء فى سائر هم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم
النجم والعائم الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والتسكر عليه ألزمهم وأوجب عليهم افمن يخلق كمن
لا يخلق انكار بعد اقامة الادلة المذكورة على كمال قدرته وتناهى حكمته
والتفرد بخلق ما عدد من نعمائه لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات والحجة
سيقت بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم
منهم والاصنام واجراؤها مجرى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله
ان يعلم والتماثلة بينه وبين من يخلق اولا بالغلبة وكانه قيل ان من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا مما ذكر ذلك فانه لجلاء كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده باذنى تذكر

والثقلات وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تحصر وان عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد (تعلنون) تريف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقراء عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئا لما في المتاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا البتة انهم لا يتاركون فضلا عن ان يخلقوا كل ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والا لم ينبغ ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا يعتريهم الحيوة وامواتا حالا ومآلا غير احياء بالذات لتنافي ولكل معبود والا لم ينبغ ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم وابعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والا لم ينبغ ان يكون عالما بالغيوب مقتدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للدعى بعدا قاعدة الحج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس واكثار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانيا في النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو الاظهر في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الكبر لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم والوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله والمنزل اساطير الاولين واما سموه منزلا على التهكم او على الاستدلال

اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلونهم من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يتحروا ويتثبتوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها برسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من حيث امن العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم هو اياهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح بيابل بنى طوله خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم بذلهم او يعذبهم بالنار لقول ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضافها الى نفسه استهزاء وحكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقراء البزي بخلاف عنه اين شركائي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقراء نافع بكسر النون بعدها ياء مفتوحة من شاقه مشاقة المؤمنين كشاقه الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشافونهم ويتكبرون عليهم لما رأوا الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكاية كلام يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقراء حمزة بالياء لاجل الفاء وادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا وخضعوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد بالقول الدال على الاستسلام بلى اى نجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو مجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف

350

ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ما كانوا
من سوء يا ليت لم يكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءٌ واحتمال ان يكون الراد عليهم هو
الله او الملوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعدّ له وقيل ابواب جهنم اصناف
عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ما
ذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب وقد
اطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يعتنون
ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماذا قال
واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة كما فات في الدنيا
وللدار الآخرة خير اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو وعدٌ للذين اتقوا على قولهم ويجوز
ان يكون بما بعد حكاية لقولهم بلا وقيل الخير على اله منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين
دار الآخرة فحُذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون وهذه من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله
المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاوّل الذين توفيهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين بشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين بعثون فانها معدّة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة المحتضرين الامر بالدخول
حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار الماز ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم
وما ظلمهم الله بتدميرهم وكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم الموبقة
اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف وتسمية

الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والجملة لا تستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء اغاظوا لوالهم استهزاءً ومنعًا للبيعة والتكليف متمسكين بإتيان ما شاء الله
يجب وعالم بنا يمتنع منا لفائدة فيها او انكارًا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها الكائنات مستقيمة لما شاء الله صدورها عنهم وشاء خلافه فيلجأ اليه
لا اعتذارًا اذ لم يعتقدوا قبحها لهم وبنا بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك
فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرّموا احله وردّوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه موجب اليه
على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل بإتيان قدرها له تقرّبت
ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببًا لهدى من اراد هداه وزيادة
الضلال لمن اراد اضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضرّ المنحرف ويفسده
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بيان لما امر
بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للاخذ بما دهم ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على ان هداه
التهيئة الغائية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وبتاته بفعل الله تعالى وبارادته حيث
انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى من حقت
عليه الضلالة وقرأ عيز الكوفيون لا يهدي على البناء للمفعول وهو بلغ وما لهم من ناصرين
من يمنعهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقالوا الذين اشركوا ابتداءً انهم كما انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده وقد ردّ الله عليهم ابلغ ردّ فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لنفسه
وهو ما دلّ عليه بلى فان بعثت موعد من الله عليه انجاز لاستتباع الخلف في وعده

اولان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اتا لعدم علمهم بانه من موجب الحكمة التي جرت عادة بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالوقوف فيتوهمون امتناعه لقراءة تعالى بتين الامرين فقال ليبين لهم اى يتبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى استبعاد الداعي الى البعث المقتضى له مرجيب الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقرير ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المادة والمدد واتا لزم التسلسل فكما امكن لتكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن لتكوينها اعادة بعد ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة والمحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعياش وابو جندل وسهيل ونواحي الله اى في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خيرا الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدايد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحل النهب والرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقولهم قرين الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت سنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة واما قوله جاء على الملائكة رسلا معناه رسلا الى الانبياء او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا محتملين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه السلم راى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اى ارسلنا

بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق الجار بما دخلا في الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او يوحى على المفعولية او الحال مما القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والانزام انزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تعبدك به عليهم والتبيين عم من ان ينص بالمقصود او يدل عليه بالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون فيتنبهوا للحقايق او امن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين اختاروا الهلاك للانبياء او الذين مكروا برسول الله وراموا قتله او اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اى متقلبين في مكاسبهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على تخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته وروي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته يتخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكاري قد راوا مثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته فيؤمنوا به وما موصولة او موصوفة مبهمة بينها ظلاله اى ولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمر وبالياء التفات عن الغيبة في قوله عن اليمين والشمائل عن ايمانها اى عن جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين الانسان وشماله او لعلا توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا

352

لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء
كان بالطبع او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل يجد البعير اذا طاطا راسه
ليركب وتحللها ما من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال يمنة
الشمس واخذارها وباختلاف مقاديرها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب
منفادة لما قدر لها من التقلب واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لا فعالا لله فيها وجمع داخرون بالواو لكون من جملتها
من يعقل والاتان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو
جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والتطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الظلال في اول النهار يبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض اي ينقاد انقيادا بينا لا ارادة وتاثير طبعا والانقياد لتكليفه وامر طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الترتيب بين الحركة
الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبتدا به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم
او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة وبيان لما في الارض
والملائكة تكرير لما في السموات لتعيين لها جلالة وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما في لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان او لان اطلاقها
من تغليب للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من
فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في
يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون
من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه كالاية على ان مساق النهي اليه
او بيان ان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحدية في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون

تقلمس من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك لا له
الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من ان الاله وحده والحق ان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر
افغير الله تتقون ولاصنا سواه كالانام غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وما نافية تفيد
فهو من الله وما شرطية او موصولة تضمنت معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجارون فما تضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض
على ان بعضهم كقولهم فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بذكرهم كمال النعمة وانكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيد وقرئ فيتمتعوا مبنيا للمفعول عطف على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام
كلام الامر الوارد للتهديد والجواب ويجعلون لما لا يعلمون الى آلهتهم التي لا علم لها لانها جماد
فيكون الضمير لها والتي لا يعلمون فيها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتضع طم
على ان العائد الها محذوف والجملة على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من ان لها آلهة حقيقة بالتقرب
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتجب منه ولهم ما يشتهون تعيين للبنين وتجوز بما يشتهون
الرفع على الابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان المعنى على الاختيار ويجوز ان يفضل
الان يكون ضمير الفاعل والمفعول للعقلي واحد كقوله لا يعد تحويرا في المعطوف واذا بشر احدهم
بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار ودام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتنوء النهوض بثقل وهو كظيم مملوء غيظا من المرارة يتوارى من القوم

يستخفي منهم من سوء ما بشر به عرفا ايمسكه محقرا نفسه
متفكرا في ان يتركه على هون ذلا ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد
ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة الشنوء وهي الحاجة الى الولد
المنادية بالموت وانتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والتزاهة
عن صفات المحلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض والضمير للنسمة من غير ذكر كما في قوله ما ترك على ظهرها من دابة
الدابة عليها من دابة قط بسوء ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل للوهاب الاباء بكفرهم لم يكن الانبياء ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى حتما لاعمارهم ولعذابهم كي يتوبوا او فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون بل هلكوا وعذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة
الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما
شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات
والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وازدراء الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده
وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرط فرطه في طلب الماء اذا قدمته وقراءة نافع
بكسر الراء على الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطه في طلب الماء
ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
فاصروا على قبايحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر عنها باليوم عن زمانها
او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على حكاية حالها الماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو وليهم اليوم

اليوم يغربهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي الغربين
او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر والحلال
والمعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل التبين فانهما فعلا
المنزل بخلاف التبين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها بعد ما كانت فيها انواع النبات بعد
يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة كالة
يعبر بها من الجهال الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة واما ذكر الضمير وتوحيده
هاهنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عد
سيبويه من المفردات المبنية على افعال كالخلاف والكباش ومن قال انه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحد او له على المعنى
فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي
المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس
ان البهيمة اذا اعتلفت وانضج العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي
البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش
ويبقي ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيجزئ اخلاطا اربعة مما
مائية فيميز القوة المميزة لتلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وترفعها
الى الكلية والمرارة والطحال لتوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه
على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصبت ذلك الزائد وبعضه الى الضروع فيبيض مجاورة لحومها الغدية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقاديرها

وبحاريها والاسباب الموادة لها والقوى المتصرفة فيها كما وقت على ما هو لايق به
اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في
بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض كان بين الفرث والدم المحل الذي ابتدأ
منه الاشقاء وهي متعلقة بنسقيكم او بحال من لبنا قدمت عليه لتنكيره والتنبيه على انه
موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الجوهر
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهلا المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الامتنان او تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او
خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه وذكر الضمير على
الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدلالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم فالمعنى
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اتجاه ان في ذلك لآية لقوم يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات يعقلون
واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي
وبجوز ان يكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل يذكر
من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرشون من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمى ما تتخذه لتعسل فيه
بيوتا تنبيها على ان الانسان لما فيه من حسن الصنعة وفتحة القسمة التي لا يقوى عليها
غيره في الهندسيين الابابات وانظار دقيقة ولعل ذكر للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء للتيا وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها
ترعاها وطوعا فاسلكي ما الكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرتع
عسلا من اجوافك الا فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى
بيوتك سبل ربك ولا تتوعري عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل

اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه
محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل
لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل
في بطنها عسلا ثم تقيؤه ادخار للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتصفها في بيوتها ادخارا واذا اجتمع في
بيوتها شيء كثير منها كان العسل فيرد البطون بالاقواه مختلف الوانه ابيض واصفر
واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اتى بانفسه كما
في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه
مع ان التكثير فيه مشعر بالتبعيض وبجوز ان يكون للتبعيض وعن قتادة ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما نشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او للماء بين
الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها عليه
ذلك وبجملها والله خلقكم ثم يتوفيكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه
يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى الحالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير بميت
الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا
بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدلها مزيجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير
ومنكم موالي يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مالك يملك غيره على خلاف ذلك فما

الذين فضلوا برادى رزقهم بمعطى رزقهم على ما ملكت ايمانهم
ليكهم فانا يدتون عليهم رزقهم الذى جعله الله فى ايديهم فهم فيه سوا
فالموالى والمماليك سوا فى ان الله رزقهم فالجملة لاتهة للجملة المنفية او مقررتها
ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيضا ويقيم فيه
افبنعمة الله يجحدون تتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاد اليهم بعض ما انعم الله عليهم
ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها
والبا، لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اى من جنسكم لتسكنوا اليها وليكون اولادكم مثلكم وقيل
هو خلق آدم وحوا من ضلع ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اولادا او اولاد اولاد او بنات فان الحافد هو
المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على الاب
وقيل الربايب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم علينا
كالبحائر والسوايب وبنعمة الله اتاه الاصنام او ايهام التخصيص بما الغة او للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا
بدل من رزقا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فانه منصوب به ولا يقدر
عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه ولا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وفيما قبله
فى لا يملك لان ما مميز فى معنى الاصنام ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون شيا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركون بها وتقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال
ان الله يعلم فساد ما تقولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل

حيث ٤

حوا من ٤

فى التعظيم

فى التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهى وانه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب
فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثلا ما يشركونه بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثلا نفسه بالحر المالك الذى
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تقاربهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام
التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر
المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبلب
القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك
لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنس
فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شئ من الصنايع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلى امره اينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ووجه بمعنى يتوجه كقوله
ايما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى كايات تخيير نحو وكفاية منهم هل
يستوى هو ومن يامر بالعدل ومن هو منهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس توجههم
على العدل الشامل لجامع الفضائل فهو على صراط مستقيم وهو فى نفسه على صراط مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وايسر عمل فاين تلك الصفات بهذين الموصوفين
لانهما كما لا يستويان مثلا هما لا يستويان حالا بطل الشركة بينه
وبينها والمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص بعلمه غيره وهو ما غاب

فانه يعلم كيف يضرب الامثال

356

فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض **وما امر الساعة** وما امر قيام القيامة
في سرعته وسهولته **الا كلمح البصر** الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها
او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف ذلك الحركة بل في
الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة ويأمر بجميعهم دفعة كان في آن واو
للتخيير او للتعليل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقراب
ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما ان قدر ان احياهم متدرجا
تدل على قدرته فقال **والله اخرجكم من بطون امهاتكم** وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه
لغة واتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء بزيدة مثلها في امهاتهم
لا تعلمون شيئا حالا مستصحبين جهلكم الحادث **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة**
اكاة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركون بها فترتبون بعلومكم
بمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية
وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها **لعلكم تشكرون** كي يعرفوا ما انعم عليكم
طورا بعد طور فتشكرونه **او لم يروا الى الطير** قراءة ابن عامر وحمزة ويعقوب
بالتاء على انه خطاب العامة **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة ولا
الاسباب المواتية له **في جو السماء** في الهواء المتباعد من الارض **ما يمسكهن** فيه **الا الله**
فان ثقل جسمها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لآيات لتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها واسكانها الهواء على خلاف طبعها **لقوم يؤمنون**
لانهم هم المنتفعون بها **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم
كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعلا بمعنى مفعول **وجعل لكم من جلود الانعام** بيوتا
كالقباب المتخذة من الادم **تستخفونها** تجدونها خفيفة **يوم ظعنكم** وقت ترحالكم **واقامتكم**
وضربها اوضعها **واصوافها** اوبارها **واوبارها** **واشعارها**
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس وينفرش **ومتاعا** ما يتمتع به **الى حين** الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة والى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم **والله جعل لكم مما خلق ظلالا**
والجبال والابنية وغيرها **ظلالا** لا تتقون به حر الشمس **وجعل لكم من الجبال اكنانا** اواضع
تسكنون بها من الكهوف والبيوت المحفورة فيها جمع كن **وجعل لكم سرابيل** يا بما من الصوف
والكتان والقطن وغيرها **تقيكم الحر** خصه بالذكر لكتفاء باحد الضدين او لان وقاية
الحركات اتم عندهم **وسرابيل تقيكم بأسكم** يعني الدروع والجواشن والبيضة يعم
كل ما يلبس **كذلك** كاتمام النعمة التي تقدمت **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** اي تنظرون
في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تسلمون فتسلمون من
العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك **فانما عليك البلاغ المبين** فلا يضرك فانما عليك
البلاغ وقد بلغت وهذا من قامة السبب مقام المسبب **يعرفون نعمت الله** اي يعرف
المشركون نعم الله في عدد ها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله **ثم ينكرونها**
بعبادتهم غيره المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا وبسبب كذا او باعراضهم عن آياته
حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا **وأكثرهم الكافرون**
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف
الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف
واما لان المقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون **ويوم نبعث من كل امة شهيدا**
وهو نبيها شهد لهم وعليهم بالايمان والكفر **ثم لا يؤذن للذين كفروا** في الاعتذار ولا
عذرهم وقيل في الرجوع الى الدنيا **ولم هم** زيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار

لما فيه من الافراط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام لانهم يستعظمون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او حق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء والشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم ونطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك والناس ان يتطرعنا بهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله وانهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام بحيث ياوي في نفسهم حلولهم على الكفر والزامهم اياهم لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى للجميع وقيل للمؤمن المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامركم بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول الكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو ما يجب كميته كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب

مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه فانه القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية وما يوجد من الانسان شر وآفة وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود ما جمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غيرها كفت الآية لصدق عليه انها تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا تنقضوا قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه الكفيل بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بالوفاء بالبيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المغزول من بعد قوة من متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا ما طاقات تنكث فتلها وانتصابها على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تغزل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حالان من الضمير في ولا تكونوا او في الجار والواقع موقع الخبر اى لا تكونوا مستبدلين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصلا الدخل ما يدخل الشيء وليس منه ان تكون امة هي اربى من امة بان يكون جماعة ازيد عددا واوفر من الاخرى جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا سوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم وانما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم اربى لينظر اتستكون بحبل الوفاء

بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
وقيل الضمير للأمة وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فاجازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء
بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في فتح المنهي فتزل قدم
اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد قدماهم وانما وحد وذكر للدلالة ان زلل قدم واحدة
واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عند الله وبيعته رسوله
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش بعدت وا لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
رجاء ان ما عند الله من النصر والتمكين في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعد ونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من عرض الدنيا ينفد ينقضي في نفسه
وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو يقليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم
اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار وعلى مشاق التكليف
وقراء ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات
والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من ذكر وانثى بتأنيثه بالنون عين ذر فغا
للتخصيص وهو دون اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العذاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا بعيش عيشا طيبا قانعا ان كان موسرا ظاهرا
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة ونوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا ظاهرا وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة كوساوسه
للاوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في
كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرر فيا سا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه

ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه انما فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لتلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين
يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله وبسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا
آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة تصير مفسدة بعد فينسخه ولا يكون مصلحة حينئذ
يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقراء ابن كثير وابو عمر وينزل بالتخفيف قالوا انما انت مفتر
متقول على الله تأمر بشئ ثم ترجع عنه وذلك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم
بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون
حالا اي انزلوه يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقراء ابن كثير روح القدس بالتخفيف
وفي ينزل ونزله تنبيه على ان له مدخلا في حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ
وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمأنت قلوبهم وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه
وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون اليه اميلون لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليهم ومنه

من لحد القبر وقراءة حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء واللسان اعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره بحملهما وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو وقومه انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وتانيهما هب انه يعلم منه المعجمي باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة مطاولة فكيف يعلم من غلام سوقيين سمع منهما بعض اوقات مرور عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم في القرآن باثر لهذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون بها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق والى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما طاطا شبهتهم ورد طعنهم ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله انهم لا يجانفون عقابا بين دعواهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا والى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يبصر فهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه ثم قال من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض ومن اولئك اومن الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دلت عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب لان اكره على الافتراء وكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ كلا اعظم من جريمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا لها اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمارا ما اراد وا

ما اراد وا كفرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان تجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان سميلة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقالت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه لما يوجب بناء الامر الايمان وكابعضهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتاثر فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الناهية عن تدبر العواقب لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا اكثارا بالولاية والنصرة لما بعدها لهؤلاء عن حالا واولئك وقراءة ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالخضرمي اكرهوا حتى ارتدوا ثم اسلموا وهاجروا جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد المهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب بمحذوف اي اذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها ويسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته ولكن كانت آمنة معطمئنة لا يزعج اهلها خوف بانيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كالدرع وادرع او جمع نعيم كبوس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

استعارا للذوق لادراك الضر والباس لما غشيهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقولك كشر عمر الرداء اذا تبسم ضاحكا علقت
بضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للعمر وولاءه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله
يا زيد عمرو اخى عبد عمرو وشقيك يا اخا عمرو بن بكر الى السطر الذى ملكت يميني ودونك
فاعجم منه بشظا استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعجم نظرا الى المستعار منه كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد بعثنا فيهم رسولا منهم يعنى محمدا صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم
بالظلم والعذاب ما اصابهم من الحرب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا انزهم باكل ما احل الله لهم وشكرا نعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من القتيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتبنا ولما احل لهم عدد عليهم
محرمات ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك النهى عن التحريم والتحليل بما هو اتم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الآية وتقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة
الا ما عظم اليهود ليلا كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام ومفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم
بالكذب كان حقيقة الكذب كالمجبولة والسنتهم تصفها وتعزفها كلامهم هذا وكذلك
عدى فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرى الكذب بالجر كالكذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اى ما يفترون كجعلهم اوثانهم منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم
فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تعليم على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما تكون
للمضرة تكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اى ملتبسين بها لان العمل الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والتسويل الا فتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور لذلك التائب رحيم يثيب على التوبة ان ابراهيم كان امة
كامل واجتماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من العرب
والطعن فى النبوة وتحريم ما احل او كان كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل
سمى فعلة بمعنى مفعول لكثرة التحنث من امته اذا قصدوه واقتدوا به وان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له
قائما بما امر من حنيفا مائلا عن سائر الملل الباطلة ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا
يزعمون انهم كانوا على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان يجتهد
بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله
واتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة لما سأله بقوله والحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وشرفناك بتعظيمه
او التنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول ملته والتزاحم ايامه ان اتبع ملة

ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الادلة مرة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل اقدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى
عليه السلم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوما نتم
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالرهم الله السبت وشدد الامر عليهم
وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد
فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا التهديد للمشركين كذلك القرية
التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة
على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الامرين والمعطفين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم
الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة اللطائف
العالمين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم ومعانديهم بالتي هي احسن
بالطريقة التي هي احسن نظرا في المجادلة من الرفق واللين واتيانه الوجه الايسر والمقدمات
التي هي الانهض فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليها
فلا اليك بل الله اعلم ايضا بالمهتدين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
لما امر بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بالمخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تقتضي رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل
انه عليه السلم لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني
وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه
الاكد بقوله ولئن صبرتم هو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر

لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله وثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله
الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون في ضيق صدرك بمكرهم وقراءة ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان
كالقول والقيل ونحوه ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي
والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل ومع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين
هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلتها كان له من الاجر كما
لمن مات واحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا
ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات وفيها ركوعان بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال رؤبة قلت لما جانى فخره سبحان من علقمة
الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده
واسرى وسرى يجيء وليلا نصب على الظرف وفائدة الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء
ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به بعينه كما روى انه
عليه السلم قال بينا انا في المسجد الحرام ظ الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا اتاني جبرائيل
بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فحملني عليه
فانطلق يهوي بي يقع حافره عند منتهى طرفه حتى اتى بيت المقدس فربط الدابة بالحلقة التي
يربط بها الانبياء ثم دخل بي المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرج بي فاتاني باناءين احدهما
خمر والآخر لبن فاخترت اللبن فقال جبرائيل اخترت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر غوت امتك
ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبرائيل فقيل من انت قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي
الى السماء الثانية فاستفتح جبرائيل فقيل من انت قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلم
فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل فقيل من انت قال جبرائيل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف اذا هو قد
اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الرابعة فاستفتح جبرائيل فقيل
من انت قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الخامسة فاستفتح جبرائيل فقيل من انت
قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة فاستفتح جبرائيل فقيل من انت قال جبرائيل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل فقيل من انت قال جبرائيل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره
الى البيت المعمور وهو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى
فاذا ورقها كآذان الفيلة وثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى فرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت
حتى بلغت موسى فقال ما صنعت قلت فرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع
ذلك وان فرضك على امتك خمس صلوات كل يوم وليلة وان كل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون صلاة
فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا فرجعت الى موسى فقال بما رجعت
قلت رجعت باجر فقال ما صنعت قلت فرض علي كل يوم وليلة خمسين صلا

ثم سحرهين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بانبات الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة وبيننا وبين مرتفعات طرفها الاسفل بسيط موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيجوز ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمى به لبعده او لان حسناته بعد عن السيئات وقيل لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله بالبركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وبعض الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله المجد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا على انه كتب اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على الابن لا تتخذوا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه امورهم غيرى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح فى السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا بحمد الله تعالى على جميع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان بتركه شكر وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلم وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا فى الكتاب فى التوراة لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف او قضينا عن اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلم ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله ولتظلن الناس

فاذا جاء وعد اولاهما وعد عاقبة افسادهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر وقيل ارميا وقيل سنحاريب عامل الفرس على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولى بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا ترددوا بالطلب فى خلال الديار وسطها للقتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم بالجاء وهما الخوان وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار بن لهراسف بن كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملكه دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وبان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا تمكنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فاق وبالها عليها وانما ذكر بالام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوء اوجوهكم اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف اللام لانه ذكر اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ليسوء بالنون وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او الله وبعضده قراءة الكسائى بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليتبروا يفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا والام فى قوله وليدخلوا المسجد يتعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما غلبوا واستولوا عليه اوبمدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قربانهم فوجد دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال انما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى فانى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم نبينا فقال لم هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك

فاهلكناه باذن الله قبل ان لا يبقى احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة
وان عدتم لتوبة اخرى عدنا لمثل ما فعلنا بكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على
الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها
ابدا الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي للحالة او الطريقة التي
هي اقوم الحالات والطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين بشارتين توابهم وعقابهم
او على يبشر بامرين بخير ويدعو الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله او يدعو لها بسببه حيث لا يجيبه وهو شره عاه بالخير متلبسا عاه بالخير وكان
الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فاراحت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد فندم فقال اللهم
انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر والدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم ان كان
الحق بين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجبه فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق
واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاضافة والاضافة فيها
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصره فبصر او مبصرا لها كقولهم اجبن الرجل اذا كان ذا جبن وقيل الآيتان
القمر والشمس وتقديم الكلام وجعلنا نير الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار
ذوي آيتين ومحو آية الليل هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر

فامحو آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة

التي هي

الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم
وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين
والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه
تفصيلا تبيانا بينا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طار اليه
من عش الغيب وكرا لقدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه عنق
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد فعنقه لزوم الطوق له
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله
فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا وملكات يفيد تكررها لها ملكات ونصبه
بانه مفعول اول اخرجنا من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر او يعضده قراءة يعقوب
ويخرج من خرج وعنه يخرج وقرئ نخرج اي الله يلقاه منشورا كاشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب ويلقاه صفته ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيه كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه
بمعنى الحاسب كالضرس بمعنى الضارس وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه
كذا وبمعنى الكافي في موضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكير على
ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال وعلى تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا يتحمل هداه غيره ولا يؤدي ضلاله
سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى بل انما تحمل
وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث فيهم رسولا ومهد الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا
باهلاك قوم لا نفاذ قضائنا السابق ودنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسوله
بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة

مِن عطاء ربّك من معطاه متعلّق بمدّ وما كان عطاء ربّك محظورًا ممنوعًا لا يمنعه
في الدنيا مسلم ولا كافر تفضّلا انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب
كيف بفضّلنا على الحال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا أي التفاوت في الآخرة
أكثر لأن التفاوت فيها بالجنّة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله إلهًا آخر الخطاب
للرسول والمراد به امّته ولكلّ أحد فتقعد فتصير من قولهم قعد عن الشيء إذا عجز عنه مذمومًا مخذولًا جامعًا على نفسك
الفقر من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه أنّ الموحّد يكون ممدوحًا منصورًا
وقضى ربّك وأمر أمرًا مقطوعًا به ألّا تعبدوا بأن لا تعبدوا إلّا إيّاه لأن غاية التعظيم
لا تحقّ إلّا لمن له الخلقة ونهاية الإنعام وهو المتفضّل في الآخرة والدنيا وأن تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين إحسانًا أنها
مفسّرة لأنّ فيها معنى القول وبالوالدين إحسانًا وإن تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين إحسانًا أنها
الشاب الظاهر الوجود والتعيّش ولا يجوز أن يتعلّق الباء بالإحسان لأن صلته لا يتقدّم
عليه إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو إمّا أن الشرطيّة زيدت عليها ما تأكيدًا ولذلك صحّ
لحوق النون المؤكّدة بالفعل وأحدهما فاعل يبلغن وبدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف
يبلغان الراجع إلى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما فاعلًا وبدلًا ولا يجوز أن
يكون تأكيدًا للألف ومعنى عندك أن يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل لهما أفّ فلا تتضجّر
مما تستقذره منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدلّ على التضجّر وقيل اسم الفعل
الذي هو اتضجّر وهو مبنيّ على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص
للتنكير وقراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونًا وبالضمّ
للإتباع كمنذ وغير منوّن وغير منوّن والنهي عن ذلك يدلّ على المنع من سائر الأذيّة قياسًا بطريق
الأولى وقيل عرفًا كقولك فلان لا يملك الكبير والقطمير ولذلك منع رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم حذيفة من قتل أبيه وهو في صفّ المشركين نهى عتابًا يؤذيهما
ليهما بعد الأمر بالإحسان ولا تنهرهما ولا تزجرهما عتابًا لا يعجبك بأغلاظ وقيل النهي والنهر
والنهم أخوات وقل لهما بدل اللين والتأنيف قولًا كريمًا جميلًا لا شراسة فيه

والتمرّد في العصيان فيدلّ على الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق لقوله
ففسقوا فيها كقولك أمرته فقراء فانه لا يفهم منه إلّا الأمر بالقراءة على أنّ
الأمر مجاز من الحمل عليه والتسبّب له بأن صبّ عليهم من النعم ما أطرهم وأفضى
إلى الفسوق ويحتمل أن لا يكون له مفعول مذكور كقولهم أمرته فعصاني وقيل معناه
كثّرنا يقال أمرت الشيء وأمّرته فأمر إذا كثّرته وفي الحديث خير المال السكّة المأبورة
ومهرة مأمورة أي كثير النتاج وهو أيضًا مجاز من معنى الطلب ويؤيّده قراءة يعقوب
آمرنا وراوية أمّرنا عن عمرو ويحتمل أن يكون منقولًا من آمرنا بالمدّ أمارة أي جعلنا لهم
أمراء وتخصيص المترفين لأنّ عيونهم يتبعهم ولأنّهم أسرع إلى المعاندة وأقدر على الفجور
فحقّ عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بالعذاب بطوله أو بظهور معاصيهم وإبائهم كقوله
المعاصي فدمّرناها تدميرًا أهلكناها بأن هلّلنا أهلها وخرّبنا ديارها وكم أهلكنا
وكثيرًا أهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربّك بذنوب عباده
خبيرًا بصيرًا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدّم متعلّقه
من كان يريد العاجلة مقصورًا عليها همّه عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيّد المعجّل
والمعجّل له بالمشيّة والإرادة لأنّه لا يعجّل كلّ متمنّ ما يتمناه ولا كلّ واحد ما يعجّله وليعلم أنّ الأمر
بالمشيّة والهمّ نصب ولكن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى
يطابق المشروط وقيل لمن فيكون مخصوصًا ممن أراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلّا مناهم في العاجل وهو لها
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا مطرودًا من رحمة الله ومن أراد الآخرة وسعى لها
سعيها حقّها من السعي وهو الإتيان بما أمر وله انتهاء عما نهى لا التقرّب بما يختزعون بآرائهم
وفائدة اللام اعتبار النيّة والإخلاص وهو مؤمن إيمانًا صحيحًا لا شرك معه ولا تكذيب فإنّه
العمدة فأولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورًا من الله مقبولًا مثابًا عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة كلًّا كلّ واحد من الفريقين والتنوين بدل المضاف
إليه نمدّ بالعطاء مرّة بعد أخرى ونجعل آنفه مدّ الباقيه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلًّا

واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيما جعل للذل جناحا كما جعل لليد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا صبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما ومن خفضهما بالغة او اراد جناحيه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وفي اضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما الى في صغري وفاء ببعض حق الوالدين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر انا آتي منهما ما اوليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما انكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان بضمرهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا مما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية قوليا او رؤيا على انه وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول عليه السلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المبذر هو الذي ينفق ماله في غير حقه وقال ابو امامة لو انفق رجل ماله كله في وجوه البر لم يكن مبذرا ولو انفق مدا في غير حقه كان مبذرا وقال ابن مسعود المبذر هو الذي يأكل ماله في غير حقه وقال مجاهد لو كان الرجل على نهر جار كان منفقا في غير سرف وقال اذا انفق ماله في الباطل وفي التضييع وان قل فهو مبذر وان انفق في الخير وان كثر فليس بمبذر وقال ابن عباس رضي الله عنهما المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في التقتير فان التضييع والاتلاف نقيض الايصال الى المستحق وهو الانفاق في وجوهه وكانوا اتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويتبذرون اموالهم في القمار فنهاهم الله عز ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فما

ينبغي ان لا يطاع وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم بايجاد القول لهم والميسور من يسر الامر يسر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك تمثيلان لمنع التحسير واسرافا لمبذر نهي عنهما اما الاول فلتضاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس كالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما ومنقطعا كالا لا شيء عندك من حسر السفر اذا بلغ منه وقيل جاء ربنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة فعدا الى امه فذهب الى امه فقالت قل له اتى تستكسيك الدرع الذي عليك فخلع درعه ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلالا وانتظر الصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر توسعه وتضيقه بمشيته البالغة الحكمة فليتأس بما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر وانما العباد فليس لهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض تارة اخرى فاستتر بسنته ولا تقبضها كل القبض ولا تبسطها كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة العاقبة وقتلهم اولادهم هو وأد بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطاء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطاء وهو اسم من اخطأ يصاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ

ابن كثير خِطْأً بالكسر وهو لغة او مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكنه جاء نحو خاطاه
في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخُرْطومه في منبع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ
خَطَأً بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا او مكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم ولا بأيّ
بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على ابضاع المودى الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق الا باحد الاسباب الثلثة كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل
مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما اي غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امر
بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه او القصاص
على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوانا فان الخطا لا يستتبع ظلما فلا
يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك
او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيده الاولى قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول
فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره
حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص
او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي
احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا
مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه وينفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه
او يسأل العهد ليركز تكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ولعل
ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا او وفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا با
القسطاس المستقيم الميزان السوي وهو رومي عربب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان
المعجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير وجمعها
صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير وأحسن

تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف
اثره اذا قفاه ومنه القافة سماليس لك به علم ما لم تعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج
به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند صحيح
كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرؤية والقلب
الزوزني والبصر بالمخرج وكقولك الكحيت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الخواص ان قفيتها
والفؤاد كل واحد من هذه الاعضاء فاجريها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن افعالها
شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث اسم جمع لما هو
بمنزلة القبيلين جاء لغيرهم كقوله ثم المنازل بعد المنزلة اللوى والعيس بعد اولئك الايام
كان عنه مسئولا في ثلثتها ضمير كل او كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل
صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقفوا ولصاحب السمع والبصر وقيل سؤال
الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطاب للانسان الفاعل وما يقوم
مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفؤاد بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو على اعتبار الحكم بالمرح وان كان المصدر الكد من حيث انك لن تخرق الارض
لن تجعل فيها خرقا بدقتك وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي
بان الاختيال لحماقة مجردة لا تعود تجدي بل بسبب التذلل كل ذلك اشارة الى المحصال الخمسة
والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رض انها المكتوبة
في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة ما مورات ومناهي وقرأ ابن كثير
والبصريان على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله
عند ربك مكروها بدل من سيئه او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به بجعل
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به
المنهوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته
تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق

لذاته والخير للمعلم ولا تجعل مع الله الها آخر كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدء الامر ومنتهاه
فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غير وجه سعيه وانه رأس الحكمة
وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشر في الدنيا وثانيا ما هو تتمته في العقبى فقال
فتلقى في جهنم ملوما نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب لمن
قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لشهوة زواجها فتقيسون
انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلون الملائكة الذين هم اشرف خلق الله
ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه
ومجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال الاضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في
هذا المعنى او وقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا وقرأ
حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو ضد النسيان ويعتبروا به فيتوبوا
عن الجهل وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص
بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول وافقهما نافع وابن عامر وابو بكر في يقولون
وفي الثانية على ان الاولى امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية بما تنزه به نفسه
عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لجواب عن قولهم وجزاء لو والمعنى لطلبوا الى من هو
مالك الملك سبيلا للمعارة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض وبالتقرب اليه والطاعة
لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
تنزيها تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه قاصر على
مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من آد في مراتبه فانه من
خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ولما نزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لانكم بالنظر الصحيح الذي هو لهم

تسبيحهم

تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور
منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر تسبح بالتاء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا اذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم ستيل مغنم
او مستورا عن الحس وبحجاب آخر كالا يفقهون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا
ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالة المنصوبة في الانفس والآفاق
تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها
وتجوز ان يراد بها عن ادراك الحق وقبوله او يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا
له لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم
عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى
وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده حال او صفة اى ذا توحيد او مصدر وقع موقع الحال
واصله ذا وحدة وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن
اذ يستمعون اليك ينظرون لاعلم وكذا واذ هم نجوى اى يخلو اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون
اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويجتمل ان يكون جمع نجي
اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بهذا والمسحور الذي سحر فزال عقله وقيل الذي
له سحر وهو الرئة اى ما رجلا يتنفس وبأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال فشلوا بالكفر
والسحر والكهانة والجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا للطعن بوجه
فيها فتون يخبطون كالمتحيرة في امر لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا
وحطاما ائنا لمبعوثون لخلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين عظاما ضالة الحي وبين
الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان

لنصدر الاستفهام

لا يعلم فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اى مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرة تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت عضة موصوفة
بالحيوة قبلُ والتى اقبل لما عهد فيه مما له يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة
وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر والظرف
اى تكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى وخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اى يوم يبعثكم فتبعثون استعار لهم الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسرهما
قال وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اى حامدين لله على كمال قدرته
كما قبل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين لم تظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كما تدل
على قهرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا التى هى احسن الكلمة التى
هى احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ يهيج بينهم الرآء والشر فلعل الخاشنة بهم
تفضى الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم وان يشأ يعذبكم تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها ولا تفتحوا بابا تهمهم من اهل النار فانه يجرهم على التمرع ان ختام امرهم غير لا يعلمه
الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تكلفهم الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال عنهم روى ان المشركين قالوا لئن بعثت
فينا كما بعث موسى لتكونن كموسى فينا او اشد فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامر الله بالعفو وربك اعلم بمن
فى السموات والارض وبما حالهم فيختار منهم للنبوة والولاية من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش
ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون للعزاة الحقوق اميها ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية بالكثرة الاموال والاتباع حتى فان شرفه
بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتى من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله

وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم
المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكير ههنا
وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب والمصدر كالقبول
ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس والفضل والمراد وآتينا داود بعض الزبر او
بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغى
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغيره الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره
كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك فى الكتاب فى اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات ما مر بنا عن ارسال الآيات التى اقترحتها قريش الا ان كذب
بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو
ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال كما جرت عليه سنتنا
وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن لم نذكر بعض الامم المهلكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة آية بينة ذات ابصار
او بصائر او جاء عليهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم
بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اى الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل
فان لم تخافوا نزلنا او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان آمن
من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة وان بالبأساء مزيدا وفى موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم فى قبضة
قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير

بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي رأيناك ليلة المعراج وتعلق به من قال
كان ذلك في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وعام الحديبية حين
رأى انه دخل مكة وفيه ما سيأتي وأن الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ وأعلم
الرؤيا آية لها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماء قال
لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فما سمعت به قريش
واستخبروا عنه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة
فقال لهو حظهم من الدنيا يعطونهم بالاسلام وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس
ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي تجرة الزقوم لما مر
المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وأعلموا
ان من قدر ان يجعل في النار شجرا يأكله النار واخبأه النعامة من اذى الجر وقطع
الحديد المحماة الحر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرا لا تحرقها والعنها في القرآن لغوتها
طاعميها وصفت به على المجاز للبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة
او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد قالت بالشيطان وابا
جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا اعتوا متجاوزا
الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءأسجد لخلقت طينا
من خلقته
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو
طين او منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه اياء بعلة الانكار قال أرأيتك
هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول
اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لان الصلة عليه والمعنى اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي لم كرمته علي بالتجوز ولم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام
موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته الا قليلا لأستولين عليهم بالاغواء الا قليلا
لا قدر ان أغويهم كعبدك المخلصين اذهب امهلتك وانظرتك فسمي الامهال ذهابا
وانما علم ذلك بتسويل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع
التقرير او تفرسا من خلقه ذا شهوة ووهم وغضب قال اذهب امض لما نصبته
وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاءك وجزاءهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا اسكاما من قولهم وفر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء
على المصدر بما دل عليه ما ربطه وما في جزاكم من معنى فعل ترون والحال موطئة لقوله موفورا
واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك
يا عوانك من راكب وراجل والخيل اسم جمع للراجل كالركب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه
والرجل اسم جمع للراجل كالتجب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه
بمعونة صوت على قوم فاستفزتهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم
وقرأ حفص رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس ونذس ومعناه وجمعك الرجل
وزجالك ورجالك بتارك في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها
على الا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشتراك فيه بالتسمية
بالحارث عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذمية والافعال القبيحة ووعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض بين بيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان
عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يختصهم
ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة
منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله
الريح وانواع الاستعانة التي لا تكون عندكم ان كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه
وتسهل عليكم ما يعسر من اسبابه وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم

سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل لكل من يعبدونه غيره عنكم الا الله فلما نجيكم
من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقولك ذو الرمة
عطا في تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطل او كان الانسان للكافر كما في التعليل الاول
افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم
ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف
وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او ان يقلبه بسببكم وبكرامكم عليه والخسف
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على
انهم كما وصلوا التاء لكفروا واعرضوا ان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل
يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي الحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم في البحر تارة
اخرى بعلو دواعي تجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تربتي الا قصفته
اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفركم
او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد
كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام
بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض
والتمكن من الصناعات وانشاء الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود
عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقتضي الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او
بالتشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل
الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اوردنا الكثير منها بالكلية وفيه تعسف

يوم ندعو نصب باضمار اذكروا وظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو وندعى وهو
على قلب الالف واوا ولغة من يقول لغوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا
النجوى الذين ظلموا وضعيفة وكل يد منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها
ليست الا علامة الرفع وهو قديقة تركا في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي تتعلق علقة الانساب وبني نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم
وافعالهم وقيل بأئمتهم جمع امام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام
واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه
بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة
بايتاء الكتاب باليمين يدل على قرن اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غيرهم من الخجل والحيرة
ما يحبس الشتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب
لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال
الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل الاول لعدم الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يدخل
ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل اذا استعمر فكانت الفه في حكم المتوسط في اعمى لكم
بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما وكانت معترضة للامالة من حيث انها
تصير ياء في التثنية وقد اماله حمزة والكسائي وابو بكر وقراء ورش بين بين فيهما
وان كادوا ليفتنونك تركت في نقيف قالوا لا تدخل في امرك حتى تعطينا خصلا نفتخر
بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحنى في صلوتنا وكل ربوا لنا فهولنا وكاربوا
علينا فهو موضوع عنا وان ثمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمته مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر

حتى لم يألهتنا وتمسكها بيدك وذلك هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى انك
قاربت ان توقعهم في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غيرها واوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك باقتنائك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك
كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه وهو مريح في انه عليه السلام ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعفا مما تعذب به في الدارين مثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا ليستفزونك ليزعجونك
بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا
يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
يدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النظير بقليل وقرى لا يلبثوا
منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله اذا لاكادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن
لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وبعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه قالت العرب خلافهم فكانما بسط النوى بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من نبي نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة
من رسلنا

وهوان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها
الى الرسل لانهم من اجلهم وبدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة
لدلوك الشمس لزوالها وبدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدجل ودجج ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت
مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به
على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم
لو فسرت القراءة في صلوة الفجر بالامر بها منتهى على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا
ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من
تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه
ان يشهده الجم الغفير ولا يتجامعه للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال وصلوة
الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس
الى غسق الليل بيان لمبدإ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك التهجد للصلوة والضمير
للقرآن نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لا
خصاص بها غيرك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روي عن
ابي هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه ولاستعار بان الناس
يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا لمقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي
فيقيمك مقاما او تضمين يبعثك معنى اقامك والحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل
رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث

مخرج صدق اخراجا سالما في الكرامة وقيل المراد ادخالي المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخالي مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخالي القبر
واخراجه منه سالما وقيل ادخالي فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه سويا حاسة
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني وملكا يضر الاسلام على الكفر فاستجاب الله له
بقوله فان حزب الله هم الغالبون لينظهر على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل
جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة
يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منهما
فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكبت لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويد دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرض وصرف اللسان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما
يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ ابن عامر ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين
الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض
عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد
بامن ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وابن
ابن ذكوان هنا ونأت في فصلت وناء على القلب وعلى انه بمعنى نهض وقاما لكسائي وخلف
بفتحة النون والهمزة هنا واخلص فتحتها هنالك وورش على اصله في ذوات الياء
واذا مسه الشر من مرض وفقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل
يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال او على
وجوه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم هو اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا

وقد فترت

وقد فترت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبر قل الروح من امر ربي من ابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتوليد
مواصلة اعضاء جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على السؤال من قدمه وحدوثه
وقيل لما استأثر الله بعلم ما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم قصتين وأبهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملائكة وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستغيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيء من احواله المعرفة لذاته وهو
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته لا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على
هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام
لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا وما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر الدد فهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم
من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل بل اليه خير الدارين وهو بالاضافة الى الكثير والبين شيئا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب
مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا باسترداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان لا تلك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن

على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه
اللام الموطئة ولو لا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقوله زهير وان
اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم
كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقرير القوله لم نجد لك به علينا وكيلا
ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من
كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في النفس فابى اكثر الناس الا
كفورا الا جحودا وانما جازذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتوا واقترحوا بعد ما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ركمة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان تعمل
على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا تفعول قوله تعالى او تسقط عليهم كسفا من السماء
وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في
جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرها وحفص
فيما عدا الطور وهو انما يخفف من المفتوح كسبل وسدرا وفعل يخفف مفعولا
كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضمنا للاتيان معنى
كالحشر بمعنى المعاينة وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها
كما حذف الخبر في قوله ومن بالمدينة رحله فالى وقيار بها لغريب او جماعة
فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد روي به وامله
الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها لله

مزان باتي او يحكم عليه او يباركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان
اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم
الا بما يظهر الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على
الله حتى تخيروا بها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
الا قولهم هذا والمحنة انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم
ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فحالتهم عائقة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس
وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجز على وفق دعواي او
على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز ان كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفي تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يمشون عليها او يسحبون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ سماعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصامّوا
عن استماع الحق وانوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مشوهي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلود
ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة
بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جازاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء والى

آثار بقوله ذلك جزاء هم ان هم كفروا بآياتنا وقالوا ائنا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا
ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا استد خلقا
منهن والاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لاريب فيه هو الموت والقيا
فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمتى
خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقولك ما قام الا زيد
وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذ الامساك
خشية الانفاق لبخلكم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر
غيره بشئ فانما يؤثر لعوض يفوقه فهو اذن يخيل بالاضافة الى وجود الله تعالى فكيف هذا
وان البخل اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا ولا بنا اسن على الحاجة والضنة
عما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما ينفق ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر والطور
وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا
ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهود يديه ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام
العامة للملل الثابتة فى كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم اليهود خاصة ان لا تعتدوا حكم مستأنف
زائد على الجواب ولذا لم تغير فيه سيأتى الكلام فسئل بنو اسرائيل انجاهم فقلنا لهم اسكنوا
من فرعون ليرسلهم معنا او سلمهم من حالة يبتهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأل على لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل
على هذه القراءة وقل يا محمد لبنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم

اوعن

او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى انما
بما اقترحوا الامر وا على العناد والمكابرة كمن قبلهم ولم يزدادوا تبيينا لان نظام الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار نجزيك
على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقراءة الكسائى بالضم على اخبار
عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنه
بظنه وشتان ما بين الظنين فان فرعون كذب تحت وظن موسى يحوم حول اليقين
من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر
او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبنى اسرائيل
اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة اى الكرة او الحيق
او القيامة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين ايا كم وايا هم
نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا القرآن الا ملتبسا المقتضى لانزاله وما نزلناه الا ملتبسا
بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفوا عزاء البطلان
لما قبله الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل وقرئ فرقنا
فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله وبوأنا ستبدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه
فانه نزل فى نيف وعشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه اتيسر

للحفظ واعوه في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وترتيلا تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لما ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم
وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتميزوا
من التمييز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما تنزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسلى ايمان العلماء عن ايمان الجهلة وكثرت
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله او شكرا لاخباره وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه السلام على فترة
من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا المفعول
انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول
للشكر وعند اخبار الوعد والثاني فيهم من مواعظ القرآن حالا كونهم باكين من خشية الله
وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه للاختصاص الحرور به
ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما زيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة فالمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحد وان اختلفت اعتبارا طلاقهما
والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والانضاء الى المقصود وهذا جواب ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه وايا للتخيير والتنوين في ايا عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية لا
للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا
تجهر بصلوتك بقراءتك صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب والغو فيها

ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي انه ابا بكر كان يخفت
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بل اسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا اي بوالية من اجل مذلة به ليدفعها بموالاة نفي عنه ان يكون
بما يناركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه وربك الحمد على
الاطلاق الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وبما
عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الآية وعنه عليه السلام من قراء سورة بني اسرائيل فرق قلبه عن ذكر الوالدين
كان له قنطارا في الجنة والقنطار الف اوقية وما تا اوقية

سورة الكهف

مكية وهي مائة وعشر آياتها ١١٠ كلماتها ١٥٧٦ حروفها ٦٥٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتبا استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى والانحراف
عن الاستواء الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط
فيه ولا تفريط وقيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالكمال بعد وصفه بالكمال او على الكتب
السابقة تنتهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له
او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف
فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر

بأسًا شديدًا اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدًا فحذف المفعول الاول والمفعول الثانى اكتفاءً بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال واسكان الهاء من غير اشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنًا هو الجنة ماكثين فيه فى الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم واعلم ان ذكر المنذر به استئناف يتقدم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد وبالاتخاذ او بالقول والمعنى انهم يقولون عن جهل مفرط وتوهم كاذب وتقليد لما سمعوه من ابليس من غير علم بالمعنى الذى اراد قوله فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر وبالله اذ لو علموا لما جنحوا لنسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين يقولونه يعنى المتبنى كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التنبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الدواعى وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ واذ لا تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها من افواههم الهوائية والخارج بالذات هو الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم كان كبرت بئست كلمة هى كلمة بمعنى بئس وقرئ كبرت بالكسر مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذ ولوا عن الايمان شبه لما تداخله من الوجد على توليهم عن فارقته اعزته فهو تحسر على آثارهم وتجمع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم اومتأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لأن فلا يجوز اعمال الا الا اذا دخل بالمضمر كما تجاء الماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم لنعاملهم معاملة المختبر ليظهر اقصم احسن عملا فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به قنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا هامدا فيه والجرز الارض التى قطع نباتها من الجرز

وهو القطع

وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله صعيدا املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم او لوحهم الذى كتبوا قصتهم وليس بمعنى المرقوم لان الرقيم مجاور لا حصيلهم والعوامل فى اذ اوفى اذ اوى محذوف تقديره اذكر قصتهم او نحو ذلك من عجائب امرهم عجبا بل اعجب منها فان آياتنا اكثر منها عجبا وقصتهم مذكورة فى القرآن العظيم من آياتنا دلالاتنا على البعث والقدرة الباهرة عجبا صفة فاعل او مفعول بمعنى عاجبا او معجبا من الناظرين من للتبعيض او للابتداء والناظر بمعنى المعتبر اى ان قصتهم لم تكن بأعجب من آياتنا الدالة على البعث والقدرة الباهرة فلا تعجبوا منها ولا تجعلوها غاية فى الاعتبار اذ المعتبر بها اكثر من المعتبر بغيرها اذ اوى الفتية الى الكهف انضموا اليه هربا من الكفرة وخوفا على دينهم من الفتنة فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة تحفظ بها ابداننا من الاعداء وتوسع علينا ما نعيش به هيئ لنا من امرنا رشدا ارشادا نهتدى به الى الصواب او اجعل امرنا كله رشدا فضربنا على آذانهم فحجبناهم عن الاستماع او اقمنا عليها الحجاب من النوم لئلا يسمعوا ما يزعجهم فى سماعه ثم بعثناهم لنتعرف حالهم بالتنبه بعد الرقدة ليتساءلوا بينهم فيزدادوا بصيرة ويقوى يقينهم ويتحدثوا بما رأوا من آيات الله تعالى فيكون لهم ولغيرهم عبرة كم لبثتم كم مقدار لبثكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم لانهم دخلوا الكهف غدوة وبعثوا عشية فقالوا ذلك ظنا منهم او لان الباقى من اليوم يسمى يوما قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه الذى اطلعكم على ذلك فردوا علمه اليه فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها اهدى طعاما اكثر بركة او احل او اطيب فليأتكم برزق منه ليأكل ويطعمكم وليتلطف فى امره ولا يشعرن بكم احدا ان يطلعن عليكم اهل المدينة يرجموكم بالحجارة او يعذبوكم بنوع من العذاب او يردوكم فى ملتهم اى يصيروكم كرها فيها ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتموها او تركتم دينكم وكذلك اعثرنا عليهم اطلعنا عليهم الناس ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فيتحدثون فيه ويتباحثون فى شأنهم فقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا سدوا عليهم باب الكهف وقالوا ربهم اعلم بهم لا علم لنا بحالهم الا ما علمنا الله قال الذين غلبوا على امرهم وهم المسلمون لنتخذن عليهم مسجدا نصلى فيه ونتبرك بمكانهم

محمد

فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير **إذ أوى الفتية** **إلى الكهف** يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا **ربنا آتنا من لدنك رحمة** توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو **وهيئ لنا من أمرنا** من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار **رشدا** نصير بسببه راشدين مهتدين واجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصلا التهيئة حالة هيئة الشيء **فضربنا على آذانهم** أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع **يعني** أغفاهم إغفاءة لا ينتبهون فيها لأصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته **في الكهف سنين** ظرفان لضربنا **عددا** أي ذوات عدد ووصف السنين بما يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض يوم عند **ثم بعثناهم** أيقظناهم **لنعلم** ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا **أي الحزبين** المختلفين منهم ومن غيرهم في مدة لبثهم **أحصى لما لبثوا أمدا** ضبطا لمدة الزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض ومفعوله و**أمدا** مفعوله ولما لبثوا صلة أو مفعول وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل دل عليه كقوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا **نحن نقص عليك نبأهم بالحق** بالصدق **إنهم فتية** شبان جمع فتى كصبي وصبية **آمنوا بربهم وزدناهم هدى** بالتثبت **وربطنا على قلوبهم** وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال والجرأة على إظهار الحق **وإذ قاموا** بين يدي دقيانوس الجبار **فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا** والله لقد قلنا قولا ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم **هؤلاء قومنا** مبتدأ **اتخذوا من دونه آلهة** خبره وهو إخبار في معنى الإنكار **لولا يأتون عليهم** على عبادتهم **بسلطان بين** ببرهان ظاهر **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** بنسبة الشريك إليه **وإذ**

واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض **وما يعبدون إلا الله** عطف على الضمير المنصوب أي واذ اعتزلتم القوم ومعبودهم إلا الله فأنتم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كأكثر المشركين ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين ذو وجوابه لتحقيق اعتزالهم **فأووا إلى الكهف** انضموا إليه **ينشر لكم ربكم من رحمته** في الدارين **ويهيئ لكم من أمركم مرفقا** ما تنتفعون به أي تنتفعون وجيء بهم بذلك للشروع بتفهيم وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر القاف وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فإن قياسه بالفتح **وترى الشمس** لو رأيتهم والخطاب لرسول الله أو لكل أحد **إذا طلعت تزاور** تميل **عن كهفهم ذات اليمين** عند طلوعها **وإذا غربت تقرضهم** تقطعهم وتتركهم **ذات الشمال** يعني يمين الكهف وشماله لقوله **وهم في فجوة منه** وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المنازل والمغارب إليها ذات اليمين وشرف رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مدار تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبتيه ويحلل معتدلة ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلى ثيابهم **ذلك من آيات الله** أي إعضادهم وإبقاؤهم في الكهف كذلك وإخبارك بقصتهم أو تزاور الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته **من يهد الله** بالتوفيق **فهو المهتد** أي الذي أصاب الفلاح والمراد إما الفتية عليهم والتنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها **ومن يضلل** ومن يخذله **فلن تجد له وليا**

سرتدا من يليه ويرتد وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام وتقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ بقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم هو رى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مر بابي قبيسهم فطردوه فانطلق حتى قال انا احب احباء الله فنباموا وانا احرسكم وكلب راع مر بابه قبعهم وتبعه الكلب ويوئيد قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك عمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم لنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو ولوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا مملا صدرك لما البسهم الله تعالى من المهيبة اولعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظر اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما اغفلناهم او اريناهم آية بعثناهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فينتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا بامر البعث ويشكروا على النعم التي عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحس مدة نومه ولذلك لما علموا علم الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا قول الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا يوم او بعض يوم ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى العلم اخذوا فيما يهمهم فقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت

ويعقوب؟

واضح ما بنام الانسان يوم كامل مدت

او غيرها

او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتسهيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغيرهم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم اذ ليلا على حالات التردد رأى المتوكلين والمبينة طهر نوس فلينظر ايها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر واخصب فليأتكم برزق منه وليتلطف وليكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن وفي التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في اتيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يفتنوكم كما فتنوا عمارا وصهيبا عن العود بعض الصيرورة وقيل كانوا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم واطلعنا عليهم وكما اغفلناهم وبعثناهم ليزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعنا هم على حالهم ان وعد الله بالبعث والموعود الذي هو البعث حق لان نوعهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها واذ القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها لثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادرا ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشرها بدانهم فيرد عليها اذ يتنازعون ظرف لا عثرنا او لاعثرنا على عثورا على حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول يبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومتهم اولا ثم ماتوا وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ثم ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض انما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين ومن المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله تعالى بعد ما تنازعوا امرهم وتناقلوا الكلام في انبائهم واحوالهم فلم تحقق لهم ذلك حكى

الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا اعتبار فيهم الاعتراض ظاهر فلا تجادل
في شان الفتية اجمالا الا ظاهرا غير متمم فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران
من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسئل احدا منهم
عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بكارم الاخلاق
ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسالوه فقال ائتونى
غدا اخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته
قريش والاستثناء من النهى اى ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعل فيما يستقبل
الا ان يشاء الله اى الا ملتبسا بمشيته فالمعلق بالمشية حقيقة انما هو الاستثناء
الا ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفعل لان الاستثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واعتراضهما دونه لا يناسب النهى واذكر ربك مشيئة ربك
وقال ان شاء الله كان وعن ابن عباس لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا فرطت منك
نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز
تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق
ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول
السابق بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وعقابه اذا تركت بعض
ما امرك به ليبعثك على التدارك واذكر اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقل
عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انى نبئ
من هذا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم قصص الانبياء المتباعد عنه اياهم
والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة اولى وابلغ
رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا

ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بان وجد
كنزا فانصبوا به الى الملك المدينة وكان نصرانيا موحدا فقص عليهم القصص فقال
بعضهم اتراك ابانا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فضرب على اسماعهم المدخل فبنوا مسجدا
سيقولون اى الخائضون في قصتهم في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب
والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رابعهم كلبهم في اعتقادهم
قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم قالته النصارى والعاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
يرصون رصيا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به اوظنا بالغيب من قولهم
رجما بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالتين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم انما قالته المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر قول الطوائف في الثلثة
المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاسلوب يفيده ثم رد
الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على
الجملة الواقعة صفة للنكرة تنبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل

يعني انهم فيه احياء مُصَوَّرًا على آفانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال
بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع
جبرا لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف بدل التبيين
من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال
اهلها فلا تخوض في ذلك بالظن ولا تسأل عنه احدا أبصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على انه من
فاق الادراك الخارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله تعالى ومحله الرفع
على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل
الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له ولزيادة الباء كما في قولك
وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير الامور وهو كما احد والباء
مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم من دونه الضمير
لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه وقضائه احدا
منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على
نهي كل احد من الاشراك لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث
انها من الغيبيات بالاضافة الى الرسول على انه وحي معجز امر بان يداوم دراسة ما يلزم
اصحابه فقال واتل ما اوحي الى ربك من كتابه من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا
او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا
ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وتبتها مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهما وفي طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه
ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تأويل النكير يريدون وجهه رضا الله وطلب
عنه ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى

وقرئ

وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدهم اعداء وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء
المؤمنين ويعلو عينه عن زيادتهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة
الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع هواه كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء
عن مجلسك اصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه
عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف تحلية النفس
لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال
الى الله تعالى قالوا اسند اجبنته اذا وجدته كذلك ونسبته اليه او سماه غافلا بدليل
اذ تركنا بغير تمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا
على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا
باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواظبة وكان
امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وورآء ظهر من يقال افرس فرط مستقدم للخيل
ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الا بالايمان
من آمن وكفر هو لا يقتضي استقلالا للعبد بفعله فانه وان كان بمشيته وقدرته
ليست بمشيته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها مُطْبِقٌ ظلامها شبه به ما يحيط بهم
من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل
كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصليم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف ليس الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو قابلة
قوله وحسنت مرتفقا ولا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا
لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى بما في حيزها والراجع محذوف تقديره

وتعدوا

للامر بمثله وتكابه والعتيم الذين ختم
الذين خالفت سيرتهن وجوههم سيماء
اومى الى ما ذكر من ريح
فليكفر ان شاء فليؤمن
والصعيد التراب

وقرئ

من احسن عملا منهما او مستغنيا عنه لعمومه من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او فاتح موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن على الاطلاق الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار ومابينهما اعتراض وعلى الاولى استيناف لبيان الاجر واخر ان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة وهو جمع اسورة واسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على الاسرة كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعمت الارائك مرتفقا متكاء واصله يرتفق لكافر والمؤمن مثلا رجلين حالا رجلين مقدرتين او موجودين قيلهما اخوان من بني اسرائيل كالوارث قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان للمثل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل احاطة بهما مؤزرا بها بكروم وبينهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيرتفع البلا منصوبا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا الاقوات والفواكه متواصل العمارة على التكامل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كل واحدة وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم سقيها فانه الاصل ويزيد بها وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقراءة عاصم بفتح الثاء

والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بفتحها وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها واراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو ما تمتع به من الدنيا على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لانصال الجنة كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه بكفره وتمادي عقله واغتراره بمهلته قال ما اظن ان تبيد هذه اي تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها مرجعا وقرأ الجحازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما قسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو موقنا ايضا بلقاء قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لان اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر ابتداء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة اودونه قلا قلبت النون الفا كما في الاكثر وقراءة ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو ابتداء والجملة الواقعة خبرا له خبرا انا وضمير الله والله بدله او ربي خبر والجملة خبرا انا والاستدراك لما في ضمن اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت هلا قلت عند دخولها ما شاء الله لا ما يشاء الناس او ما شاء الله كان على اية حالة ما موصولة او اي شئ شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها

بعد الشبهة

تنبيها

آبادها

لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك
من عمارتها وتدبير امرها بمعونته واقداره وعن انس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا
فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترني انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا
فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعولا ان
ترني وفي قوله ولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الاخرة لايمانه وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك الكفر حسبانا من
السماء مرامي جمع حسبانة وهو الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به
التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا رضا مستويا
يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصير ماؤها غورا غائرا فلن تستطيع له طلبا
كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترده واحيط بثمره واهلك امواله
حسبما توقعه صاحبه وانذر منه وهو ما خوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه
واذا غلبا هلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم
فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكانه قيل فاصبح فندم او حال اي متحسرا على
ما انفق وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت
الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انها تاتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه
ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي
بالياء لتقدم يضرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والا تيان
بملم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة او الرئاسة
لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياؤه المؤمنون
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا

اي الولاية وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك
السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يشفع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا اركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع
عما ذهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة
للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقراء عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا
في زهرتها وسرعة زوالها وصفتها الغريبة كماء هو كماء وبجوز ان يكون مفعولا
ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرة وتكاثفه او يمج في النبات حتى روي ورق وعلى هذا كان حقه
فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة
في كثرة فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من ذرى اذا نسفه
ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وسبحان الله النبات المنبت بالماء يكون اخضر
رافا هشيما تطيره الرياح فتصيركان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتنفي عنه عما قريب
والباقيات الصالحات اعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابدا الآباد ويندرج فيها ما فسرت به
من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبه يناله
في الاخرة ما كان يامل حاصلا في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب
بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير من عند الله
ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر نسير بالنون والبناء للمفعول وقرئ سيرت من سارت
وترى الارض بارزة ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء
المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وبعثناهم ماشين بعد تسييرهم وترى تحقيق الحشر
او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير لما عاينوا ونشاهدوا ما وعدلهم وعلى هذا يكون الواو للحال

باضمار قد فلم تغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والتعدير الماء غادرة السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك تنبيه على عظم الجند المعروضين على السلطان لا يعرفهم الا هو صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة حفاة غرلا كما خلقناكم اول مرة وقرئ كما خلقاكم الاول لقوله ان زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الاتيان كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا يا ثبورنا يا دعوا هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب يحبينا من شأنه لا يغادر صغيرة هفية ولا كبيرة الا احصيها الا اعدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه الملائم للعمل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المادة وههنا لما اشتمل على المفتخرين واستقبح صنيعتهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس واما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلانها تنفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا منهج كل تكرير في القرآن كان من الجن حالا باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه خرج عن امره بترك التجنب والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فاصل والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اتعقيبه ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده واتباعه وتعاملهم ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم اي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض

ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد الاتخاذهم اولياء من دون الله كما له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذمالهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا لاتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذ المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم كرروا لينعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دون الله وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار وعدواة سمي في سنة نقائها هلاكا كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا انهم واقعوها فايقنوا انهم مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا يتصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء تناولته المجادلة جدلا خصومة بالباطل واتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن استغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا ان تأتيهم سنتنا الاقولين الاطلال واستئصال او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين

وهو لغة فيه او جمع قيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا واقتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزؤا بالتسكين وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها ولم يتدبر ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تغليفا لا عراضهم ونسيانهم انهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليلا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للشرط على تقدير قوله ما لا اداعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة المبالغ بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا عاجلا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع اقترافهم وعداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيامة لن يجدوا من دونه موئلا منجيا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود وامثالهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولما بدل من القرى مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كفروا بالتكذيب والمراد انواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبر بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم والام اي لاهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع

والخبيص واذ قال موسى سقد ما اذكر افتاه يعني يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل العبد لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حال وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر مجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعند لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ بمجمع بكسر الميم على الشذوذ من فعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا اوامضي زمانا طويلا والحقب الدهر والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عليه السلم خطب الناس بعد هلاك القبط وخولط مضر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل سأل موسى ربه اي عباده احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يتمنى هداي الى علمه ليزداد علما قال له انك لن تستطيع معي صبرا قال الذي الطلبه قال على ان اجار عند الصخرة فكيف لي به قال احتوت في مكتل فحيث فقدت فهو هناك فقال الفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يتعاقبان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينها ظرفا ضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حوته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلم رقد فانكفأ المكتل فسقط الحوت في البحر ويبس في الحال او مشى على وجه الماء او على الطريق الذي سلكه الحوت او في البحر معجزة لموسى والخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد امرهما وما كان منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قولهم سرب سارب بالنهار وقيل مسلكا لله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه وضبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل

انهما يستدعيان غاية

قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على الهدى او ترده عن الردى قال ان كان في عبادك اعلم؟

الترجمة الحوت بالاردية

ويجوز تعلقه بالخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوزا الموعد فلما جاوزه وسارا الليلة والغد الى الظهر حمد موسى
ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يرتج موسى فى سفر غيره ويؤيد التفسير باسم الاشارة قال
ارأيت اذ أوينا إلى الصخرة يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل
هى الصخرة التى دون نهر الزيت فانى نسيت الحوت قدمه او نسيت ذكره بما رأيت منه وما
انسانيه الا الشيطان ان أذكره أى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير
وقرئ ان أذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة
لا ينسى مثلها لكنه لما شغرى عنها هذه اشتغالها عند موسى وألفها فلا اهتمام به بها ولعله
نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب سر السر الى الجناب القدس بما غمره من شواهد
الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان همما لنفسه او كان علم اختيال الحوت الجانبين
واشتغالها باحدهما عن الآخر بعد عن نقصان والخذ سبيله عجبا او بدل من الحوت عجبا وهو كونه
كالشرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر فى آخر
كلامه او موسى فى جوابه عجبا نعجبا من ذلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل
الحوت فى البحر عجبا قال ذلك اى امر الحوت ما كنا نبغى نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا على آثارهما رجعا فى الطريق الذى جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما
اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فرأيا عبدا من عباد الله المجهور على انه الخضر واسمه بليا
بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة وعلمناه
من لدنا علما من المغيبات او علما لا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمنى على شرط ان تعلمنى وهو خضوع الحال من الكلام ما علمت رشدا علما ذا رشد وهو
اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول
علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون على
لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا يأبى فى نبوته وكونه صاحب شريعة او يتعلم من غير
ما لم يكن شرطا فى باب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم مما ارسل اليه فيما بعث به

من اصول

من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد اعنى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل
نفسه واستاذن ان يكون تابعا ولوّل المنه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم
الله عليه قال انك لن تستطيع معى صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه من التاكيد
كانها ما لا يجمع ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اى كيف
تصبر وانت نبى على ما اتولى من امور ظاهرها منكر وبواطنها لم تحط خبرك وخبرا تمييز
او مصدر كان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدنى ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك
ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاصيا وعلى ستجدنى وتعليق
الوعد بالمشية اتما للتيمن وتخلفه نادرا لا يقدح فى عصمته او لعله بصعوبة الامر
فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا طف وفيه دليل على ان تعاطى
العبادة واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شىء فلا تفاتحنى
بالسؤال عن شىء انكرته حتى ولم تعلم وجهه حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ
نافع وابن عامر فلا تسالنى بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى
اذا ركبا فى السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال
لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتغرق والتشديد
للتكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا
عظيما من امر اذا عظم قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا تذكير لما ذكر قبل قال لا تؤاخذنى
بما نسيت بالذى نسيته او بشىء نسيته يعنى وصيته بان لا تعترض علىّ او شيئا قليلا ما
وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد
بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض
الكلام والمراد نهى آخر نسيه ولا ترهقنى من امرى عسرا ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة
والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر علىّ تابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال
رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اى بعد ما خرجا من السفينة
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه

يجيدان

اخرقتها

فان النسيان لا يجانب عليه شىء
نسيت والنسيان مغفور
فان اول الناس الناسى حواء

فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قالوا قتل
نفسا زكية بغير نفس اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن
يعقوب زاكية والاولى ابلغ وقالا بو عمرو والزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم
غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او لانها لم ير بها قد اذنبت
ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها به على الاول اظهر واوضح واصرح دلالة وابلغ
الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل اخر فقاجراء واعتراضا وسكتا وفصلا وكلا
قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل وكان جديرا بان يجعل
عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون
وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا
زاد فيه لك مخالفة بالعتاب على نقض الوصية ورتما بقلة الثبات والصبر لما انكر منه
الا شيء ازا والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة قال
ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى
فلا تجعلنى صاحبك قد بلغت من لدنى عذرا من قبلى لما خالفتك تلك مرات
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى لو استحى فقال ذلك لوليت مع صاحبه
لابصر العجب الاعاجيب وقرأ نافع لدنى بتحريك النون والاكتفاء به عن نون الدعامة كقوله
قدنى من نصر الخبيبين قدنى وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال كاسكان الصاد من عضد
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ايلة بصرة وقيل باجروان ارمينية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل ضيفا
واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل فالضيف مال عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض بدل اذ يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعيرها الهم والعزم
قال السيد الرتع صدر اناء براء ويعدل عن دماء به بعقيلة وقال ان دهرا يلف شملى بجمل
لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب
لهويها وافعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاض بالصاد المهملة من انقاضت السن اذا

انشقت طولا فاقامه بمادته او بمجرد عليه وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا اخذا تعيشنا على اخذ للعمل ليتيسر به اوتمر يشا باته
فضول المال فوق الكفاية كأنه لما رأى للجدار مساس الحاجة والشتاء لم يعبأ بشيء لم يهتم به
نفسه ولم يتخذ فاعل من خذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان
لتخذت اى لاخذت واظهر ابن كثير وبيعقوب وخفص الذال وادغمها الباقون قال هذا فراق
بينى وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى او الى الامر من الشان او الوقت
اى هذا اعتراض بسبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر
الى الظرف على الاتساع وقد روى على الاصل سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن
فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
فى البحر لعاريج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك والزمانة فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون
فى البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم وخلفهم
وكان رجوعهم عليه واسمه جلندا بن كركر وقيل منوار بن جليد الازدى يأخذ كل سفينة غصبا
من صحاتها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان
ارادة التعييب سببت عن خوف الغصب وانما قدم للعناية ولان السبب لما كان مجموع الامرين
خوف الغصب وسكنة الملك رتبه على قوى الجزءين واداه بما وعقبه بالاخر على سبيل
التعقيب والتعقيم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ان يغشيهما بالنعمة بعقوقه فيحملهما لشدة حبهما اياه
على طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باشلالا وعما
على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نجدة
الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى عليه السلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من يخاف
سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما

خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديّة
واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبيّ فولدت نبيّا
هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو بيّنا بتشديد الياء وابن عامر ويعقوب
رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسوم وكان تحته كنز
لهما من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والله اعلم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب
والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كنبل العلم وقيل كان لوح
من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف
يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه فيكون بينهما وبين الأب
الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سابعا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم
وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا
لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل منتصب بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك
ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله وحده لانه لا مدخل
في بلوغ الغلامين اولا الا في نفسه مترددا والثالث خبر والثاني متدرج او لاختلاف حال
العارف في الالتفات الى الوسايط وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن امري عن رأي ولما
فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل احدهما لدفع اعظمهما
وهو اصل مهتد عبر ان الشرايع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ايحالم
تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوايد هذه القصة ان لا يجب العلم بعلة ولا يبادر الى انكار
ما لا يستحسنه ظاهرا فيه ستر لما يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في السؤال
وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اضرارها جرعنه ويسألونك عن ذي
القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين

اولانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل
كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما
يقال الكبش للشجاع كانه يطأ قرناءه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مستركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب
للسائلين والهاء للذكر القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها
كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه
من العلم والقدرة والآلة فأتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ
الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التالية حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر حامية اي حارة وكانتا في يتيهما الجواز ان يكون العين جامعة للوصفين
او حمئة على ان يا ءها مقلوب عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعل بلغ ساحل المحيط فراها كذلك
اذ لم يكن في مطمح نصر غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل اذا بلغ
سمع معاوية يقرأ حامية فقال حميّة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم
جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم
الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ
فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وشماء احسانا في مقابلة
القتل وتوسطه الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة وقال اما تأديبا عوتة ظلم نفسه بالاصرار على الكفر او استمر على ظلمه الذي هو الكفر
فأعذبه انا ومن سعى في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم ير مثله واما من
آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله الحالة المنوعة الحسنى
مجزيا بها او المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء والتنوين وقرئ منصوبا غير منون على ان

تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنتونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون
امّا واما التفسير وامّا التخيير اى ليكن ذانك معهم امّا التعذيب واما الاحسان فالاول لمن
اصرّ على الكفر والثانى لمن تاب عنه وقيل انذاره اياه ان كان نبيّا فوحى وان كان غيره فبالهام او على
لسان نبى وسنقول له من امرنا ما نأمره به يُسْرًا سهلا مستبشرا غير شاق وقرئ بضمتين فرأتبع سَبَبًا
اى طريقا يوصله الى المشرق وقراء الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع الشمس
عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضافة مطلع الى ضمير الشمس فانه
مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء فان
ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين
كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امر فيهم كما مر فى اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى وجدا وبجعل وصفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل
الذى يغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآيات والعدد والاسباب
خبرا علما تعلق بظواهرهم وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى
اذا بلغ بين السدّين بين الجبلين المبنى بينهما سدّ وهما جبلا ارمينية وآذربيجان قيل
جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك من وراءهما يأجوج ومأجوج وقراء نافع وابن عامر
وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدّين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم ما
خلقه الله تعالى والمفتوح ما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمّى حدث يحدثه الناس
وقيل بالعكس وبين ههنا مفعوله وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقراء حمزة والكسائى لا يبيّنون
اى لا يفهمون كلام غيرهم لعدم مشاركة بينهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى ان ترجمان بينهم
وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث
ابن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف

وقيل عربيان من اجّ الظليم اذا اسرع واسلهما الهمز كما قراءة عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث
مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب والافساد الزروع قيل كانوا يخرجون الربيع
فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك
خرجا جعلا تخرجه من اموالنا وقراءة حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والدنة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدّا تجدون
خروجهم علينا وقد ضمّه من فتح السدين غير حمزة والكسائى قال ما مكنى فيه ربى خير
ما تجعلون فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة لى اليه وقراءة ابن
مكنى على الاصل فاعينونى بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم
وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوب مردّم اذا كان رقاعا فوق
رقاع آتونى زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو كلينا فى رد الخراج والاقتصار
على المعونة لان الاعانة بغير المال اوفر ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة
الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى مرتك الخير ولان اعطاء الآلة
من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبى الجبلين
بتضييقها وقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح
الصاد وضم الدال وكلتاهما لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر ومنه
الصدوف للمتقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل
للمنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتونى افرغ عليه قطرا اى اتونى قطرا اى نحاسا مذابا
افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين
المتوجهين نحو معموله واحدا قال ولو كان قطرا مفعولا آتونى لاضمر مفعولا فرغ حذرا من الالباس
وقراءة حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من ثلاثة متقاربة
وقراءة حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب التين صادا أن يظهروه
ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر
للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب

وقيل عربيان

والفحم حتى ساوى على الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليهما
فاختلط والتحق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناء من القطر مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد والاقدار على تسويته
رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج واقتراب
الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكاء مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى
المفعول ومنه جمل دكاء للمنبسط السنام وقراء الكوفيون دكاء بالمد اي رخوا مستوية وكان
وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض وجعلنا بعضهم يأجوج ومأجوج حين يخرجون من وراء السد يموجون في بعض
مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
وبهتا او نفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استئناف للذكر وكلام
لا فراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت انفسهم
بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم
الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا عذبهم به فحذف المفعول الثاني
كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
في النجاة وان عبادي حين رتفع به فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في
العمل او خبر لها انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم
وراء ها من العذاب ما تستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع كانه
من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم
وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحل الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال
او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم
انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد

والنبوة

والبعث ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون
عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنجزيهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نقيم لهم
ميزانا يوزن به اعمالهم لاخبائها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة او يجوز
ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبرا والعائد محذوف وجزاؤهم بدل له وجهنم خبره
او جزاؤهم جهنم وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله
ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها
حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الكتب كالحبر
للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر
بان لا يكتب بجسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا
بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل
في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي
ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ يمده بالياء ومد الكبر اليم جمع مدة وهي
ما يمد به الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا اوتينا كتاب الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا ويقرون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي
الاحاطة على كلماته بوحي الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان
يرجو لقاء ربه بامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه
احدا بان يرائيه ويطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير رم قال لرسول الله صلى الله
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما
الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه

السليط الزيت

وقرأ حمزة والكسائي يأياتي

عليه وسلم

تلالؤ الى مكة حتى ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نورا تتلالؤ من مضجعه الى البيت المعمور حتى ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلام من قرء سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من الارض الى السماء صدق رسول الله صلعم

قد وقع الفراغ بحمد الله وحسن توفيقه عن تحرير النصف الاول من الكتاب الشريف الموسوم
بانوار التنزيل واسرار التاويل على يد العبد الفقير الراجي الى رحمة الله وغفرانه
اويس بن عمر بن جمال الدين عفى الله عنه وعنهم اجمعين في عشر
من شهر لسنة المبارك رمضان سنة احدى وتسعين وثمانمائة
ويطلب من الله التوفيق لاتمام النصف الثاني وفقنا الله
عبده في جميع مبتغاه انك ولي التوفيق بمحمد
وآله الطيبين الطاهرين امين يارب
العالمين

٤